

محمد عبد الرزاق

رواية

سادر

ALRAZQ





لتحویلک إلى الجروب أضغط هنا



لتحویلک إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

محمد عبد الرزاق



٢٠١٦

الإهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا
أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ
يُخْشَرُونَ

(الأنعام: 38)

عنبر



الفصل
الأول





الفصل الأول

في كثير من الأحيان تمر علينا الأيام بلا طعم وبلا هدف ، تتشابه مع بعضها البعض ، حتى أنها أحياناً لا نعلم كم مرّ من الأيام في هذا الشهر وأحياناً أخرى لا ندرك في أي أيام الأسبوع نعيش ، أهو السبت أم الثلاثاء أم هو يوم الجمعة العتيق ؟!

الملل والرتابة يصنعان بنا الكثير والكثير ، نفس العمل ، نفس رفاقه ، نفس البرامج التليفزيونية التافهة والمسلسلات الهاابطة ، كل شيء أصبح متشابهاً ، إلا هذا الصباح .

فاليوم يا سادة بالنسبة لي هو أهم أيام حياتي ، وبعد أربع ساعات من الآن وفي المؤتمر العالمي للبيئة والذي يقام كل عام في إحدى الدول العظمى ، وهذا العام سيقام في مصر ، سأتحدث فيه عن اختراع العظيم والذي سيغيّر حياتي بل وحياة العالم من حولي ، اختراع يتحدث عن ...

معذرةً لقد أخذني الحديث دون أن أعرفكم بنفسي ، أنا دكتور طارق تيسير القراشي ، آخر أحفاد القراشي باشا ، متخصص في علم الحشرات ، نعم علم الحشرات ، أقولها وأعيدها لمن ارتفع حاجباه هناك ، علم الحشرات من العلوم

الهامة جداً في عالمنا ، فمن خلال تصوري أنَّ هذا العالم الغامض
يتشابهُ كثيراً مع عالم البشر ، وذلك لأنَّه ...

ولكنَّ هذا موضوعٌ يطُوّل شرْحه ، وأنا في عَجلةٍ من أمرِي ،
ماذا ؟ !

آه .. هناك من يسأل عن اختراعي العظيم ، سأجيئك
عزيزي ولكنَّ منْ هناك ، من قاعة المؤتمرات الدولية والتي
ستنطلق منها فاعليات المؤتمر بعد أربع ساعات ، أى في تمام
الثانية عشر ظهراً .

ها هي زوجتي الحبيبة "نجوى" تدخلُ من باب المعمل
الخاص بي وتبتسمُ ابتسامتها الآسرة التي تَخْلِبُ لُبَّي دائماً
وهي تقولُ :

- لقد أعدَدتُ لك الحمام ، هيا ستتأخرُ على المؤتمر .

حنونةٌ هي ، تهتمُ بـ وbabni إيداد كُل الاهتمام ، فهي دائماً
تقولُ أنتم عالمي الذي أحبُ أن أعيش وأموت فيه ، نجوى
لها قلب لا يتپض إلا بالحب ، وجهها الصبور هو باب الخير لي
كُل يوم ، هو ما يُزيل عنِّي همومي وألامي ، جميل أن تعيش
في منزل به مَنْ تحب ...

آه ... المنزل .. نسيت أن أصف لكم منزلي ، ولكنَّ بعدَ أن
أخذ حمامي وأتناول إفطاري ...

ها أنا قد عُذْتُ سريعاً فقد خَشِيتُ أن تصاوبوا بالأرق
واملل من انتظاري ، منزلي عبارة عن فيلا من طابقين في
الجتماع الخامس ، الطابق العلوي به أربع غرف ، غرفة نومي
أنا وزوجتي ، وغرفة نوم لإياد وغرفة للضيوف ، وغرفة مكتبي
الخاصة والتي لا يدخلها أحد غيري ، لما بها من أوراق هامة
وتسجلات خاصة بأعمال وأبحاثي .

الطابق السفلي مُجهَّز على أعلى مستوى من الرفاهية ولكن
من يتطلع إليه لن يجد فيه إلا طقماً للجلوس به عدة مقاعد،
ومنضدة كبيرة (ترابيزة السفرة) محاطة بثمانية كراسى
من خشب الأبانوس ولكن الرفاهية تولد وقتما تريد، ففراغ
الطابق ليس خاويًا بل به كل ما يدور في ذهنك وتتمناه ، ...

نعم يا من تعقد حاجبتك في تساؤل فالعلم أصبح بلا
حدود ، في هذا العصر ، فعندما تفكِّر مثلاً في مشاهدة مباراة
كرة القدم في التلفاز فكل ما عليك هو أن توجه رأسك نحو
المكان الذي تفضل أن يكون التلفاز فيه ، وما هي إلا ثوانٍ
قليلة وتجده أمامك في نفس المكان الذي أردته فيه ويذيع
مباراة كرة القدم ، وغيرها وغيرها من العجائب .

ملحق بالفيلا معمل الكبير والذي يحتل وحده نصف
الفيلا بالإضافة إلى الجراج الذي تقع به سيارتي اللاندكروزر
وسيارة نجوى المرسيدس ...

لا توجد حراسة على الفيلا من أي شكل أو لون ، فأنا لا

أحب القيود أو الشعور بأنني مُراقب طوال الليل والنهار ،
ولكنني أؤمن دائمًا أنَّ الحارس هو الله عز وجل ولكن لا بدَّ من
الحِيطة والحدْر فكُلُّ بَابٍ من أبواب الفيلا لا يُفتح إلا ببصمة
صوتي أو صوت زوجتي أو إيد ذي السبع سنوات ، ماعدا باب
مكتبي وباب المعمل الذي لا يُفتح إلا بصوتي وصوت زوجتي
فقط .

ها أنا ذا أقتربُ من قاعة المؤتمرات حيث ستبدأ فعالياتُ
المؤتمر بعد قليل ، أصرَّت نجوى على أن تَضْحَبِنِي هي والصغيرُ
إلى المؤتمر لتشارِكِنِي فرحة انتصارِي العلمي على الكائنات
السموية التي يُعْجِّ بها عَالَمُنَا ، ... الحشرات .

تركت سيارتي في مكانها المخصص للانتظار ثم اصطحبت زوجتي الحبيبة إلى هناك حيث حيث الأضواء والشهرة ، كان المكان مُبهرًا بحق فالفخامة والأناقة هي عنوان كل قطعة في هذا المكان ، وعندما نظرت إلى الوجوه التي تملأ المكان وجدت منها منْ أعرفه من أصدقائي الأساتذة من مصر ومن معظم دول العالم ، ووجدت أيضًا من لا أعرفه وكانت أراه فقط على شاشات التلفاز من كبار رجال الدولة

- مرحباً ...

التفت إلى صاحب الكلمة لأجد أمامي أستاذى الكبير والمشرف على تجربتى واحترازى الذى أنا هنا من أجله اليوم ، الأستاذ شاكر طاهر أحد أكبر علماء الحشرات في الوطن العربي بل والعالم أجمع ، صافحته بحرارة قبل أن يختضنني بقوه ويقول مبتسمًا :

- مبارك يا طارق ، مبارك يا ولدى .

عندما يختضننى هذا الرجل أشعر بحنان والدى والذى حرمَنى الموت منه مُنذُ الصغر ...

اصطحبنى دكتور شاكر إلى داخل القاعة لمقابلة عدد كبير من العلماء وكبار رجال الدولة ومندوب من الرئاسة ، صافحت الجميع بفرح وسعادة فها هي حيالي تتغير إلى الأفضل ، ليُمتلى قلبي أملًا في الغد وفي المستقبل الذى أتمناه مشرقاً

جلست بين الدكتور شاكر ومندوب الرئاسة في الصف الأمامي بينما جلست نجوى وطارق في الصف الثاني خلفي تماماً، قدم افتتاحية المؤتمر الأستاذ الدكتور إبراهيم المندور نائب رئيس جامعة القاهرة، وأشار بدور مصر والجامعات المصرية في دعم العلم والعلماء ورعايته كل ما هو جديد ومفيد لمصر ولل الوطن العربي، قبل أن يقدمنى للجميع ويطلب منى التقدم والصعود إلى المنصة للحديث عن اختراعي الجديد ...

صعدت إلى المنصة وسط أصوات التصفيق العالية من جموع الحضور، ابتلعت ريقى وتلوت بعض الآيات القرآنية في سرّى قبل أن تعلو شفتي ابتسامة هادئة مطمئنة وأنا أقول :

- سيداق آنساق سادتى ، مما لا شك فيه أنَّ الخالق عز وجل خلق الكون لحكمة جليلة ، ألا وهى خدمة الإنسان ، كى يتفرغ لعبادته سبحانه وتعالى ، خلق الكون فجمَّله وجعله في أحسن صورة ليكون ملك يمين بنى آدم ، كُلُّ ما فيه من كبير وصغير ، خلق ليجعل الدنيا والعالم في حالة اتزان ، ولو خرج جزءٌ منها من الكائنات الحية سواءً كان كبيراً أو صغيراً من هذا الكيان الضخم ، لأصابه الخلل ، وهو ما أطلق عليه العلماء اسم خلل الطبيعة ، فبعد أن كانت الطبيعة في حالة اتزان باتت تتهدّد بالفناء الذي هو نهاية الكون بأسره ، ولأن الحشرات من أهم الكائنات على وجه الأرض كان لابد من الاهتمام بها ورعايتها ،

ولكن ليس كل الحشرات تحتاج للرعاية والحماية فمنها ما هو ضارٌ ومسبب للعديد من الأمراض التي قد تُودي بحياة الأفراد في وقت قصير ، ونظراً لأنَّ الحشرات المنزلية تسبِّب الاشمئزاز أيضاً بجانب المرض فإنَّ مَا يُهُم كُلَّ إنسانٍ هو عدم وجود هذه الحشرات مثل الذباب والصراصير في منزله ، خاصة في فصل الصيف حيث يزداد نشاطها وتزاوجها على عكس فصل الشتاء ، ومن هنا جاءت فكرة اختراعي الجديد (H-1) أو المعالج الحراري الكهرومغناطيسي الأول ، فكرة الاختراع بكل بساطة عبارة عن سائل بسيط التركيب من مواد طبيعية مثل السكر والثوم والنعناع بالإضافة إلى الصابون السائل ، يتم ضغطه ليتحول إلى رذاذ ، والذي يتم وضعه كبخاخ يُطلق في الهواء الطلق سواء كان هواء المنزل أو حتى الشوارع ، تقوم هذه المادة بالترسُّب على الحوائط أو الجدران أو أي شيء صلب حتى ولو كانت الأرض التي نسِيرُ عليها ثم تبدأ في التفاعل معها على الفور ، وهنا يأتي دور المجال الكهرومغناطيسي الذي يعمل على كسر جزيئات السكر لتنطلق طاقة هائلة ، تغيير من تركيب الماء بعد كسر روابطه الهيدروجينية ، وعنما تحاول الحشرات الضارة اختراع هذا الحاجز الكهرومغناطيسي ، لن تجد أمامها إلا حللاً من اثنين ، إما أن تخترقها هذه الموجات الرهيبة فتحرِّق خلاياها وتقضى عليها على الفور ، أو تهرب إلى أي مكان بعيداً عن عالمنا .

رفع أحد الحضور يده موجهاً سؤالاً إلى وهو يعتقد حاجبيه

ويقول :

- هل تقصد أن اختراعك ، يصنع حاجزاً بيننا وبين الحشرات
بحيث ترانا ولا نراها ؟

أجبت سؤاله قائلاً وعلى وجهي ابتسامة غامضة :

- أحسنت يا سيدي .

أكملت حديثي قائلاً على الفور حتى لا أغطي فرصة لأى سؤال آخر :

- أما بالنسبة لطعامها والذى يختلف من نوع لآخر فهى لها القدرة على الحصول عليه من أي مكان ، دعونا لا نشغل عقولنا بهذه النقطة ولكن أحب أن أقول أن اختراعى هذا والذى سعى إليه طوال ثلاثة أعوام من الجد والعرق والتعب سيكون مفيداً للبشرية بإذن الله تعالى ، فعلى الرغم من أن عدد الحشرات على الأرض يصل لأكثر من مليار نوع ، إلا أن أنواعاً قليلة جداً منها مفيدة للبشرية والبقية لا تسبب إلا الضرار ، إلا أنه لن يكون هناك ضرر يُذكر من تحجيم هذه الحشرات ومنع أضرارها والاختراع سيكون في متناول الجميع وبأخص الأسعار في الأسواق المصرية أولاً ثم باقى الأسواق العالمية بعد ذلك ، شكرأ لحضراتكم ولدعمكم لي ، شكر خاص لأستاذى العزيز شاكر طاهر ، الرجل الذى أدين له بالفضل في كل ما أنا فيه ، بعد الله تعالى ، شكرأ لزوجتى الحبيبة التى

طلت بجانبى طوال ثلاث سنوات شاقة ، لم تذق فيها النوم إلا قليلاً ، شكرأ لأساتذتي ومعلميني ، شكرأ مرة أخرى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ما إن انتهيت من خطبتي حتى ضجّت القاعة بالتصفيق الحاد ، لدرجة أن عيني قد اغروا قتا بالدموع ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أهبط إلى هذه الجموع الغفيرة التي جاءت لتحتفل بي كى أرحب بها ، أخذت زوجتى من بين هذه الجموع واحتضنتها بقوٍة هى وإياد ، قبل أن أصافح مندوب الرئاسة الذى أثنى على حديثى ووعد بأن الدولة ستتكلف بجميع المصاروفات الخاصة بهذا المشروع العظيم ، والذى سيرفع اسم مصر عالياً في جميع المحافل الدولية ، رقص قلبي فرحاً مع كلمات السيد المنصب ، بعد ذلك ذهبت إلى منزلى لاستعداد للحفل الذى ستقيميه وزارة البيئة ليلاً ب المناسبة اختراعى الفريد من نوعه والذى سيغيّر العالم من حولنا ... تماماً .



عمر



الفصل
الثاني





الفصل الثاني

جاء الصباخ التالي مُشرقاً يبعث على النشاط والطاقة والحيوية في نفس كل كائن حتى على وجه البسيطة ، ابتسمت الشمس ثم ألقت بخيوطها على النافذة الكبيرة المجاورة لفراشي أنا وزوجتي التي فتحت عينيها وهي قبسم برقية وحنان قبل أن تقبلني قبلة يملؤها الحنان والرقة وهي تهمس في أذني قائلة :

- صباح الخير يا قلبي الحنون .

علت شفتى ابتسامة كبيرة قبل أن أفتح عيني ببطء ثم أقبل زوجتي على وجنتيها وأقول :

- صباح الخير يا كل خير .

نهضت من الفراش مُسرعاً كعادتها وهي تقول :

- أمامنا أقل من نصف ساعة كي نتجهز .

عقدت حاجبي قبل أن أقول بصوتي لم يفارقه النعاس بعد:

- لماذا !!؟ إلى أين سندذهب ؟

استدارت إلي زوجتي وقالت معاقبة :

- ألم تتفق أمس بعد الحفل الذي أعدته لك وزارة البيئة على أن نسافر ليومين إلى الغردقة قبل سفرك إلى لندن لحضور المؤتمر السنوي لعلماء البيئة ؟!

اعتدلت في الفراش وأنا أتذكري كُلَّ ما دار في حفلة الأمس ، لقد كانت احتفالية رائعة ، شعرت فيها كأنني ملك متوج ، زوجتي معى ، ابني الوحيد يمسك بكفى بقوه ورهبة ، نعم ...
هناك من يسألنى قائلاً : لماذا لم تتركه عند والدتك أو أخيك أو أختك أو حتى الجيران ؟

ابتسمت حُزناً على حالِي ، فعلى الرغم من الثراء الذى أعيش فيه والرفاهية والنعيم اللذين أرفلُ فيما ليَ نهار إلا أننى كما يقولون مقطوعٌ من شجرة ، فلقد توفى أبي وأمى منذ كنت صغيراً ولأننى وحيدُهمَا لا أخ لى أو أخت أو خال أو عم فقدأغلقت على نفسي جميع أبواب التعارف مع الجيران أو غيرهم من أهل المنطقة التي أسكن بها ، بعد أن تولى دكتور شاكر تربيتى ورعايتها حتى أتممت دراستى بتفوق ، ومع رعاية الدكتور لي في هذه الأثناء ومع ذكائي الذى أتميز به عن غيرى من زملاء دفعتى ، تغيرت حياتى تماماً بعد أن أصبحت

ويعمل في كلية العلوم ويُشرف على رسالة الدكتوراه الخاصة في
الدكتور شاكر بنفسه .

افتُ من ذكرياتي على كف طارق الصغير وهو يَرِبُّ على
الناس ويشير إلى الأضواء المبهرة داخل قاعة الاحتفالات الكبرى
بفندق الفورسيزون ، كانت هذه هي المرة الأولى التي آتني فيها
لهذا المكان أنا وأسرتي الصغيرة ، ليس لأنّي لا أملك المال الذي
يمكّنني من الذهاب لهذا المكان ولغيره من الأماكن الفخمة
في مصر بل وفي العالم أجمع ، ولكن لكثره انشغالى بأبحاثي
واختراعاتي و...

- أين أنت ؟ !! إلى أين ذهبت ؟؟

التفت إلى زوجتي وابتسمت قائلاً :-

- أنا معك يا حبيبتي ، امْنَحْنِي رُبْعَ ساعَةٍ فقط وسأُكُونُ
جاهازاً لتنطلق إلى هناك .

قضيت يومين من أجمل أيام حياتي في الغرفة مع زوجتي
وابني حيث الطبيعة الساحرة الخلابة ، ولكن مهما كان جمال
المكان الذي أنت فيه ، لا تشعر بحلوته إلا مع من تحب ،
ونجوى وإياد هما حياتي التي لا تستقيم ولا تحلو بدونهما ...

مرّ اليومان ك ساعتين أو أقل ، فهكذا الأيام الحلوة تنتهي

سريعاً وكأنها لم تكنْ ، عُدنا إلى القاهرة ، وبدأتُ أحَّهُزُ إجراءات السفر للمؤتمر العالمي في مدينة الضباب حيث أُعلنُ هناك عن اختراعي للعالم أجمع أن مصر بها الخير إلى يوم الدين ...

أوقفت سيارتي بـالمكان المُخصَّص لها في فيلتي وذهبت إلى الحمام كي أغسل ثم أذهب إلى مكتبي لأتفحَّص بعض أوراقى الخاصة ريثما تُعدُّ نجوى طعام الغداء .

أرجعت رأسى إلى الخلف بعد أن جلست على كرسي المكتب الخاص بي ثم أغمضت عينى وتناثرت في كسل قبل أن أحرك رأسى بقوَّة لأنفُض عن الإرهاق الذى شمل جسدى بالكامل ، ثم فتحت درج مكتبي الخاص لأخذ حافظتى الإلكترونية الصغيرة بحجم عقلة الأصبع والتى لها سعة تخزينية رهيبة ، تحوى كل ما يخص اختراعي من أبحاثٍ ومراجع وأساسيات تركيب الرشاش القاتل لوجود الحشرات من الأصل .

لم أجذِّ الحافظة

بحثت عنها في كل مكان بـالمكتب فلم أجذُّها ، خرجت من المكتب إلى المرآب حيث تقبع سيارتي هناك لا حول لها ولا قوَّة ، بحثت في كل سنتيمتر بالسيارة فلم أُعثر على شئ ، سألت نجوى عنها فقالت إنها لم ترها أبداً ..

لا أعلم ما الذى أنساني أن كل ما عليها من معلوماتٍ

ومراجعة يستكِنُ في ملفٍ خاصٍ على بريدي اليومي وأخر على موقع وزارة البيئة وآخر في كلية العلوم قسم الحشرات والذي ألقى فيه محاضراتي الأسبوعية هناك ...

عندما فَكَرْتُني زوجتي بهذا ، أدركتُ أنني مُرْهَقٌ جداً وأحتاج إلى الراحة حتى أعيد ملء بطارياتِ ذاكرتي مرة أخرى، فقلتُ لها أَنْتِي سأُلْجأُ إلى الراحة لعدة ساعات وأيقظيني في تمام السادسة مساءً حتى نتناول الغداء وأملم أوراقى مرة أخرى ..

رَبَّتْ نجوى على كَتِفِي وهي تبتسم وتقول حانياً :

- أنت بحاجةٍ للرَّاحَةِ بالفِعْلِ .

أومأتُ برأسى مُؤيداً لكلامها وذهبتُ إلى حجرة نومي ثم استبدللتُ ثيابي وألقيتُ بجسدي على الفراش وسبلتُ عيناي، وقبل أن أغيب في سبات عميق لفت انتباھي صوتٌ خافتٌ جداً عند النافذة الكبيرة التي تحتل مساحة كبيرة من الحجرة فعقدتُ حاجبي وأنا أرهف سمعي وأدقق ببصري نحو النافذة لأعرف سر الصوت القادم من هناك ، قبل أن تتسع عيناي عن آخرهما ، وترتجف كل خلية في جسدي خوفاً وهلاعاً ، فعلى الرغم من أنني قمت بتجربة اختراعي على الفيلا التي أقطن بها والذي انطلق لجميع أنحاء الجمهورية ، وفي العالم أجمع

ليثبت نجاحاً منقطع النظير ، فلم تستطع أى حشرة من أي نوع أن تطا أرضية الفيلا مرة أخرى أبداً ، ولكنني كنت أنظر في هذه اللحظة إلى فشل اختراعي الذى يتمتع به العالم ، لقد شاهدت صرصوراً أمريكياً في حجم إصبع الوسطى والذى يندر وجوده في مصر يقف على إفريز النافذة من الداخل ويحرك قرون استشعاره في تحديد واضح في نفس اللحظة التي تعبت أرجله المشعرة المفصلية في خشب النافذة ليُضُدَّر عن حركته هذا الصوت الذي سمعته أذنى ، كيف دخل هذا الصرصور إلى هذا المكان ؟ كيف وأنا الذي أجريت اختباري على الفيلا كخطوة أولى ، عندما أحضرت مجموعة مختلفة من الحشرات من معمرى ، وأطلقتها في الفيلا بل في جميع أرجائها قبل أن أطلق رشاشي الخاص عليها ، لتقف جميعها في مكانها بلا حراك لثواني خمس ، قبل أن تنطلق إلى خارج الفيلا منسحبة من ميدان المعركة معلنة هزيمتها وفوزي أنا واختراعي في هذا النزال الرهيب ..

ولكن يظل السؤال بلا إجابة ، كيف دخل هذا الصرصور إلى حجرة نومي ؟ هل رشاشي الخاص له صلاحية لفترة قصيرة ؟ أم ماذا ؟

لم أجده إجابة على تساؤلاتي العديدة ، ففركت عيني بأصابعى ثم فتحتها عن آخرهما وعاودت النظر مرة أخرى

الصرصور فلم أجذ شيئاً ، لا صرصور أمريكي ولا حتى هندي، قمت من مكانى وذهبت إلى النافذة قبل أن أقف على بعد نصف متر منها ولم أجذ أي شئ بالفعل عند إفريزها ، مررت يدى على النافذة وإطارها بالكامل فلم أجذ أي حشرات في هذا الموضع .

أرجعت ذلك إلى إرهاق الشديد ، فعندما يزداد الإرهاق في النفس البشرية تقوم الوساوس والهلاوس بدورها على أكمل وجه فيتخيل الإنسان العديد من الأصوات وأ المشاهد الغير موجودة بالفعل .

إذن الحل يكمن في بعض ساعاتِ من النوم العميق ثم العودة إلى العالم الحقيقي مرة أخرى ...
فعلا هذا هو الحل .

استيقظت من نومي على صوت نجوى الحانى وكفها الرقيق
وهي تربت على كتفى برفق ، ففتحت عينى ببطء لتقابلى
ابتسامتها الرقيقة ووجهها الملائكي ، لم أدر لماذا شعرت بألم من
موضع ملامستها لكتفى ولكنه زال من فوره ، ولم أعد أشعر
به ...

”لقد أعددت الغداء“ هزّت رأسي موافقاً ، فابتسمت
بعد أن فهمت إجابتى ثم خرجت من الحجرة في نفس اللحظة
التي ارتكزت بذراعى الأيسر على الفراش كى أنهض منه فإذا
في أهوى إلى الأرض ، لم تحتمل ذراعى اليسرى ثقل جسدى
فقبضت عليها بيمناي فلم أعد أشعر فيها بأى إحساس ...
ما الذى حدث ؟

أقيمت هذا السؤال على نفسي وأنا أتحامل عليها وأقوم من
مكانى لأجلس على الفراش مرة أخرى وأنا أعاود السؤال فلم
أجد إجابة ثم قررت أن أخفى ما أشعر به عن زوجتى حتى لا
تقلق ، واتخذت قراراً حاسماً بذهابى للطبيب إذا ما استمرت
حالتى لوقت طويل .

نهضت من الفراش مرة أخرى وذهبت إلى المائدة لأشارك
زوجتى الطعام متعمداً عدم إظهار ما أصاب ذراعى أمامها ،
انتهيت من تناول طعامى سريعاً ثم ذهبت أبحث عن أبحاثي

وسائل اختراعي ، على بريدي الإلكتروني وشبكات التواصل الاجتماعي .

خمس ساعات كاملة من البحث والفحص والتمحیص في جميع أركان الشبكة العنكبوتية دون أي فائدة تذكر ، فلم أجد أي شيء يخص اختراعي هناك وكأنه لم يكن ، تعجبت لهذا كله العجب ، فمنذ أيام ثلاثة كانت أبحاثي بأكملها على حاسبي الآلي وحافظتى الإلكتروني ، وبريدي الإلكتروني ، لقد كان هذا ديدنِي دائمًا ، أن لا أضع البيض بأكمله في سلة واحدة فلست أكثر من نسخة من أوراقى في أكثر من مكان حتى أجده أيًّا منها في أي مكان وقت احتياجي لها ولكنني في هذه المرة لم أجده إلا عبارةً واحدة على محرك البحث ، لا يوجد ما تبحث عنه ، حتى في وزارة البحث العلمي ، ووزارة البيئة ، فلم أجده أي شيء يمُثُّل بصلةٍ لما أبحث عنْه ناديت زوجتي فاتت مسرعةً ، فأخبرتها بما أنا فيه ، فأخذت رأسي بين ذراعيها واحتضنتها وهي تقولُ مواسية :

- ابحث باكرًا مرة أخرى ، بإذن الله تحدّها .

أبعدت رأسي عنها وأنا أقول والجيرة تحت ملامحي :

- لا يوجد مكان لم أبحث فيه ، هل انشقت الأرض وابتلعتها ، لم يَعُدْ مُتبقياً على السفر إلا يومان فقط ، ماذا

أفعل ، ماذا أفعل ؟؟

ابتسمت زوجتي وقالت بصوٍت حنون :

- اذهب لتأخذ حماماً بارداً يُعيد إليك صفاء ذهنك
واذهب لتنام مرة أخرى ، وفي الصباح عاود البحث ، وكما
يقولون (الصباح رباح) .

لم أجد إلٰ إلا الإذعان لرأي زوجتي ، فقد كنت أشعر بإرهاق
شديد وكأنني جئت من السفر ماشياً على قدمي ، ناهيك عن
ذراعي الأيسر وما حدث به .

استندت على نجوى حتى ذهبت إلى حجرة النوم وألقيت
بنفسي على الفراش وأسبلت عيني وما هي إلٰ ثوانٍ معدودة
إلٰ ووجدت نفسي في عالم آخر ... عالم الاستسلام ، عالم النوم
والألحام .

التفضَّل زوجتى على صوت هاتفي المحمول والذى أضعُه على المنضدة الصغيرة بجانبى دائمًا ، فاللتقطته على الفور بيمناي وعيناي ترقبان منبهَ الساعة الموضوع بجانب الهاتف، لأجدَها تشير إلى السادسة صباحاً ، أجبتُ نداءَ الهاتف لأجدَ الدكتور شاكر ، الذى بادرنى قائلاً أين أنت يا طارق ؟؟ لماذا لم تتصل بي كما اتفقنا يوم الاحتفال ؟

حتى نجهز أنفسنا للسفر إلى لندن ؟ المسؤولون هناك اتصلوا بي أكثر من مرة .

أغمضت عيني محاولاً تجميع أفكارى ، الغريب أننى لا أذكر ما يتحدث عنه وعن المؤتمر وعن السفر إلى لندن ، كل ما أتذكره أننى كنت أبحث عن شئ هام في الحاسب الآلى الخاص بي ، والآن لا أدرى حتى ما هو ، لقد أصبح عقلى صفحة بيضاء خالية من أى رتوش تخص اختراعى ، تمالكت أعصابي وتحدث قائلًا :

- دكتور شاكر ، أستاذُك في ساعة واحدة وسوف أتصل بك مرة أخرى .

أنهيت اتصالى مع الدكتور ثم التفت إلى زوجتى لتفاجئنى دموعها التى انهمرت على وجنتيها بلا توقف ، ضممتها إلى صدرى قبل أن أقول حائراً :

- ما الذى يحدث ؟ أشعرُ أنَّ جزءاً كبيراً من ذاكرتى غير

موجود .

رفعت رأسها عن صدرى وقالت من بين دموعها :

- سلمت من كل شر يا حبيبي ، لابد أن نذهب إلى الطبيب.

ابتسمت قائلاً :

- ليس هناك داعي لذلك ، سأغتسل وأحتسى فنجانا من
القهوة ثم أجمع أفكارى لعل ..

قاطعتنى قائلة بإصرار :

- لا ، لابد أن يراك الطبيب ، كي أطمئن عليك قبل السفر بل
لابد أن أسافر معك كي يطمئن قلبي .

استسلمت لرأيها الذى لم أجذ غيره أمامى ، فقلت لها
سأغتسل الآن وسنتحدث في هذا الموضوع ونحن نتناول
إفطارنا .

حرّكت ساقى اليمنى وعندما حاولت أن أحرك أختها لم
أستطع ، لقد فقدت ساقى قدرتها على الحركة كما حدث مع
ذراعى الأيسر ، ولم أشعر بأى ألم ، اتسعت عينا زوجتى عندما
رأث عدم قدرتى على تحريك ساقى وقالت فزعة :

- ماذا حدث لساشك ؟؟ هل تشعر بألم ؟

ابتلعْتُ ريقى بصعوبة وقلتُ وأنا ألهث من محاولات
لحربيك ساقى اليائسة :

- لا أدرى ما الذى حدث ، والعجيب أننى لاأشعر بأى ألم
بها أو بذراعى الأيسر .

نظرت إلى ذراعى المتبدلى بجانبى وكأنه جثة هامدة وقالت :

- ذراعك !! ما الذى حدث له هو الآخر ؟

لم أجد مفرأً من الاعتراف بما أصاب ذراعى ، فانتفضت
(وجتى في مكانها وقالت معاقبة :

- لماذا لم تخبرنى وقتها عما أصابك ؟ لابد أن نذهب إلى
المشفى حالاً .

قرنت قولها بالفعل ، وهى تسريغ بارتداء ملابسها على عجل
وتتصل بالمشفى القريب من المنزل ، والتى لبى المسؤولون
بها ، النداء على الفور وأرسلوا سيارة إسعاف ، ليتم نقلى إلى
هناك وفي قسم الأشعة تم عمل أشعة لذراعى وساقى وعندما
شاهد الطبيب النتيجة التى وضحتها صور الأشعة ، ظل ينظر
إلي لدققتين كاملتين انتفض قلبي خالاهمَا ، قبل أن يلتفت
إلى زوجتى وتنفرج شفتها ليُلقي بآخر شئ يتوقعه أى بشرى
على وجه الأرض .



عـبـد



الفصل
الثالث





الفصل الثالث

”الخواء“

عقدت زوجتي حاجبَيْها وهي تردد الكلمة التي نطق بها الطبيب متسائلة عن ماهيتها ، في نفس اللحظة التي كنت أدير فيها بصرى بينها وبين الطبيب حائراً خائفاً مما تفوه به ، لم وجدتني أسرع قائلاً :

- ما الذي تعنيه يا دكتور ؟

ترك الطبيب الأشعة على الكومودو المجاور لفراشي ثم عقد ذراعيه أمام صدره وهو يتنهَّد قائلاً :

- أنا أمارس الطب منذ أكثر من خمسة عشر عاماً ، ولم أشاهد طوال حياتي المهنية هذه الحالة ، لا توجد أى خلايا في ذراعك الأيسر ولا ساقك اليسرى ، (ثم عاد يمسك بالأشعة مرة أخرى ويُكمِل قائلاً) ولا حتى أنسجة حتى إنني أتعجب كيف تأخذ ساقك وذراعك استدارتها ما دامت خاوية من مكوناتها التي خلقت بها أولاً ، قبل أن يكسوها الجلد ؟

اندفعْ نجوى قائلةً :

- وما هو العمل يا دكتور؟ هل سنتركه هكذا؟

هزَ الطبيبُ رأسه ذافياً قبل أن يقول :

- سنضطرُ لحجزه لعمل التحاليل الازمة وأشعة مقطعية أخرى حتى نعرف السبب فيما نراه أمامنا، أستأذنكم حتى أنهى إجراءات الحجز.

خرج الطبيب من الحجرة، وترك وراءه الحيرة والقلق، أدوات قتل أي مريض على وجه الأرض، تركنا نبحث عن الإجابات في أعين بعضنا البعض، ولكن هيئات، فلو وجدت إجابات للحياري ما هلكت القلوب، ولكنه وحده من يملك الجواب، إنه الزمن، الذي لابد أن تنتظره دائمًا وهو لا ينتظر أحداً، أبداً.

اقرب إياد مني، وهو الذي ظلَّ واقفاً في نهاية الحجرة طوال حديث الطبيب معي أنا ونجوى، اقترب ثم مس وجهي بكفه الصغيرة، قبل أن يجول ببصره في جميع أنحاء جسدي وكأنه يبحث عن شئ هام ضائع منه قبل أن تسقط دمعة صغيرة من مقلتيه لأتدوّق طعمها في قلبي وهو يقول هامساً:

- أبي، هياً لنذهب إلى المنزل، لا ترقد على هذا الفراش.

لم أتمالك نفسى أمام كلماته الرقيقة الصادقة ، فدمعت عيناي قبل أن أجذبها إلى بيدي اليمنى وأطبع قبلة حانية على جبهته قبل أن التفت إلى زوجتى الغارقة في بحر من الدموع العائرة ، ابتسمت في وجهها بوهنى وأنا أقول :

خذى إيات وادھبى إلى المنزل .

أمسكت بكفى وقبلتها ثم قالت :

سأنتظر معك حتى أطمئن على الأشعة والتحاليل .

ابتلعت ريقى بصعوبة ثم قلت لها راجياً :

اذهبى إلى المنزل ، لا أريده أن يراني راقداً هكذا ، ثم إننى أريدك أن تتصل بالدكتور شاكر وتشرحى له الموقف وتسأليه إن كان من الممكن تأجيل المؤتمر الذى أخبرتنا عنه حتى أتماثل للشفاء .

أوَمأت برأسها موافقة قبل أن تطبع قبلة أخرى على جبها لم تصطحب إيات الذى لوح لي بكفه وهو يغادر المكان مع أمها ، تنهدت بأسى وأنا أنظر إلى ذراعي وساقي بحسرة ، وانطلق عقلى يبحث عما أصابنى ، كل ما أتذكره هو اختراعى الذى سيجعل جميع الحشرات بأشكالها وألوانها ، وكأنها لم تخلق في هذا العالم ، أما ما حدث بعد ذلك لا أتذكر أى شئ منه ، لقد

أصبحت ذاكرتي صفة بيضاء بلا أى رتوش أو خطوط ، هل
ما أنا فيه لعنةٌ من المولى عز وجل لاختراقى لناموس الطبيعة
باكتشاف هذا ؟ لا أدرى .

ما الذى ذكرني في هذه اللحظة بكلماتٍ سمعتها من قبل
تقول ؟ :

تسعى النفوسُ في هذه الدنيا لتناول رضا مولاها ، ولكنها لا
تدرى ما الذى يُحاك لها في الخفاء ..

هل هناك شئٌ يُعدُّ لي ، وهذه ما هي إلا البداية ؟ هل ؟؟
ولم أجد إجابةً في هذا الوقت ، على الأقل .

أوقفت نجوى سيارتها أمام البوابة الخارجية للمستشفى الخاص الذي يتواجد فيه طارق ، ترجلت منها في عجل إلى داخل المستشفى ، كان القلق على زوجها ينهش نصالة الحادة ، في قلبها بعد أن تركته أمس وحيداً في حجرته هناك ، ...

تركت إيمان عند إحدى صديقاتها كي لا يرى أباها في هذه الحالة التي يُرثى لها ...

وصلت إلى حجرة زوجها ولكنها وجدت الفراش خالياً ، أخذت تتلفت حولها بحثاً عنه فلم تجده ، فأسرعت إلى ممرضة حسنة تجلس أمام (الكاونتر) الخاص بالاستقبال وسألتها عن (طارق) فأخبرتها أنه تم نقله إلى العناية المركزة أمس بأمر من الطبيب المعالج ، سألتها نجوى عن مكان الرعاية ، فأشارت الممرضة إلى الطبيب الذي كان يقطع الممر إلى وحدة العناية الفائقة ، فأسرعت إليه وسألته عن زوجها ، فزم شفتيه في أسى وقلة حيلة قبل أن يُخبرها أن طارقاً ارتفعت درجة حرارته أمس إلىأربعين درجة وارتفع معها مستوى الضغط والسكر في الدم ، مما تطلب وضعه تحت العناية الفائقة ، ثم أخبرها أنه في طريقه إليه الآن ، ذهبت معه لطمأن على زوجها وكالعادة منعها الطبيب من دخولها للحجرة حتى يطمئن على الحالة ، ولكنها استطاعت رؤيته من خلف الحاجز الزجاجي الضخم للمكان ، اقترب الطبيب من طارق وبرفقته الطبيب الممارس

وإحدى الممرضات ، فحص الطبيب المعالج جسد المريض ثم ابتسم وهو يلتفت إلى نجوى ويشير إليها أن زوجها أصبح بخير وأن حالته أصبحت مستقرة ، اغروقت عيناهما بالدموع وهي تتبع إشارات الطبيب ، ثم أصبحت أنهاً غزيرة عندما أدار طارق رأسه إليها ببطء ثم ابتسَم فأشرقت شمسه في وجهها لتشعُّ البهجة والسعادة في حياتها مرةً أخرى ...

وما هي إلا لحظاتٌ وقد تغيَّر الحال ، فدؤام الحال من المحال فقد اتسعت عيناً طارق عن آخرهما قبل أن تتحول مقلتاه إلى اللون الأحمر القاني ، ويفتح فمه عن آخره ، ثم يتحول في لحظةٍ إلى كيان هشٍ خاويٍ عبارة عن غطاءٍ جلديٍ فقط بلا أي خلايا أو أنسجة أو حتى عظام ، وفي اللحظة التالية انطفأ نورُ الحياة من مقلتيه ، اندفع إليه الطبيبان والممرضة في محاولةٍ يائسة لإسعافه ولكن بلا فائدة ، اندفعت نجوى تطرق على زجاج الحجرة السميك بعنف وكيانها كله ينتفضُّ من الخوف والجزع على زوجها ، ثم فتحت بابَ الحجرة وأسرعت إلى جثته تتحسَّسُها برفقٍ وتناديه بصوتٍ خافت ولكن هيئات .

اندفعت نحوها الممرضة تحاول إبعادها عن طارق ولكنها تشبث بجثته وكأنَّ فيها حياتها ، وفجأةً تحوَّل جسدُ طارق إلى مصفاةٍ عديدةٍ الثقوب اندفع من كلِّ ثقبٍ فيها نوعٌ معين

من أنواع الحشرات ، صراصير ، بعوض ، خنافس ، ذباب وحتى
قارب ، وجميعها تطير وتترفرف بأجنحتها بقوٰه وثقة ، أحاطت
بالجثة وكلما اقترب أحدٌ من الموجودين بالمكان هاجمتُه بكل
شراسة قبل أن تأقى على عملٍ من الأعمال الخارقة للملووف ،
لقد انقسمت إلى نصفين ، النصف الأول تسلل إلى أسفل
جثة طارق الهشة ثم رفعتها عن الفراش إلى منتصف فراغ
الحجرة أما النصف الثاني فقد أحاط بالجثة من أعلى قبل أن
ينقض الفريقيان على الجثة مرة أخرى ليلتهمُوا الكيس الجلدي
المتبقي منها ، حتى اختفت تماماً ...

انهارت الممرضة تماماً وسقطت أرضاً وهي تصرخ صرخاتٍ
سريعة ومتقطعة من هول ما رأت ، أما نجوى فقد فقدت
الوعي بمجرد خروج الحشرات من جسد زوجها ، فلم تحتمل
هذا المشهد الخارق عن المألوف ، أما الطبيب الممارس فقد
أفرغ ما في معدته مع بداية المشهد ، الوحيد الذي اتخذ
الإجراء الصحيح في هذا الموقف هو الطبيب المعالج ، الذي
ضغط على زر الطوارئ الموجود بجوار الفراش ثم اندفع
مغادراً الحجرة وهو يُغلق الباب وراءه بإحكام ، تاركاً زميله
مع نجوى والممرضة بصحبة أخطر الكائنات على وجه الأرض
.... الحشرات .

انطلق الطبيب المعالج يعدو كالمجنون بين طرقات المستشفى وهو ينادي على رجال أمن المستشفى الذين أسرعوا لتلبية ندائـه على الفور ، فأشار بيده ناحية حجرة طارق وهو يقول بصوت مرتجم مذعور :

- أسرعوا ، أسرعوا ، هنا في الحجرة ، الحشرات .

اندفع رئيس الأمن إلى الحجرة وهو يشير إلى رجاله ، أن يتبعوه ، فاستلـ كلـ واحدـ منهمـ سلاحـه ، وانطلقـواـ إلىـ الـهـدـفـ، كانواـ ثلاثةـ رجالـ أـشـدـاءـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ قـائـدـهـمـ العـلـمـاـقـ والـذـيـ تـجاـوزـ اـلـمـتـرـينـ طـولـاـ وـمـحـيـطـ صـدـرـهـ يـتـعـدـىـ اـلـمـتـرـ عـرـضاـ، اـقـتـحـمـ الـأـرـبـعـةـ الـغـرـفـةـ فـلـمـ يـجـدـواـ غـيرـ جـسـدـ نـجـوـيـ الـمـسـجـنـ أـرـضاـ وـالـطـبـيـبـ الـذـيـ تـكـوـرـ عـلـىـ نـفـسـهـ فـيـ أـحـدـ أـرـكـانـ الـغـرـفـةـ وـهـوـ ماـ زـالـ يـتـقـيـاـ مـاـ فـيـ مـعـدـتـهـ حـتـىـ قـارـبـ أـنـ يـتـحـوـلـ إـلـىـ مـوـمـيـاءـ مـنـ كـثـرـةـ مـاـ فـقـدـهـ مـنـ سـوـاـئـلـ ، أـمـاـ الـمـمـرـضـةـ فـقـدـ اـرـتـكـنـتـ إـلـىـ الـفـرـاشـ وـهـىـ تـحـمـلـقـ فـيـ سـمـاءـ الـغـرـفـةـ وـلـسـانـهـ يـتـحـركـ دـاـخـلـ حـلـقـهـ عـلـىـ نـحـوـ مـثـيـرـ لـلـشـفـقـةـ ، لـمـ يـجـدـ قـائـدـ الـأـمـنـ وـلـاـ رـجـالـهـ أـيـ نـوـعـ مـنـ الـحـشـرـاتـ فـأـخـذـ يـتـلـفـتـ هـوـ وـرـجـالـهـ حـوـلـ أـنـفـسـهـمـ وـأـسـلـحـتـهـمـ مـشـهـورـةـ فـيـ أـيـديـهـمـ مـلـحـارـبـةـ عـدـوـ وـهـمـ خـارـجـ حـدـودـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ .

ومع صوت ارتجاج الباب الإلكتروني الذي أغلق عليهم

من الخارج ارتجفت قلوبهم بين أضلاعها واندفعوا إلى الباب
يحاولون فتحه مرة أخرى ولكن هيهات ، لقد أحكمت
الحشراتُ الفخ عليهم وانطلقت إلى هدف آخر ، ارتفعت
له صرخات جميع العاملين في المستشفى طلباً للنجاة من
هذا الهجوم الكاسح الذي أعدته الحشرات لبني البشر ، لقد
انطلقت بأعدادها الغفيرة إلى جميع غرف المرضى المتواجدين
في قسم العناية الفائقة وغيرها من الأقسام العديدة في هذه
المستشفى الخاصة الشهيرة .

انطلقت لتفعل ب أجساد المرضى نفس ما فعلته بجسد
طارق ، الاتهام .

كانت تنقض على المريض من أسفل منه وأعلاه حتى تأتي
عليه تماماً ثم يختفي بلا أثر .

العجب أن جميع الحشرات وباختلاف أنواعها ، كانت
تطير وتحلق حتى الزاحفة منها مما أثار المزيـد من الرعب
والفزع في نفوس جميع الأطباء والعاملين في المستشفى ، ومع
انطلاق أذان الظهر من المسجد المجاور للمستشفى الذي
اختلط بصوت سارينات سيارات مكافحة الإرهاب والشرطة
وقوات الأمن العام والذي اتصل بهم قائد الأمن المسجون
هو ورجاله إجبارياً في حجرة طارق في محاولة منه لتدارك

الأمر، لم يَعُدْ في المستشفى غيرُ أطباء وممرضين فقط وحوائط
المستشفى ولكن بلا مرضى ، لقد انتصرت الحشرات في هذه
الجولة ، وأقتُلَتْ على الأخضر واليابس ، كما تأتي الأكلة على
قصعتها .

"ما يحدث ما هو إلا هراء"

خرجت هذه العبارة الساخطة من فم مدير أمن العاصمة وهو يجتمع مع نخبة كبيرة من اللواءات ورؤساء فرق وحدات مكافحة الإرهاب في مبنى الأمن العام، فسرّت همّة بين الحضور قبل أن يُكمل مدير الأمن قائلاً:

- السيد وزير الداخلية غاضب جداً لما حدث، وطلب مني تفسيراً لما حدث في هذه المستشفى في أقل من أربع وعشرين ساعة، قبل اجتماع الغد لمناقشة هذه الكارثة الرهيبة.

صمت لثوانٍ ليلتقط أنفاسه ثم أكمل قائلاً:

- المصيبة الكبرى هي وجود وزير خارجية فرنسا وعدد من المشاهير في المستشفى في هذا التوقيت للعلاج وكانوا تحت الملاحظة في قسم العناية الفائقة.

فتح فمه ليُكمل حديثه في نفس اللحظة التي ارتفع فيها رنين الهاتف المجاور له، فاللتقطه على الفور ثم صمت لثوانٍ قبل أن تتسع عيناه وهو ينظر في ساعته، ثم يعاود الاستماع مرة أخرى لنصف دقيقة كاملة قبل أن يقول وهو يتنهّد بفراغ صبر:

- تمام يا أندم.

وضع سماعة الهاتف ثم التفت إلى الحضور وقال بلهجته حازمة حاول أن يُخفِّي بها توتره:

- السيد وزير الداخلية ، حدد موعد الاجتماع ، سيكون غداً في العاشرة صباحاً ، بحضور السيد رئيس الجمهورية أى أنه لم يعذ أمام حضراتكم إلا عشر ساعات فقط للإجابة عن الكثير من الأسئلة التي سيطرحها عليكم سيادة الرئيس ، مهمتكم عسيرة ، أدعكم الله .

انقضَ الاجتماع وانطلق رؤساء القطاعات لعقد اجتماعات مصغرة سريعة لجسم أمر هذه الحادثة التي أثارت الرأي العام في هذه الساعات القليلة ، وأعلنت فرنسا استيائها من هذا الحادث العجيب والذي اختفى على أثره وزيرُ خارجيتها الذي أصابته أزمة قلبية طارئة فتم نقله إلى هذه المستشفى والتي كانت قريبةً من موكبه في هذه اللحظة ، وهناك كان ما كان ، لقد أثار ذلك الحادث عدة تساؤلات في جميع الأوساط السياسية وأثار حفيظةَ الرئيس الفرنسي ذاته ، ووضعَ مصر في موقفِ حرج أمام جميع دول العالم فأصبحت هي الدولة التي لا تستطيع حماية زائرها .

كل هذا دار في رأس مدير الأمن وهو يصعد درجات سلم منزله ، كان يشعر وكأنه يحمل مصائب الدنيا على كتفيه ، وراح عقله يرسم تصوراً لاجتماع الغد مع السيد رئيس الجمهورية الذي نادراً ما كان يجتمع معهم ، ولكن الأمر يستحق بالفعل ، فكَ رباطاً عنقه وهو يدخل من باب شقته فأسرعت إليه زوجته لتحتضنه وتقول في سعادة :

حمدًا لله على سلامتك .

ازاحها عنْه برفق وقال وهو يخلع سترته :

الله يسلامك .

ترك لها سترته ثم اتجه إلى غرفة نومه وهو يقول :

سأحصل على قسط من الراحة ، أيقظيني في السادسة صباحاً .

لم تجادله زوجته وتركته يذهب إلى الفراش ، فهى اعرفه وتعرف أحواله منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً ، عندما يكون متعباً لا يحب أن يتحدث إليه أحد حتى ينال مبتغاه ،

أغلق باب غرفته ثم ألقى بجسده على الفراش دون أن يستبدل ملابسه ، وبينما تُغلق عيناه أبوابها مودعة التعب والإرهاق لتناول راحتها ، التقطت بقايا أعصابها الحسية اليقظة حشرة الدعسوقة ② تقف عند إفريز الشرفة الكبيرة التي تطل على الحديقة الخلفية متنزلاً ، فعقد حاجبيه ثم أغلق عينيه وفتحهما بصعوبة فلم يجد شيئاً ، وكما حدث مع طارق ، أرجع ذلك للتعب والإرهاق الذي يُعاني منها لأكثر من يومين كاملين لبعض الهلاوس السمعية والبصرية ، أدار ظهره للشرفة وأغمض عينيه واستسلم للنوم ، في نفس اللحظة التي ظهرت فيها الدعسوقة مرة أخرى على الشرفة وهي تبتسم ساخرة !!



عرب



الفصل
الرابع





الفصل الرابع

جاء الصباح التالي شديد الحرارة كأنه نار الله الموقدة على الأرض ..

وَقَبَعَ مُعَظَّمُ النَّاسِ فِي مُنَازِلِهِمْ أَمَامَ الْمَرَاوِحِ أَوْ أَجَهِزَةِ التَّكِيفِ، هَرِيَّاً مِّنْ أَشْعَةِ الشَّمْسِ الرَّهِيبَةِ، الَّتِي بَاتَتْ وَكَانَهَا فَرَرَتْ أَنْ تَدْنُوَ مِنْ رُؤُوسِ الْعِبَادِ قَبْلَ مِيعَادِهَا مَعَهُمْ يَوْمَ الْحَشْرِ الْعَظِيمِ.

وَتَضَامَنَأَ مَعَ ارْتِفَاعِ دَرْجَةِ الْحَرَاءَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، ارْتَفَعَتْ حَرَاءَ غَرْفَةِ الْاجْتِمَاعَاتِ بِمِبْنَى الْآمِنِ الْقَوْمِيِّ وَالَّتِي ضَمَّتْ وزَيْرَ الدَّاخِلِيَّةِ وَرَئِيسَ أَمْنِ الدُّولَةِ وَعَدْدًا كَبِيرًا مِّنَ الْلَّوَاءَاتِ مَا عَدَ مدِيرَ أَمْنِ الْعَاصِمَةِ، أَخْذَ وزَيْرَ الدَّاخِلِيَّةِ يَنْظُرُ فِي سَاعَتِهِ وَيَنْفَخُ الْهَوَاءَ السَّاخِنَ مِنْ فَمِهِ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ أَجَهِزَةَ التَّكِيفِ تَعْمَلُ بِكَاملِ قَدْرَتِهَا وَسَرْعَتِهَا عَلَى تَوْفِيرِ جِوِّ مَنْاسِبٍ لِلْمَكَانِ، إِلَّا أَنَّ وزَيْرَ الدَّاخِلِيَّةِ كَانَ بِدَاخِلِهِ بِرْكَانٌ هَادِرٌ يُلْقِي بِحِمَمِهِ الْمُمِيَّةَ مِنْ فَمِهِ وَهُوَ يَقُولُ :

- كيف يتأخر مدير أمن العاصمة نفسها عن هذا الاجتماع الهام؟

قبل أن يُجيئه أي أحد من الحضور ، سمع الجميع صوت طرقات هادئة على باب غرفة الاجتماعات قبل أن يدفع مدير الأمن الباب بهدوء ، ويدلف إلى القاعة وشفتاه تحملان ابتسامة عجيبة ، تجمع بين الهدوء والسخرية في نفس الوقت ، مما زاد من غضب الوزير فقال بحدة :

- لماذا تأخرت يا مدير الأمن ؟

لم يُجبه المدير على الفور ، بل أدار بصره في وجوه الحاضرين قبل أن تنقلب سحنته على نحو مخيف ويقول بهدوء قاتل :

- أين السيد رئيس الجمهورية ؟

طريقته الهادئة في إلقاء السؤال وتغيير ملامحه ، جعل الوزير يعقد حاجبيه ، وتحرك خوف منهم داخل ثنایا صدره قبل أن يتوزع هذا الخوف على كل من في الحجرة ليأخذوا نصيبهم منه بالتساوي ، تمالك وزير الداخلية أعصابه بشجاعة يُحسد عليها قبل أن يقول بصوت خافت :

- لقد اعتذر عن الحضور وسيتابع معنا الاجتماع عبر الفيديوكونفرانس .

قال عبارة وهو يشير إلى شاشةٍ ضخمةٍ تُحتلُّ مساحةً
كبيرًا من القاعة، ثم ضغط على زر التشغيل بجهاز التحكم
عن بعد، فأضاءت الشاشة على الفور لتبهر صورة مجسمة
للسيد رئيس الجمهورية وهو جالسٌ في مكتبه داخل القصر
الجمهوري، فاتسعت ابتسامة مدير الأمن وقال بهدوئه
المُخيف:

- رائع.

“ صباح الخير ”

ألقى السيد الرئيس التحية على الجميع، فأشار وزير
الداخلية إلى مدير الأمن بالجلوس بجانبه، فأطاعه على الفور
فما أَلْهَى عليه الوزير وقال بحسنه:

- حسابنا بعد انتهاء لقائنا مع السيد الرئيس !

ألقى وعيده ثم تبعه برد التحية على السيد الرئيس ولم
يلتفت إلى مدير الأمن مرة أخرى الذي تجمدت ملامحه
طوال حديث الرئيس الذي عنف الجميع واتهمهم بالتقدير
والإهمال، وطالبهم بسرعة وضع حل لما يحدث في البلاد،
وفجأة صمت الرئيس لنصف دقيقة كاملة، وهو يتأمل في
شيء ما، قبل أن تنقسم الشاشة إلى نصفين، ظهر في أحدهما
السيد الرئيس وهو يشير إلى النصف الثاني من الشاشة ويقول

في ذهول :

- ما هذا ؟؟

عقد وزير الداخلية وهو يُحذّق فيما يُشير إليه السيد الرئيس لثوانٍ قبل أن يقبض على مسند مقعده بقوة في نفس اللحظة التي سارت هممة بين باقي الحضور ، فقد كان ما يشاهدونه على الشاشة شيئاً لا يصدقه عقل في هذا الوقت بالذات ، ولكن الأعجب من ذلك ، هو ما قاله مدير الأمن ردأ على رئيس الجمهورية عندما قال :- هذا ما نريده .

وفي اللحظة التي تلت عبارته ، انفجر جسدُه انفجاراً مكتوماً في وجوه كل من بالقاعة ليتحول إلى مجموعة ضخمةٍ من الحشرات المختلفة والتي ملأت القاعة عن بكرة أبيها قبل أن تنقض على وزير الداخلية ومعاونيه لينطلق صراخُهم والحشرات تمتلئ دماءُهم ثم تتغلغل إلى ما تحت جلودِهم لتحولهم في لحظاتٍ إلى أوعيةٍ فارغةٍ ، ثم تبدأ في التهام الجلود نفسها ، وما هي إلا ثوانٍ قليلة حتى فرغت القاعة تماماً من بنى البشر ، وأمامَ عينَي الرئيس الذهلة تجمعت الحشرات مرة أخرى لتتشكل في صورة مدير الأمن مرة أخرى ، الذي اقترب من الشاشة وعلى وجهه غضبٌ رهيبٌ وهو يُشيرُ إلى رئيس الجمهورية ويقول :

- دورك قادم .

قال عبارته ثم استدار إلى باب القاعة وفتحه بهدوء ثم أطلقه خلفه فاقترب منه رئيس الحرس ليقول باحترام :

- هل انتهى الاجتماع يا سيدى ؟!

لوح مدير الأمن بكفه وهو يسير بخطى ثابتة ناحية باب الخروج ويقول :

- لا لم ينتهِ بعد ، ولكننى في طريقي لإتمام أمرِ هام ،
استدعى الحرس ،

أطاعه رئيس الحرس على الفور ، فأدلى فمه من جهاز الإرسال الموضوع بعنايةٍ في سترته من الداخل وألقى للحرس بأوامره بالاستعداد لخروج السيد مدير الأمن ، ولم يدُرْ في خلده للحظةٍ أنَّ قاعة الاجتماعات أصبحت خاويةً على عروشها ، وأنَّ من يقوم على حراسته ما هم إلَّا مجموعةٌ من الحشرات تحمل بأمعائهما بقايا أهم رجال في الدولة .

ما الذي يحدث؟

ألقت نجوى هذا السؤال على نفسها وهي تفتح عينيها في صباح اليوم التالي للأحداث الرهيبة التي شهدتها المستشفى التي كان مُحتجزاً بها زوجها طارق العالم المصري الذي أثار اختراعه اهتمام العالم بأسره ، كل ما كانت تذكره هو أن زوجها قد مات أمام عينيها أكلتهُ الحشرات ولم تُبقي على عظمٍ واحدةٍ من عظامه .

مشهد رهيب أثار غثيانها فأسرعت إلى الحمام لتُخرج ما في معدتها من طعام وشراب ولأنها لم تأكل شيئاً منذ يومين فلم يخرج من جوفها إلا عصارة المعدة الصفراء .

هل أعلنت الحشرات الحرب عليها وعلى زوجها؟

ثم إن وجود الحشرات مرة أخرى يعني فشل اختراع طارق، فلماذا يحدث كل هذا؟ أشياء لا يصدقها عقل بشري مهما حكى لها وأقسمت بأغلظ الأيمان ، حمدت الله أن إياد لم يكن معها في هذه اللحظة ، ولا كان معها أيضاً في مبني الأمن القومي ، حيث تم التحفظ عليها هناك وسؤالها عما تعرفه عن الحادث ، وطوال عشر ساعات من التحقيقات لم يتم التوصل إلى شيء يذكر فتم الإفراج عنها ووضعها تحت المراقبة

هلى يَجِدُّ جَدِيدًا في الأمر ، خرجت من المبنى وذهبت على الفور إلى صديقتها وأخذت ابنها ورجعت إلى البيت كي ينام بين أحضانها حتى تطمئن عليه ، فحُضنها هو آمنٌ مكانٌ له في هذه الدنيا .

رجعت من الحمام إلى حجرتها وقلبها يدمى ، على فقدان الحبيب والزوج نظرت إلى ساعة الحائط فوجدتها تشير إلى العاشرة صباحاً ، لقد كان من المنتظر أن يكون طارق رحمه الله الآن في لندن لحضور فعاليات المؤتمر هناك قامت من مكانتها وأمسكت بجهاز التحكم عن بعد ووجهته إلى التلفاز الذي اشتغل على الفور لينقل وقائع الاحتفال بحضور عدد كبير من رجال العلم والثقافة والسياسة من جميع دول العالم ، دارت الكاميرا في وجوه الحاضرين لتسقّر على وجه الدكتور شاكر ، الذي أخذ ينظر في ساعة يده بقلق وتوتر وترقب قبل أن تنهي أساريره ويسرع الخطى إلى شخص ما قادم من الباب الرئيسي لقاعة المؤتمر الكبير ، فعلى الرغم من أن نجوى تركت رسالة على الهاتف للدكتور شاكر تخبره بمرض طارق المفاجيء ، وطلبتها بتأجيل المؤتمر بناء على كلام طارق لها ، إلا أن استقبال الدكتور شاكر للشخص الذي يدخل الآن قاعة المؤتمر جعلها تقفز من مكانها وتجلس أرضًا أمام شاشة

التلفاز مباشرة ، وعيناها تتسعان في مزيج عجيب يجمع بين
الخوف والرعب والدهشة والفرح في نفس الوقت فالقادمُ هو
آخر شخص من الممكن أن يحضر المؤتمر في هذه اللحظة، آخر
شخص من الأحياء .



- أليس ذلك هو المصري الذي أعلن المصريون وفاته ؟

لطق رجل المخابرات الفرنسي المحنك أنطوان بهذه العبارة وهو يشير بيده إلى الشاشة الكبيرة التي تحتل جزءاً كبيراً من الماء المواجه مكتب رئيسه ، الذي التقط عويناته من على المكتب ثم ارتدتها على عجل وهو يدقق النظر في ما يشير إليه رجله ثم قال :

- نعم هو ، ولكن لماذا أعلنت الحكومة المصرية وفاته هو وزير خارجيتنا؟ لأبعد من التدخل فوراً لكشف غموض هذه الأحداث وعودة الوزير سالماً إلى هنا .

التفت إليه رجل المخابرات الفذ وقال :

- أنا تحت أمرك .

قال المدير على الفور وهو ينظر في ساعته :

- أعتقد أنه يمكنك أن تسافر إلى لندن بعد نصف ساعة من الآن ، على إحدى طائراتنا الخاصة كي تلحق المؤتمر قبل نهايته وتأتينا بالإجابات التي تحيرنا .

اعتل أنطوان في وقفه العسكرية ثم قال :

- علم وينفذ .

لم يَزِدْ على كلمته بحرف واحد وهو يغادر مكتب مدير المخابرات الفرنسية إلى المطار مباشرةً، وطوال رحلته كان يتبعُ حديث طارق، كلمة بكلمةٍ حتى أتى إلى جزءٍ من حديث العالم المصري فانتقضَ من مقعده وأمسك بمقعدِ المؤاخي له والذى يحملُ في ظهره شاشةً عرضٍ صغيرٍ تنقلُ وقائعَ المؤتمر، لقد كانت كلمة طارق في هذه اللحظة في منتهى الخطورة، وستقلب المؤتمر رأساً على عقبٍ بل وأوروبا بأسرها، فما كان يُقالُ لم يكنْ في الحسبان ... أبداً.

لمساعدتُ أصواتُ التصديق الحاد الذي أعقبَ دخولَ طارق لقاعة المؤتمرات الكبرى بالعاصمة لندن ، كان يدخلُ إلى القاعة وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة وهو يُدِيرُ بصره في جميع الحضور فاندفعَ إليه الدكتور شاكر قائلاً :-

- لماذا تأخرتَ ؟ الجميعُ هنا ينتظرون قدومك بدءاً المؤتمر، التفتَ إليه طارق ثم قال وهو يضع كفه اليمنى على كتفِ شاكر اليسرى وهو يمْيلُ عليه :

- دعهم ينتظرون يا عزيزي ، ثم إنني اتصلت بك وقلت لك أنني في الطريق ، ولقد تعوَّذْتُ أن أفي بكل وعدى .

هزَ الرجل رأسه مؤيداً لكلام طارق ثم قال وهو يسير معه إلى المقاعد الأمامية :

- لذلك تحدثت إليك بعد حديث زوجتك معى واعتذارك عن الحضور ولكنك أجبتني بأنك أصبحتَ في أفضل حالٍ وأنك لن تتأخرَ عن حضور المؤتمر .

لم يتحدث إليه طارق بعد هذا الحوار بأيَّ كلمةٍ حتى جاءت اللحظة التي سيلقي فيها بكلمته فصعدَ إلى المنصة بهدوءٍ ووقار ثم قام بتحية الجميع ثم تكلَّم عن احتراعه حتى آن للختام فقال :

- ومن هنا من قلب العاصمة البريطانية لندن ، أتوجَّهُ بكل الشكر والتقدير والثناء لدولة إسرائيل لدعمها لي ولاختراعي طوال سنوات العمل والجُد والاجتِهاد ، فلم تبخُل على إسرائيل بأى مالٍ أو جهدٍ أو أجهزةٍ طوال فترة عملِي ، تحياتي للدولة التي ترعى العلمَ والعلماء .

تركَتْ كلماته مشاعرَ متبَاينة عند الحضور كان أكثرُها قوَّةً وشدةً على الدكتور شاكر ومعظم علماء أوروبا والشرق الأوسط الذين جاءوا من كل مكان في العام لدعم العالم المصري ومباركة اختراعه العظيم ، ولذلك فقد سرتْ همَمَة كبيرة في المكان واندفعَ الدكتور شاكر إلى طارق ليعنفهُ ويُسألهُ عما فعله فوق منصة العلم والعلماء ، ولكنه مع الزحام الشديد لم يتمكَّنْ من الوصول إليه ، أما طارق فقد ألقى نظرَة عامة على الجميع أتبعها بابتسامةٍ ساخرة ثم تحرك ناحية بابِ جانبي إلى خارج مبنى المؤتمرات بأكمله ، استقلَّ إحدى سيارات الأجرة القابعة أمام المبنى ثم أشار للسائق بالانطلاق ، وقبل أن تتحرَّك عجلاتُ السيارة شيئاً واحداً ، كان البابُ الجانبيُّ لطارق يفتح ويدخلُ إلى السيارة ، رجلٌ طويلٌ عريضُ المنكبين له عينان حادتان وأنفٌ معقوفٌ كأنف الصقر ، فابتسم طارق وقال :

- من أنت ؟

نظر الرجل إلى الأمام وقال :

- بيريز من الموساد الإسرائيلي .

لم تحدث إلى السائق قائلاً :

- على منزلنا يا دان ، فقد حان وقت تناول الإفطار .

انطلق السائق على الفور فابتسم طارق مرة أخرى وقال

هادئاً :

- جميل جميل ، إن هذا يتفق مع مُخططي تماماً .

التفت إليه بيريز في حدة خاصة وأن طارق قد نطق عبارته الأخيرة باللغة العربية ، ولكنه لم يفهم مقصد طارق في هذه اللحظة ، حتى وصلت السيارة إلى السفارة الإسرائيلية في لندن ودخل بصحبة بيريز إلى هناك ، إلى قلب الهدف .



عَيْد



الفصل
الخامس





الفصل الخامس

”ليس كل ما تراه العين يصدقه العقل“

ضربت هذه العبارة أذنَّ نجوى واستقرت في تلaffيف مخها، وخاصة عندما خرجت من أعز الأشخاص إلى قلبها في هذا الكون ، من صغيرها إِياد ، استدارت على الفور إليه لتجده قد نَحَوْل إلى جرارة ③ ضخمة احتلت الفراغ الموجود بين السرير والحائط ، كان منظُرُه غريباً فقد استقرَّت رأسُه بدلاً من رأس الجرارة على جسد هذا الكائن المخيف وارتفع ذنبُها فوق رأسها ليتحرك يميناً ويساراً بترقب ، يبحث عن من يُعطيه الشمَّ الذي يستقرُّ في محققته ليريحه من الدنيا وما فيها .

أطلقت نجوى صرخة هائلة واندفعت إلى الباب مُحاولة الهرب ولكنَّ إِياد أسرع بغلق الباب بأحد أرجله الضخمة فاسرعت إلى النافذة الكبيرة والتي تطل على الحديقة الخلفية وألقت نفسها منها بلا تردد لتعبرَ الفراغ بسرعة كبيرة قبل أن تبدأ رحلة الهبوط إلى الأرض... والتقطها الصغير .

لقد رفعَ ذَبَّهُ بسرعةٍ رهيبةٍ ثم قذفه ناحيتها وهي تعبِّرُ
الفراغ إلى الأرض لتعثرَ ثيابُها به ، ثم سحبها ببطءٍ وسط
صراخها الذي لا ينتهي .

نظر ابنها إلى عينيها بهدوءٍ ثم فتح فمه عن آخره ، والتقطها
على الفور ، حتى أنها لم تتمكن من الصراخ ، التقطَ نفساً
عميقاً ثم تجشأ بصوتٍ عاليٍ قبل أن يتحلل جسده في ثوانٍ
قليلة ليتحول في النهاية إلى بركةٍ من الدماء ما لبثت أن جفتْ
بسرعةٍ قبل أن ينمحى أثرُها من عالم الأحياء ، ولو شئنا الدقة
من عالم الإنسان .

ما إن تحرّكت سيارة الأجرة التي تُقلُّ طارق وبيريز، حتى
تحرّكت على إثرها سيارة حديثة من نوع ألفا روميو ، بهدوء
وعلى مسافة مناسبة ، حتى لا تثير أى شكوك في نفس ضابط
المخابرات الإسرائيلي ، اندفعت ذكريات قرية كالطوفان في
عقل سائق السيارة وهو يتذكّر دعوة مدير مكتب المخابرات
المصرية في لندن ، له في مكتبه قبل أن يقول بلهجةٍ آمرة :

- هناك أوامر صادرة من القاهرة ، ومن السيد مدير
المخابرات المصرية بنفسه والذى هو الآن مع السيد رئيس
الجمهورية والسيد رئيس الوزراء ، في اجتماع مغلق في مبنى
رئاسة الجمهورية ، لقد صدرت لنا أوامر محددة ، بأن نتحفظ
على العام المصري الذي يُلقى كلمته الآن في المؤتمر العلمي في
قلب لندن ، اذهب إلى هناك على الفور ولا تُعذ إلا به ، لقد
قالها علانية هناك أنه يدين بالولاء لدولة إسرائيل .

اعتدل المقدم أحمد نعمان أحد أكفاء رجال المخابرات
المصرية في لندن ، في مقعده ثم قال بلهجةٍ حازمةٍ :

- هل لا بد من إحضاره حياً يا سيدى ؟

تراجع مدير المكتب في مقعده بهدوء قبل أن يقول :

- لا بد من إحضاره حياً يا أحمد حتى يتم استجوابه ،
ومعرفة سبب هذا التصريح الذي أعلنه أمام العالم بأكمله .

قام ضابط المخابرات الفذ من مقعده على الفور ثم قال :

- قام يافندم .

أتم عبارته ثم اتجه إلى قاعة المؤتمرات الكبرى بلندن ، وما إن اقترب بسيارته من هناك حتى شاهد طارق يخرج من البوابة مسرعاً ويستقل سيارة من سيارات الأجرة ، وانتفض أحمد في مقعده بعنف ، عندما شاهد غريميه اللدود ، رجل المخابرات الإسرائيلي بيريز يفتح الباب المجاور لطارق ويستقر بجانبه قبل أن تنطلق السيارة على الفور ، لم يكن أمام أحمد إلا أن يتبع سيارة الإسرائيلي حتى يصل إلى هدفه الرئيسي ، طارق ، ذلك العالم الذي أثار ضجة هائلة بتصریحه الغريب والعجب ، والمُشين في نفس الوقت لمصر ولأبنائها .

توقفت السيارة أمام مبنى السفارة الإسرائيلية ، ثم ترجل منها بيريز وطارق بهدوء ، قبل أن تنطلق مرة أخرى وتختفى في أحد الشوارع الجانبية ، دخل الاثنان من بوابة السفارة وبيزير يرفع بطاقة هوية صغيرة أمام قائد الحرس الرابض على البوابة ، قبل أن يُفسح الطريق للرجلين ثم يغلق البوابة مرة أخرى بهدوء ، في نفس اللحظة التي أوقف أحمد سيارته في الجهة المقابلة للسفارة ، وظل بداخلها لربع ساعة ، وهو يعقد حاجبيه مفكراً في الخطوة القادمة ، هل يقتحم السفارة

ويُلْبِسْ على طارق ليسلمه إلى مكتب المخابرات المصرية في
العاصمة البريطانية ؟ ولكن عقله رفض الفكرة تماماً ، وذلك
لأنه في هذه اللحظة عليه مواجهة جميع رجال أمن السفارة
أم بعد ذلك عليه مواجهة ما هو أخطر ، رجل المخابرات
يز ، فما هي الخطة المناسبة لبلوغ الهدف ؟ هل من الممكن
أن ...

توقف عقله عن التفكير لينتقل للدهشة دفعة واحدة ،
لقد وجد طارق يغادر مبنى السفارة بهدوء وثقة ، وهو يضع
أله اليسرى في جيبه ويرفع اليمنى ليُلْوَح بها لأحمد ، ويبتسمُ
بسخرية قبل أن يدور على عقبيه ويسير بهدوء مبتعداً عن
السفارة بسرعة متوسطة .

نزل أحمد من سيارته وانطلق خلف طارق حتى ابتعدا
مسافة أكثر من 100 متر عن السفارة ، وفي نفس اللحظة
التي لحق فيها رجل المخابرات المصرية بهدفه ووضع يده على
كتفه ليوقفه تماماً ، حدث ما لم يكن في الحسبان ، لقد انفجر
مبنى السفارة الإسرائيلية في قلب العاصمة البريطانية تماماً ،
كان انفجاراً قوياً لدرجة رهيبة ، حتى أنه جعل المبنى أثراً
بعد عين واندفعت من جراء الانفجار موجة تضاغطية هائلة
أطارت السيارات والبشر من حول المبنى لعشرين الأمتار ،
قبل أن تنفجر السيارات بدورها لتجعل المكان لقطعة من

الجحيم .

التفتَ أَحمدَ إِلَى الانفجارِ وَتَرَكَ كَتْفَ طَارِقَ لِثُوانٍ قَلِيلًا
وَقَبْلَ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ مَرَةً أُخْرَى كَانَ قَدْ اخْتَفَى تَمَامًاً وَلَمْ يَعْدُ لَهُ
أَثْرٌ ، فِي نَفْسِ الْلَّهِظَةِ الَّتِي وَجَدَ فِيهَا ضَابِطُ الْمَخَابِراتِ الْمَصْرِيِّ
نَفْسَهُ مُحَاطًا بِنَصْفِ دَسْتَةِ رِجَالِ الْبَولِيسِ الْبَرِيطَانِيِّ ،
يُضَوِّبُونَ إِلَيْهِ مَسْدَسَاتِهِمْ وَعَلَى وُجُوهِهِمْ غَضْبٌ كَاسِحٌ ، وَكُلُّ
مِنْهُمْ يَنْتَظِرُ أَرَأًى حَرَكَةً مُرِيبَةً مِنْهُ لِيُطِيعُوهُ بِهِ عَلَى الْفَورِ ، وَعَلَى
الرَّغْمِ مِنْ صَعْوَدَةِ الْمَوْقَفِ الَّذِي يَتَعَرَّضُ لَهُ فِي هَذِهِ الْلَّهِظَةِ
إِلَّا أَنَّ مَا كَانَ يَشْغُلُ بَالَّهِ تَمَامًاً هُوَ اخْتِفَاءُ طَارِقَ الْغَرِيبِ
وَالْمَفَاجِئِ ، وَكَيْفَ اسْتَطَاعَ الْخُروْجَ مِنَ السَّفَارَةِ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ؟
وَهَلْ هُوَ السَّبِبُ فِي هَذَا الانفجارِ ؟

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَيَّ إِجَابَةً لِهَذِهِ الأَسْئَلَةِ فِي الْوَقْتِ الْحَالِيِّ
وَهُوَ يَدْلِفُ إِلَى إِحْدَى سِيَارَاتِ الشَّرْطَةِ الَّتِي انْطَلَقَتْ عَلَى
الْفَورِ إِلَى إِدَارَةِ الْأَمْنِ الْعَامِ لِلتَّحْقِيقِ فِي هَذَا الْحَادِثِ الْغَرِيبِ
وَمَلَابِسَتِهِ .

بمجرد أن وطأت قدمًا طارق أرض السفارة الإسرائيلية في
القدس ، حتى أخذ يُديِّر رأسه يميناً ويساراً في كل ركنٍ من أركان
المكان ، حتى وصل إلى حجرة السفير ، الذي تأملَ طارق طويلاً
قبل أن يقول بجديةٍ وبلغةٍ عربيةٍ سليمةٍ تماماً :

- ما الذي دعاك لقول هذا التصريح الغريب في المؤتمر ،
هل دولتنا المجيدة تساندك بالفعل ؟

علت شفتى طارق نفسُ الابتسامة الساخرة التي تميّز بها
في الفترة الأخيرة ، قبل أن يقول بهدوء وهو يديِّر عينيه في
المكان ليُحْصِي عددَ الموجودين ، كان عددهم ثلاثة ، السفير
بيريز وقائد الحرس بخلاف طارق الذي قال وهو ينظر لعيني
السفير مباشرةً :

- أتريد الإجابة حقاً ؟

لم ينتظر إجابة السفير ، فقد وضع كفيه على جانبي رأسه
قبل أن يمسِّكها بقوة ويديِّرها إلى اليسار بحركة سريعة وعنيفة
قبل أن يخلعها من جذورها ويُلقيها على قائد الحرس الذي
التقطها بسرعة وهو ينظر إليها فزعاً ، أما بيريز فقد تحرك
بسرعة البرق وانتزع مسدسه وصوبَهُ نحو جسد طارق الذي
 أمسك ذراعه اليسرى بكفه اليمنى وانتزعها هي الأخرى ثم
ألقاها على بيريز الذي أخذته المفاجأة لثوانٍ قليلة ، أحسن

طارق استغلالها أفضـل استغلال ، فقد ألقـي بجسده بأكمله على السفير ، وهو يضغط بذراعه اليمنى على صدره بقوة وتجـمـد المشهد لثوان قليلة ليخرج من كل جـزـء من أجزـاء جـسـد طـارـق طـيفـ رـقـيقـ مشـابـهـ لهـ ، خـرـجـ منـ الحـجـرـةـ وـتـجـسـدـ مـرـةـ آخـرـىـ لـيـأـخـذـ شـكـلـ طـارـقـ الذـىـ غـادـرـ السـفـارـةـ بـهـدوـءـ وـهـوـ يـلوـحـ لـأـحـمـدـ بـيـديـهـ ، وـلـمـ يـكـدـ يـبـتـعـدـ مـسـافـةـ مـنـاسـبـةـ عـنـ الـمـبـنـىـ حـتـىـ ضـمـ قـبـضـتـهـ الـيـمـنـىـ بـقـوـةـ ، لـتـنـفـجـرـ الرـأـسـ التـىـ تـرـكـهاـ بـيـنـ يـدـىـ قـائـدـ الـحـرسـ بـقـوـةـ ، لـتـطـيـحـ بـهـ هـوـ وـالـحـائـطـ الـخـلـفـىـ لـحـجـرـةـ السـفـيرـ بـأـكـمـلـهـ ؛ـ أـمـاـ بـيـرـيزـ فـقـدـ أـطـلـقـ خـزانـةـ مـسـدـسـهـ بـأـكـلـمـهـاـ عـلـىـ ذـرـاعـ طـارـقـ فـانـفـجـرـتـ بـدـورـهـاـ لـتـنـسـفـ حـجـرـةـ السـفـيرـ وـالـجـزـءـ الـشـرـقـيـ مـنـ السـفـارـةـ بـأـكـمـلـهـاـ ،ـ وـمـعـ انـفـجـارـهـاـ انـفـجـرـ جـسـدـ طـارـقـ بـيـنـ ذـرـاعـيـ السـفـيرـ ،ـ وـلـقـدـ كـانـ انـفـجـارـاـ رـهـيـباـ أـطـاحـ بـمـبـنـىـ السـفـارـةـ بـأـكـمـلـهـ لـيـحـيـلـهـ إـلـىـ كـوـمـةـ مـنـ الـأـحـجـارـ الضـخـمـةـ وـسـحـابـةـ هـائـلـةـ مـنـ التـرـابـ الـكـثـيـفـ وـالـأـدـخـنـةـ السـوـدـاءـ ،ـ لـيـتـحـوـلـ مـبـنـىـ إـلـىـ أـطـلـالـ مـهـجـورـةـ كـانـتـ تـقـفـ شـامـخـةـ مـنـذـ قـلـيلـ ،ـ وـهـىـ تـحـمـلـ لـافـتـةـ مـمـيـزةـ ،ـ مـبـنـىـ السـفـارـةـ الإـسـرـائـيـلـيـةـ فـيـ لـنـدـنـ .

ارتفعت درجات الحرارة في مصر على نحو غير مسبوق في شهر أغسطس من هذا العام ، لدرجة أنَّ هيئة الأرصاد الجوية حذرت المواطنين من الخروج في الشوارع وقت الظهيرة لاستهلاك الإصابة بضرباتٍ شمسٍ مُوجِعة ، ولكنَّ درجة حرارة الجو لم تكن تساوى مقدار خردلة من حرارة الحوار الذي دار في مبنى رئاسة الجمهورية ، والذي رأسه السيد رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزير الداخلية الجديد ومدير المخابرات العامة المصرية ، كان الحوار على أشدِّه ، عندما بدأه السيد الرئيس موجهاً حديثه للجميع قائلاً :

- تتعرَّض بلادنا الحبيبة لخطر داهم في الفترة الأخيرة ، وأعتقد أنَّ حضراتكم تعلمون جيداً ما أقصده من هذا الحديث ، كيف لعالمٍ مصرى أن يخترع اختراعاً بهذه الأهمية ولا نهتم به ؟! ولا حتى نضع له حراسة كافية لحمايته ؟! ثم هذا الحادثُ الرهيبُ الذي تعرض له بعد ذلك واختفائه ، هو وزير الخارجية الفرنسي هنا في قلب القاهرة مع عدد من الدبلوماسيين الذين لهم وزنهم في البلد ، لا أخفى عليكم سراً، لقد تدهورت العلاقاتُ بيننا وبين فرنسا ، أحد أهم الدول الأوروبية بعد هذا الحادث ، وهم يُحملون مصر مسؤولية هذه الحادثة ، بالإضافة للكارثة التي حدثت أمام عيني في مبنى الأمن العام ، من التهام الحشرات لوزير الداخلية وغيره

من القيادات الهامة في البلاد ، بواسطة مدير الأمن الذي تحول أمام عيني إلى مجموعة من الحشرات أتت على كل من في الحجرة ، قبل أن تكون مرة أخرى في هيئة مدير الأمن الذي التفت إليّ وهدّدني بأنني القادم في قائمة الهلاك ، ولقد حذرت جميع من كانوا في المكان بعد خروجه من الحجرة وأمرتهم بالقبض عليه ولكن كان قد اختفى تماماً ، ثم أتت الكارثة الثانية عندما فوجئ العالم بأكمله بطارق وهو يدخل قاعة المؤتمرات في لندن بكل هدوء وثقة .

صمت قليلاً ليلتقط أنفاسه قبل أن يُكمل حديثه قائلاً وهو يلتفت إلى مدير المخابرات العامة :

- ماذا صنعتم بعد أن أعلن طارق ولاءه لدولة إسرائيل ؟

اعتدل مدير المخابرات في مقعده وقال على الفور :

- لقد أبلغنا مكتبنا في لندن بسرعة التحرك والقبض على طارق والعودة به إلى مصر بأى شكل من الأشكال .

هزَّ الرئيس رأسه متفهماً قبل أن يقول وهو يشير بإصبعه السبابية إلى مدير المخابرات :

- لابد من القبض عليه والعودة به ساملاً إلى هنا .

هزَّ مدير المخابرات رأسه بدوره مؤيداً لكلام الرئيس ثم

نعم يا سيدى ، لقد كانت الأوامر محددة ، لا بد من
عوذه ساماً .

مال الرئيس إلى الأمام وهم بإلقاء أوامر أخرى ، عندما
لا يحصل تغير الإرسال التليفزيوني في هذه اللحظة ، لينقل مشهد
احتقان السفارة الإسرائيلية في قلب لندن ، وفي جانب الشاشة
مشهد أحمد وهو يمسك بطارق ، ثم هجوم رجال الشرطة
البريطانية على أحمد والقبض عليه في نفس اللحظة التي
احتلق فيها طارق من على الشاشة وكأنه لم يكن موجوداً من
الأساس .

لم يستطع أحد من الموجودين في قاعة الاجتماعات التفوّه
بأي كلمة ، فقد أصبح موضع مصر في المنطقة العربية وأوروبا
سبيناً للغاية ، ولم يستطع الرئيس أن يتخذ أي قرار في هذه
لحظة ولا التي بعدها ، فقد أُسقط في يديه ، وأحس وقتها
أن النهاية باتت وشيكة ، ومع هذا الإحساس بالفشل الذي
يعترى الحكومة المصرية ، هبطت طائرة أنطوان في مطار
هيرو بلندن لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع المميت .



حَمْرَة



الفصل
السادس





الفصل السادس

ظلام ظلام ظلام

ترددت هذه الكلمة في عقل طارق ، بقوٰه كقرع أجراس الكنائس في أعياد الميلاد ، قام من مكانه بصعوبة وأخذ يتحسس طريقه مُحاولاً اختراق هذا الظلام الدامس ، ولكنه لم يكُنْ يتحرك بضع خطواتٍ حتى تعثرَ وسقطَ على وجهه ، حاول أن يمْدُّ يده لرؤيَة ما كان سبباً في تعثره ، ولكن يده لم تستطع الوصول إلى قدميه ، حاول مرة أخرى ولكن دون جدوٍ ، أخذ ينفلُّت حوله طلباً للمساعدة ولكنه لم يجد أحداً بالقرب منه ليُقْدِّ له يد المساعدة ، فتح فمه ليُنادي على زوجته وابنه ، ولكن خرج منه صوتٌ غريبٌ لم يعتدُه من قبل ، ولم يستجب له ، أى أحدٍ مرة أخرى ، وفجأة سطع ضوءٌ قويٌ في المكان أغشى عينيه لثواني ، قبل أن يفتح عينيه مرة أخرى ببطءٍ مُحاولاً الرؤيَة ، ومع مُحاولاته المستمرة شاهدَ عدة أجسام تتحرُّك أمامه بسرعةٍ متوسطة ومنها من يرفرف بجناحين صغيرين ،

على ارتفاع متوسط فوق رأسه ، ومع الوقت فتح عينيه عن آخرهما ليرى المشهد بأكمله ، فعلى بعد متر واحد منه فقط ، كان يقف صرصورٌ كبيرٌ الحجم ، يتطلع إلى طارق بشبات والغضب يطل منهما ، والوعيد يرتع بينهما ، أدار طارق عينيه في المكان ليرى عدداً من الحشرات المُضيئه تُحلق في المكان لتضيئه بأكمله ، كانت رائحة المكان عطنة كطبيعة الأماكن التي تسكنها الصراصير والحشرات الضارة ، اعتمد طارق على كفيه ليقوم من مكانه ، فوجد أنهما استبدلَا بحراسيف صغيرة على طول الذراعين الصغيرين ، ولكنه رغم ذلك جاهد ليقف ولقد فعل .

وقف أمام الصرصور ليجد مفاجأة أخرى ، لقد كان بالنسبة له قزماً صغيراً ، لدرجة أنه لم يصل إلى الجزء السفلي من جسده الصغير ، فابتلَع ريقه بصعوبة وهو يتطلع إلى كبير الصراصير ، الذي شد قامته باعتداد ، قبل أن يعرّر قائلًا : - أهلاً بك في عالمنا .

استمع طارق إلى الصوت وفهم كلام صاحبه على الفور قبل أن يقول مندهشاً :



- عالمكم !!

لحرّك الصرصور الكبير في مكانه بعظمةٍ ، قبل أن يقول :
نعم عالمنا ، عالم الحشرات كما تطلقون عليه في عالمكم ،
عالم الكسالي والضعفاء .

حاول طارق أن يتحرّك في مكانه ، ولكنّه تيّبس في مكانه
عندما أحاطت بقدميه أغلال من مادة لزجة أعادت حركته
فاماً .

افتر ثغرُ الصرصور عن ابتسامةٍ ساخرة متشفية ، وهو
يسقطُ للعجز الذي أصاب طارق ، ومنعه تماماً من الحركة ،
فأطلق صوتاً عالياً يُماثلُ ضحكات البشر ، وهو يدورُ حول
نفسه ويرفعُ ذراعيه لأعلى ويقول :

- كنتُ تريدي تحدي الطبيعة ، وتقضى علينا ، وتتحدى
العالق عزّ وجل ، ولكن انقلبت الآية في النهاية لتصبحَ أسيرقنا ،
هل وأصبحتَ منا أيضاً .

للمرة الثانية تصيبُ الدهشة طارق في مقتل وهو يرددُ
قول الصرصور الأكبر :

- أصبحتُ منكم ؟؟ كيف هذا ؟؟

اقرب منه الصرصور وقال بتشفٍ :

- ألا تلاحظ ما وصل إليه حالك ؟ لقد أصبحت صرصورا مثلنا ، بل أصبحت من أصغر الفئات التي توجد بعالمنا هل كنت تعتقد أن اختراعك هذا سيمكنك من القضاء علينا وإخفاينا تماماً من عالمك ؟! هراء .

نَكَسَ طارقُ رأسه مُعْلِنًا فشله وفشل اختراعه قبل أن يقول بخيبة أمل :

- نعم لقد فشل الاختراع ، حتى من قبل أن آتي إلى هنا لقد رأيت أحد الحشرات بجوار نافذة منزلي قبل أن أخلد إلى النوم ، بعد أن قمت برش الرذاذ الخاص بمشروعى في البيت وحوله ، وعلى الرغم من ذلك اخترق الحشرات منزلى ، لتعلن انتصارها وهزيمتى .

رمقه الصرصور الأعظم بنظرٍ قاتلة ، تموج بالحقد والكراهية ، قبل أن يقول :

- الاختراع لم يفشل أيها البشري .

رفع طارق رأسه إليه في لهفةٍ قبل أن يقول متسائلاً:

كيف هذا؟ ولكنك قلت منذ لحظات أن الاختراع فشل

فاطعنة الصرصور قائلًا:

أنا لم أقل أن الاختراع فشل، ولكنني قلت أنه لن يعوقنا.

القارب الصرصور الكبير من طارق أكثر حتى شعر بأنفاسه الكريهة تغمر وجهه وهو يقول:

ما دمت معنا.

ابتعد عنه وأولاه ظهره وهو يكمل حديثه قائلًا:

الحشرة التي رأيتها في منزلك ، والحشرات التي هاجمت جميع نزلاء المستشفى ، وأنت أولهم ، وكذلك التي كانت السبب في جميع الأحداث الدامية والغريبة التي حدثت في مصر وفي لندن ، لم تكن حشراتٍ حقيقة ، بل هي كائنات معدلة آلية ، قام علماؤنا بوضع الأسس لتكوينها ، وقادت مساعينا ، بإنتاجها ، بأعدادٍ هائلة ، يكفي عددٌ قليل منها بهديد كيانٍ كاملٍ بالهلاك ، ولقد قامت هذه الكائنات

بامتصاص خلاياك وخلايا كل من هاجمتهن ، قبل أن تتمثل صورتهم وتهاجم كل من له صلة بهم .

نظر طارق إلى جسده وأخذ يتحسسُه ، وقبل أن يسأل سؤاله أجابه الصرصور قائلاً وكأنه قرأ أفكاره قبل أن ينطق بها :

- ومن خلال تقنياتٍ هائلةٍ توصل لها علماً ونا الأجلاء ، بعد سنواتٍ طويلة من البحث والتنصي وبذل المزيد من الجهد والعرق ، أدخلوا هذه التجارب وتعديلها مع هذه التقنيات على الحشرات المهجنة الآلية ، بحيث يمكنها امتصاص خلاياكم والمجيء بها إلى هنا ليقوم العلماء بتحويلكم إلى حشرات أقل في القدرات والإمكانيات من الحشرات الحقيقية ، كي تكونوا تحت السيطرة الكاملة ، حتى نحصل على ما نريد .

لم يستطع طارق أن يتكلم ، كل ما أحسّ به هو غصةٌ في حلقه ، منعه من الحديث ، ولكنَه جاهدَ ليتكلم ، فخرج صوته على الرغم منه متحسراً :

- وماذا تريدون ؟

اعتدلَ الصرصورُ في مكانه وقال بصراحةً :

سر اختراعك ، الذي منع جنسنا العريق من الدخول
عاملكم والاندماج في حياتكم رغمًا عنكم .

التعشث نفس طارق قليلاً ، وأحس ببصيص من الأمل وهو
رثاء:

ومن الذي أخبرك أنني من الممكن أن أعطيكم سر
اختراعي؟ لقد بذلت من الجهد والعرق لسنوات وسنوات من
أجل هذا الاختراع الذي سيرفع مكانى بين مصاف العلماء .

ابتسم الصرصور بسخرية وقال وهو يقترب من طارق مرة
أخرى:

هنا لا تملك حق الرفض يا هذا ، أنت أسير عالمنا ، وتحت
سيطرتنا ، ولن تستطيع العودة مرة أخرى لعاملك إلا برضانا،
لقد تم وضعك في فخ محكم لا فكاك منه ، فلن تستطيع
الهروج مرة أخرى إلى عاملك إلا بعد أن تنفذ مطلبنا .

قبل أن يتكلم طارق اندفع إلى المكان صرصور آخر انحنى
بااحترام أمام الكبير وقال بعرير لاهث :

مولاي الامبراطور صرروف ، لقد حضر البديل .

التفت إليه الإمبراطور وقال بلهفة :

- دعه يدخل على الفور .

انطلق لتنفيذ أمر رئيسه على الفور ، وتعلقت عينا طارق بالمكان الذي اختفى عنده الصرصور ، ليりى البديل الذي أشار إلى قドومه ، وب مجرد أن وضع البديل قدمه الصغيرة جداً في المكان حتى اتسعت عينا طارق وتدلّى فكه السفلي في بلاهة وهو يرى البديل أمامه ، لقد كان يرى نفسه وكأنه يقف أمام مرآة كبيرة الحجم ، ولكن دهشته ازدادت مع تحول البديل في لحظات إلى مجموعة من الحشرات الغريبة التي وقفت أمام الصرصور الكبير بانتظام وكأنها في عرض عسكري ، قبل أن يتكلم قائد هذه المجموعة قائلاً وهو يرفع يده بتحية عسكرية ويقول بثبات :

- تم تنفيذ المهمة بنجاح .

هزَّ الكبير رأسه في رضا ثم أشار لقائد المجموعة إشارة ذات معنى ، فتحرّك على الفور وهو يشير إلى باقي المجموعة بالتحرك ناحية اليمين ، وبالفعل تحرّك الجميع لنفس المكان الذي أشار إليه القائد ، وفتح كلُّ واحد منهم فمه ليُفرغ ما في

أمسائه تحت أقدامهم تماماً ، وعلى الرغم من المفاجآت التي ينعرض لها طارق منذ علم بمكانه وما تعرض له من الضرر الكبير ، ولكن ما حدث في هذه اللحظة جعله ينتفض في مكانه ويرتجف الشعر الموجود في مؤخرة رأسه ، فمن قلب الماداة الغروية اللزجة التي تقياها الحشرات ، ظهرت أجسام بشرية تحولت في لحظات إلى نفس الهيئة التي يتواجد عليها طارق الآن ، الذي مدّ عنقه للأمام محاولاً رؤية هذه الأجسام وبغيرها ، ليجد من بينها ما جعل قلبه يرتجف بين ضلوعه ، ابنه إياد وزوجته نجوى ، أما الباقي فلم يكن يعرفهم من قبل معرفة شخصية ، فمنهم من رأه في التلفاز ومنهم من لم يره من قبل ، لقد كانت باقي الأجسام للسيد وزير الداخلية المصري و مدير الأمن ، وبعض اللواءات الذين التهمتهم الحشرات في مصر .

أشار طارق إلى زوجته وابنه وقال :

- نجوى ، إياد ، هل حدث لكم مكروه ، هل تأذيتم ؟

قال عبارته الأخيرة ثم التفت إلى الضرر الكبير وقال

فاضباً :

- ماذا فعلت بهم ؟

تحرّك قرناً استشعار الكبير في لامبالاة وقال :

- حتى الآن لم يحدث لهم أئ سوء ، ولكن لو لم تستجب لأوامرى ، فسأذيقهم العذاب ألواناً ، هم ومن معهم .

تطلع طارق إلى الناس المصاحبين لزوجته وابنه وقال وهو يشير إليهم :

- من هؤلاء ؟ أنا لم ألتقي بهم من قبل .

وأشار إليهم صيروف وقال :

- أنت بالفعل لم تعرفهم ولم تلتقي بهم من قبل ، ولكنهم يعرفونك تمام المعرفة ، فأنت السبب في مجيئهم إلى هنا ، السيد وزير الداخلية ومدير الأمن ومعهم بعض اللواطات ، كنت أنت السبب في التهام جنودنا لهم في مبني الأمن القومى ، عندما كانوا يحاولون إيجاد تفسير لكل الأحداث التي حدثت في المستشفى الذى تم احتجازك به .

مع سيل الحقائق التى يلقيها الصرصور الكبير على مسامع طارق ، لم يملك الأخير إلا الصمت وهو يتطلع إلى عيون

الصرصور المركبة ، التي أوضحت صدق كلامه ، على الرَّغم
من أنه لا يرى بها ، والتي لم تلق عليه بالحقيقة الكاملة ،
وزيادة في إذلال طارق ، أشارَ الصرصور برأسه لقائد فرقة
الحشرات الذي استدار إلى الفراغ وصفق بذراعيه ليُظْهِرَ في
الفراغ مراسِمَ المؤتمر الذي تم عقده في لندن ، والذي اعترف
فيه طارق بولائه لدولة إسرائيل ، لقد تمَّ إحكامُ الفخ على
الساعِم المصري ، فلو نجا من براثن الحشرات واستطاع الهروبَ
من عاملِهم ، فلن يجد شبراً على سطح الأرض يستطيعُ أن
يختبئَ فيه من المخابرات المصرية وكذلك الإسرائيليَّة ، وباتَ
من الواضحُ أنَّ الاستجابة لمطلب الصرصور الكبير هو الأملُ
الوحيد في النجاة ، ولكن حتى لو نفذ مطلبَهم ، هل سينجو
منهم هو ومن يعول ؟ هل ؟



صَدَر



الفصل
السابع





الفصل السابع

مُجَرَّد أن هبطت طائرة أنطوان في مطار هيثرو بلندن، حتى اتصل على الفور بـ رجال مكتب المخابرات الفرنسية ليحصل على آخر النتائج التي توصلوا إليها بشأن المصري، ولقد وقع عليه الخبر كالصاعقة عندما علم بأمر انفجار السفارة الإسرائيلية هناك وهروب المصري طارق بعد إتمامه العملية، وإلقاء القبض على ضابط المخابرات المصري، بواسطة السلطات الإنجليزية ، وعلى الفور استقل سيارة حديثة كانت في انتظاره ، وانطلق إلى مبنى شونورمان (سكوتلانديارد سابقاً) ، وطوال الطريق إلى هناك كان يعد خطته لإنقاذ رجل المخابرات المصري ، فهو الوحيد الذي من خلاله يستطيع أن يصل إلى طارق وبالتالي إلى وزير الخارجية الفرنسي المفقود .

أوقف سيارته على بعد 200 متر من المبنى ، ثم أخرج جهازاً صغيراً من جيبه مررَّه أمام وجهه ببطء ليتحول وجهه إلى وجه رجل آخر تماماً ، ثم أخرج هوية صغيرة بلا أي صور أو بيانات وضعتها في نفس الجهاز ، وضغطَ عدة أزرارٍ به لتمتلىء الهوية

بيانات نفس الشخص الموجود بالصورة والذى يحمل أنطوان وجهه ، ترجل من السيارة بهدوء ، ثم تحرك بخطوات ثابتة وواضحة نحو الهدف .

وقف أمام بوابة الأمن وأخرج هويته التى التقاطها منه مسئول أمن الجهاز ، وما هى إلا ثوان قليلة حتى كان أنطوان يضع قدميه في قلب أشهر مبانى الشرطة في العالم ، توجّه على الفور إلى حجرة مدير الجهاز وطرق الباب بكل جراءة قبل أن يدفعه بهدوء ويدخل إلى الغرفة ثم يغلق الباب خلفه ، ثم يتوجه إلى المدير الذى التفت إليه ثم قام من مكانه وقال مرحباً :

- أهلاً بك في جهاز الشرطة ، يا سير أوليفر .

بادله أنطوان التحية وهو ينتحل شخصية أحد أهم رجال المكتب الخامس بكل براءة ، من خلال التكنولوجيا الفرنسية الرائعة ، تكلم أنطوان على الفور قائلاً بلهجـة حازمة :

- لقد جئت من أجل المصرى ، الذى كان سبباً في تفجير السفارة الإسرائـيلية هنا .

تراجع المدير في مقعده وشبـك أصابعـ كفيـه أمام وجهـه وهو يقول :

- أعتقد أنك تعلم جيداً، أن المخابرات لا تتدخل في عمل الشرطة، فلماذا، يريد المكتب الخامس كسر القاعدة الآن؟

أجابه أنطوان على الفور قائلاً:

- لأهمية القضية التي جئت من أجلها، هذا المصري هو الوحيد الذي يعلم أين اختفى ذلك العالم المصري الذي أثار حفيظة العالم بأسره، ومن بعدها انفجار السفارة الإسرائيلية على أرضنا، وأنت تعلم جيداً تعنى هذا الشعب، همّون الدنيا صخباً إذا ما أصابت طفلاً من أطفالهم شوكة صغيرة، في نفس الوقت الذي يذبحون أطفال فلسطين بدم بارد، وبلا أي وازع من ضمير.

عقد مدير الجهاز حاجبيه مستنكراً قبل أن يقول:

- أنسنا نحن من صنعنا هذا الشعب، أليس بولفور هو من جعل لهم وطنًا حقيقياً، بعد أن كانوا مشردين في جميع بقاع العالم؟

نظر أنطوان في ساعته وقال وهو يبتسم:

- معدرة يا سيدي، ولكن وقت لا يسمح بمراجعة دروس التاريخ الآن، أستاذتك أن تأتي بضابط المخابرات المصري كي استجوبه بنفسى.

زم المدير شفتيه بعدم رضا ، ثم قال :

- فليكن ، ولكنك سستجوبه هنا ، ولن تخرج به من هذا المكان .

ابتسم أنطوان في سخرية وقال وهو يشير بسبابته اليمنى
ناحية المدير :

- هذا إذا لم تضطرنا الظروف لغير ذلك .

ضغط المدير زر الاستدعاء الموضوع على مكتبه ليدخل على الفور جندي الحراسة ، الذي أدى التحية بقوة وثبات ، فبادره المدير قائلاً :

- أحضر رجل المخابرات المصري إلى هنا على الفور .

ذهب الجندي لتنفيذ أمر رئيسه على الفور ، وما هي إلا دقائق حتى كان أحمد يجلس أمام أنطوان ، وتساؤلات عديدة يوج بها عقله ، كان يعلم جيداً سير أوليفر بطبيعة عمله في جهاز المخابرات العامة المصرية ، وكما تقتضيه واجبات العمل هناك ، ولكن ما أثار قلقه هو تواجده في الأحداث ، فهذا يعني الكثير والكثير ، وقبل أن يفتح أنطوان فمه بكلمة واحدة ، اقتحم المكان شخص قوي البنيان ، طويل القامة ، تدل ملامحه على القوة والشकيمة والحزم ، ومع دخول هذا الشخص إلى

شهرة مدير جهاز الشرطة في لندن ، ارتفعت حواجز جميع
عن بالحجرة وتدلت أفكاكهم السفلى في بلاهة ، فالشخص
الذى اقتحم المكان ، كان آخر شخص يتوقعون تواجده معهم
في هذه اللحظة ، لقد كان رجل المخابرات المحنك ، سير أوليفر
ستبورت ، الحقيقى .



عَيْدَ





الفصل الثامن

ما قولك أيها البشري

نطق الصرصورُ الأكْبَر بهذه الجملة بعريرٍ هامس ، وهو يقتربُ من طارق الذي توَسَّدَ الأرض ، ووضع رأسه بين كفيه والخرطَ في بكاءٍ مرير ، لقد أَسْقَطَ في يديه ولم يعُذْ يملك أَيْ سُبْلٍ للنجاة ، لقد وقع بالفعل بين شقى الرحى كما يقولون، فعليه أن يختار ما بين خيارين أحلاهُما مُرًّا .

رفع رأسه إلى الصرصور الكبير ، والدموعُ تملأ مقلتيه ، ثم قال:

- لا أستطيع ، أنا بعيدٌ عن منزلي وعن معمرى ، ولكنكم بسر الاختراع لابد من العودة إلى هناك ، لأنني أحتفظ بكل ما يخصني ويخص اختراعي ، في معمرى الخاص .

تلعبت قرونُ الاستشعار فوق رأس الكبير ، في تفكير عميق، قبل أن يفترَّ ثغرُه الدقيق عن ابتسامةٍ خبيثةٍ ، ثم يقول :

- يبدو أنك تريدين التلاعيب بنا أيها البشري ، ولكنني أحب أن أعرض عليك مشهداً رائعاً من عالمك يحدث الآن ، سأتركك تستمتع به ، ثم أعود إليك مرة أخرى ، وأعتقد أنني سأحصل على موافقتك على طلباتي ، دون أي شروط ، تحياق .

قال الكبير كلمته ثم ترك طارق يتلفت حوله محاولاً اختراق الظلام الذي أحاط به من كل جانب ، كظلمة القبور وما حولها .

ووجأةً وبلا مقدمات أضيء المكان المقابل لطارق إضاءة قوية كشاشة عرض سينمائية تستعد للعمل ، وما هي إلا ثوان قليلة حتى بدأت الإضاءة تتحول للقطات حية لما يحدث في مبنى الشرطة العالمي سكوتلانديار ، والحق يقال أن ما كان يحدث هناك لا يستطيع أي كائن حي على وجه الأرض أن يتوقع حدوثه في هذه اللحظة ، ولذلك فقد سقط طارق أرضاً وهو يتطلع إلى من حوله في وهن ورجاء ، ليجد أن الجميع بدورهم يتطلعون لما يحدث هناك ، بالإضافة لرفيق هام جداً لهم ، الصمت .

ساد الذهول مكتب مدير الشرطة الإنجليزية ، عندما دخل أوليفر ستيفورت إلى قلب المكان ليعلن عن نفسه أمام الجميع ، وبمجرد أن أعلن هذا ، سقط فك المدير لأسفل في الألة ، في نفس اللحظة التي انطلق عقل أنطوان يفكر بسرعة الساروخ ، في كيفية الخروج من هذا المأذق الرهيب ، أما أحمد فقد توترت عضلات وجهه وارتجمفت شفته السفلية في توتر ، وهو يبحث بدوره عن وسيلة للخروج من هذا الفخ الشيطاني .

ابتسم أوليفر ابتسامة تجمع بين السخرية والشماتة ، وهو يتحرك في المكان بخياله قبل أن يقف في منتصف الحجرة ويضع يديه في وسطه ويهز رأسه باستمتاع وهو يتكلم قائلاً بصوٍّ رفيع حاد شبيه بصوت القرآن :

- عظيم ، هل كنت تعتقد أنك تستطيع هزيمة المخابرات البريطانية في عقر دارها يا أنطوان ؟ هل كنت تعتقد أن رجال المكتب الخامس من السذاجة حتى تنطلي عليهم خدعتك الساذجة ؟ يبدو أنك لا تعلم أى شيء عن التكنولوجيا البريطانية يا عزيزى أنطوان .

قال عبارته وهو يُخرج جهازاً صغيراً جداً في حجم إصبع

الوسطى لليد البشرية ، ورفعه في وجه الحضور قبل أن يضيء على مكتب المدير وهو يضغط جانبيه برفق ثم يتراجع لآخر الحجرة ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره بقوة واعتداد ، وعلى الفور اختفى الجهاز من على المكتب ، ثم ظهر مرة أخرى في سماء الحجرة ، قبل أن يختفى ، ليحل محله مشهدٌ ثلثاً الأبعاد لأنطوان وهو يقف بسيارته أمام مبنى سكوتلانديارد ، ثم يتنكر في شكل أوليفر ، وبعد ذلك ينقل كل الحوار الذي دار في حجرة المدير حتى لحظة دخول أوليفر الحقيقي إلى قلب الحدث ، قبل أن يفرقعَ رجل المخابرات البريطاني بإصبعيه لتختفى الصورة على الفور ويبدأ الجهاز في الظهور مرة أخرى ليعود إلى كف أوليفر الذي وضعه في جيبه على الفور ، وهو يبتسم ساخراً في وجوه الحاضرين ، ثم التقط نفساً عميقاً قبل أن يقول :

- أحدث تكنولوجيا العصر ، لن تجده إلا بين أيدي رجال المكتب الخامس ، A1 ، أحد أقوى أجهزة التتبع في العالم، فمع تطور أجهزة التنكر كل يوم ، ومع لجوء الكثير من رجال المخابرات لها ، كان لابد من البحث عن أجهزة مضادة ، وبالفعل تم إنتاج جهازى هذا ، والذي يخبرنى إذا ما تنكر أحد ما في شخصيتى في أي لحظة حول العالم ، ويحدّد موضعه عبر

الفور الصناعي أيضاً، وهذا ما حدث معك يا عزيزي أنطوان،
وعلى الفور أتيت إلى هنا وبصحبتي جمّعْ غفيرٌ من رجالنا
بالإضافة إلى جميع القوات الموجودة داخل المبني والتي
أوكلتها تحاصر المبني من الخارج ، بحيث لا تستطيع بعوضة
أن تعبر هذا الحصار النارى .

ويبدو أن البعوض ● من الحشرات التي لا تكاد تذكر
اسمها حتى تأتي على الفور ، لقد عبرت بعوضة صغيرة جداً
النافذة المجاورة لمكتب مدير دون أن يلاحظها أحد ، ووقفت
في منتصف الحجرة وهي ترفرف بجناحيها بسرعة ، وما هي
اللحظات حتى تعاظم حجمها ، لتحول إلى هيئة بشريّة،
هيئة طارق ، وشكله وملامحه ونفس ابتسامته الساخرة
التي اشتهر بها في الفترة الأخيرة ، ومع ظهوره توّر الجميع ،
وكانت المشاعرُ متباعدة مدير الجهاز سقط على مقعده مغشياً
عليه بمجرد تحول البعوضة إلى الهيئة البشرية ، أوليفر انتزع
مسدّسه من جرابه بسرعةٍ يُحسَدُ عليها وصوّبه ناحية طارق
وهو يتلفت حول نفسه متوقعاً هجوماً قوياً من أي مكانٍ
بالغرفة، حتى هواها ، لم يستثنه من الهجوم ، أما أحمد
 وأنطوان فقد اتسعت عيونُهُما في ذهول ولم ينبعلا ببنت شفة ،
وعلى الفور وبمجرد مشاهدته لردود أفعال من بالحجرة ،

تحرك طارق، وعندما نقول تحرك هنا فإننا نعني تحركه بسر
تحرك جناحى البعوضة وما فوقها ٥، فقد ظهرت على الفور
حشرة صغيرة تشبه نفس الحشرة التي توجد فوق البعوضة
والتي ذكرها امولي عزوجل في كتابه الكريم ، فوق رأس طارق
انطلقت على الفور إلى اوليفر لتخترق أذنه وتحرك عبر قناته
السمعية ثم إلى عصبه السمعي قبل أن تستقر في تلافيف
مخه وتبدأ بالعبث به ، فوضع يده الحرة على أذنه وترك
مسدسه ليسقط أرضاً وهو يضع الأخرى على رأسه في موضع
المخ تماماً ، قبل أن يُطلق صرخة هائلة ، وصلت إلى الجنود
المحيطين بالحجرة من الخارج ليقتحموا المكان على الفور ،
وأسلحتهم مشهورة في أيديهم ، ولا تنتظر إلا همسة لتحيل
المكان إلى جحيم مقيم .

ولكن مع اقتحامهم للحجرة شاهدوا ما أعاد مهتمهم التي
وكلت إليهم ، لقد شاهدوا طارق وهو يتحول إلى بعوضة مرة
أخرى ولكنها كبيرة الحجم هذه المرة ، ثم يفرد جناحيه وهو
يلتقط أحمد وأنطوان بقدميه ويلقي بهما فوق جناحيه ،
قبل أن ينطلق طائراً من النافذة التي أتي منها بسرعة منعت
رجال المكتب الخامس وجنود الجهاز من دقة التصويب عليه ،
أما بالخارج فقد رفع باقى الجنود المحيطين باملبني روؤسهم

لأجل ليشاهدوا طارق في هيئة البعوضة ، وهو يفرُّ هارباً
لهم سمعهم وبصرهم ، ولكنهم لم يكونوا ليئن العريكة ،
ولهم ارتجف قلوبهم من قبل خوفاً أو فزعاً ، لقد تدرّبوا على
مواجعه كل ما هو غريب وعجب ، ولكن ليس ما هو وراء
الطبوعة التي يعيشون فيها ، ليل نهار ، وعلى الرغم من ذلك
ارتفعت فوهات مدافعهم الرشاشة إلى أعلى وانطلقت
رسائلهم نحو طارق ورفيقه ، أصابت الرصاصات جناح
طارق الذي يحمل عليه أنطوان ، فاختل توازن طارق لثانية
واحدة كانت كافية تماماً ليسقط أنطوان من فوق الجناح
إلى الأرض مباشرة ، ومن ارتفاع خمسة أمتار ، ولكن رجل
المخابرات المحنك تحرك على الفور فتنى جسده في الهواء
ليستقبل الأرض بكفيه قبل أن يتدرج على الأرض عدة
مرات ليخفف من الاصطدام المباشر بالأرض ، ومع انشغال
معظم الجنود بطارق ورفيقه المصري ، انتهز أنطوان الفرصة
للهروب هارباً على الفور من قلب المعركة ، ولكن قائد مجموعة
الحرس أشار إلى أربعة من رجاله الأشداء بالقبض عليه ،
وبالفعل انفصلوا عن زملائهم وانطلقو في أثره ، انعطاف رجل
المخابرات الفرنسي في طريق جانبي قبل أن يتوقف فجأة
ويخلع سترته ثم يرتديها على الوجه الآخر ، وعندما أتي الجنود

إلى نفس المكان الذي كان يقف فيه أنطوان ، لم يجدوا له أثر ، لقد اختفى رجل المخابرات الفرنسي من المكان ، ولم يتبع منه إلا عطره الفرنسي المثير .

أما طارق فقد انطلقت خلفه رصاصات فرقة مكافحة الإرهاب وباقى جنود سكوتلانديارد ، ولكنه ارتفع في السماء حتى وصل إلى نقطة لا تستطيع أن تصلها رصاصاتهم ، قبل أن يختفي تماماً عن أعينهم ، ومع الشعور بالهزيمة ، لم يملك قائد الفرقة المسلحة إلا طلب الدعم من قبل الحكومة البريطانية ، والحق يُقال أن الرؤساء لم يكذبوا خبراً ، فقد صدر أمر مباشر من قائد فرقة الطيران الحربية بإطلاق مقاتلتين حربيتين ، لتخترقا سماء لندن الضبابية بحثاً عن طارق ورجل المخابرات المصرية المرافق له ، ولكن مرّ الوقت سريعاً ومقاتلتان تمشطان سماء لندن بأكملها ، قبل أن يرفع قائد إحدى المقاتلتين جهاز اللاسلكي المتواجد أمامه إلى فمه ويقول بآلية :

- لم يتم العثور على الهدف .

ومع تأكيد قائد الطائرة الأخرى لكلام زميله ، لم يملك قائد وحدة الطيران إلا أن يأذن لهما بالرجوع مرة أخرى إلى القاعدة ، وليخبر هو قائد الفرقة المسلحة بأخر التطورات الذى

لهمها بدوره إلى رؤسائه ، ولم تستطع الحكومة الإنجليزية في هذه اللحظة أن تعطى مزيداً من الأوامر لرجالها ، فلم يعد ما لديها ما تقوله في هذه اللحظة ، ولا حتى التي بعدها .



عَيْنَ



الفصل
الحادي عشر





الفصل التاسع

ما الذى يريد التحدث فيه ؟ هذه هى المرة الأولى التى
يدعونا فيها إلى مملكته ، لابد أنّه أمر جلل .

كانت هذه هى آخر عبارة قالها كبيرُ البراغيث ⑦ الملك أرطيسيوس وهو يتحدث إلى وزيره ، قبل دخولهم إلى قبائل الصراصير ، ففرد ظهره ووقف على قدميه الصغيرتين وهو
لهمبه قائلاً :

التحالف يا سيدي ، لا شيء غير ذلك ، خاصة أنني علمت
من خلال مصادرى الخاصة ومن خلال البصّاصين ، أنه أرسل
هؤلاء لجميع القبائل ، حتى المعادية لنا ، فلا أعتقد أنّ هناك
أيّ آخر غير التحالف .

تحركَ موكيهما حتى وصل إلى مكان استقبال الوفود الذين
لم توجيه الدعوة إليهم ، جميع الحشرات كانت موجودة
بلا استثناء ، الذباب والبعوض والنمل والبق والصراصير والعثة
والقمل والبراغيث والنحل ، حشرات ضارة وأخرى مفيدة ،

من كل نوع كان هناك وفدان أو ثلاثة ، اصطفوا في صفوف بنظام ، والطائر منهم ظل يطوف حول الجميع طوال الوقت ، وعندما ظهر كبير الصراصير ، ارتفعت أصوات قبائل الصراصير الأكبر ترحب به وتدعوا له بالصحة والعافية ، وقف صيروف الكبير فوق منصة التتويج وبدأ في الحديث قائلاً :

- أهلاً ومرحباً بكم جميعاً في مملكة الصراصير الكبرى ، لقد تم عمل هذا الاجتماع لأول مرة في تاريخ عالمنا الخاص والذى يُطلق عليه بنو البشر اسم الحشرات ، ولو أنهم يعلمون تاريخنا ، ومتى تواجدنا على الأرض ، لأدركوا أنهم هم الحشرات وليس نحن ، فنحن أسياد العالم بلا منازع ، وتاريخنا يشهد بذلك ، فدورات حياتنا ، وتواجدنا على الأرض يرجع إلى ملايين السنين ، وعلى الرغم مما يتعرض له جنودنا البواسل في كل جحر وكل شق من تجويع وقتل واستهانة ومهانة ، إلا أنها ما زالتنا نحن الأقوى ، ونستحق أن نسيطر على العالم بأسره دون منازع ، أعتقد أن خبر أسرنا لذلك البشري الذي اخترع تلك المادة التي تعيق تواجدنا في عالمه ، قد وصلكم جميعاً ، ومن هنا كان لابد من عقد هذا الاجتماع الفريد من نوعه ، لقد نجح الاختراع وتم منعنا من الظهور في عالم البشر ، وبالتالي ستقل المؤمن وعلى أثرها ستحدث المجاعات ، التي بالتبعية ستؤدي لهلاك شعبنا وشعوب عالمنا بأسرها .

ولا رحمة ، ونظراً لأننا نهتم بالتقنولوجيا والعلم هو أساس
حياتنا ، فقد قام علماؤنا باختراع هام وضروري في هذا الوقت
الذات ، هذا الاختراع كُنا نُعِدُه لكي ندافع عن أنفسنا من
هجوم الممالك الأخرى علينا في أي لحظة ، ولكن ما حدث
لجموعة من الصراصير ، الساعية والباحثة عن رزقها اليومي ،
في إحدى المنازل المجاورة لمملكتنا كان في منتهى البشاعة ، لقد
لم دخول المنزل بنجاح عبر أحد الشقوق الرفيعة في إحدى
نوافذ مطبخ هذا المنزل ، وجدوا أنفسهم خارج المكان مرة
أخرى ، ولم يتمكنوا من الدخول ، وعندما حدث ذلك مع عدد
غير جدأ من شعبنا الباسل ، اجتمعوا مع كبار الصراصير في
كل بقاع الأرض ، لدراسة هذا الأمر الجلل ، ومن خلال تحرياتنا
وبعد عناء ، توصلنا إلى أن هناك أحد العلماء المصريين يُدعى
طارق تيسير ، قد اخترع مادة يقوم بنشر رذاذها في أي منطقة ،
لتجعلها تحت الحماية ، وتجعلها غير مرئية لنا ، وبالتالي
سيكون هذا الاختراع عائقاً دائمًا أمامنا بل وسيهدد شعبنا
بأكمله بالفناء ، ولقد عكف علماؤنا على دراسة هذه المادة
بعد أخذ عينة منها ، ولكن مع الأسف لم يتوصلا لتركيب هذه
المادة ، ولكنهم في نفس الوقت ، وجدوا طريقة للتسلل لعالم
البشر ، عن طريق قواتنا الآلية ، فهي الوحيدة التي تستطيع
المرور دون أن تصيب بهذه المادة ، ولكن مع الأسف هذه
القوات الآلية ، لها عمر افتراضي لكي تظل متماسكة ، ألا وهو

سبع ليالٍ قمرية ، مضى منها أربع ليالٍ ، ولم يتبق إلا ثلا
فقط ، وبعد ذلك سيكون علينا الانتظار لفترة طويلة حتى
يتم إعداد آليات أخرى تماثل التي ستنتهي عن قريب ، وخلال
هذه المدة سيُحرّم علينا من الطعام والشراب الذي كنا نحصل
عليه بسهولة من عالم البشر .

صمت الصرصور الكبير في هذه اللحظة ليرى تأثير كلماته
على الجميع ، فتكلم برغبيسيوس متسائلاً :

- وما الذي صنعته هذه الآليات في الفترة التي تم اكتشاف
هذه الطامة الكبرى فيها ؟ وماذا لم يتم إعلامنا بها يحدث
غير الآن ؟ فنحن بالفعل وغيرنا من قبائل الحشرات المجيدة
سواء كانت قوية أو ضعيفة ، شعرنا بتواتر في حياتنا ، ونقص
في المأكل والمشرب ، ولكننا أرجعنا ذلك إلى التغيرات البيئية
التي يمر بها العالم من حولنا كل فترة ، ولم يخطر ببالنا أن ما
حدث هو اكتشاف لعالم مصرى كما تدعى ، ومن الواضح أنك
تكثر من مشاهدة الأفلام الهاابطة والخيالية التي تعرضها حانة
(المجد) وأنت تتناول الجعة هناك كل فترة ، مما أثر عليك
كثيراً يا عزيزى صirof !!

أنهى حديثه ثم التفت إلى من حوله من الوفود وقال
بصوت عالٍ :

- هل تتفقون معى فيما أقول أم لا ؟

ارتفعت في هذه اللحظة صيحةُ جميع الوفود الحاضرة مؤيدةً لِكلام كبير البراغيث ، مما زادَ من أسمهنه في الجلسة ، فراجعاً في مكانه وانتفختُ أوداجه في خيلاء ، ولكنَّ كبيرَ الصراصير قابلاً كُلَّ هذا بابتسامَةٍ ساخرةٍ هادئة قبل أن يقول :

- أولاًً سأجيبك عن تساؤلاتك قبل أن أعرّفك مقامك ومكانتك في هذا المجلس الموقر ، لقد قامت حشراتنا الآلية بعمليات قوية في تلك الفترة الحرجة ، فلهذه القوات القدرة على اختراق هذا الحاجز الرهيب الذي عزلنا فيه طارق ومن خلال نقطة التفوق هذه استطاعت أن تحصل على هذا العالم وتحوله إلى خلايا صغيرة ، تم نقلها إلى هنا ، وهو تحت سيطرتنا الآن ، يقبعُ في أحد سجوننا تحت حراسةٍ مشددة ، وزيادةً في إحكام الحلقة حوله حولناه إلى فئة المترددين من شعبنا العظيم ، وتمَّ تقليلُ حجمه ليماشِ حجمهم ، في نفس الوقت الذي أثْرَنَا ببلبة قوية في بلده وفي البلاد الأخرى ، ولقد غيرت هذه المقاتلات شكلها لتتحول مرة إلى بعوضة صغيرة وما فوقها ، بل وقد استطاعت أن تغير شكلها إلى جميع أشكالنا وأنواعنا المختلفة ، وتم نقل العديد من المسؤولين في مصر وغيرها من بلاد العالم ، وأخيراً نجحنا في الحصول على الكارت الرايح الذي من خلاله سينفذ المصري أوامرنا ، رغم

أنفه ، زوجته وولده الصغير .

صمت قليلاً ليلتقط أنفاسه قبل أن يكمل حديثه قائلاً :

- أما فلماذا لم يتم إعلامكم بما يحدث من البداية ، لأنكم تتميرون بالبطء في اتخاذ القرار ، مما سيعطي فرصة لبني البشر للتفوق علينا وهزيمتنا ، وهذا ما لا أسمح بحدوثه طالما في صدري نفسٌ يتعدد ، وللعلم ، أنا لم أذهب إلى حانة (المجد) منذ فترة ، ولكن إذا كنتَ ترغب في الذهاب إلى هناك فما مستعدُ للنزال معك هناك فيتناول جعة الفضلات ، وأنا واثق من هزيمتك شرًّا هزيمة .

تغير لونُ جسد ملك البراغيث إلى اللون الأحمر الناري من شدة الغيظ عند انتهاء صيروف من حديثه ، ولم يستطع أن يرد على كلام الصرسور الكبير ، في نفس اللحظة التي ارتفعت فيها هممها عديدة ما بين مؤيد ومعارض ، بين جميع القبائل المختلفة الموجودة في الساحة الكبرى بأرض الصراصير ، وقد صمت ملك الصراصير لثوانٍ قبل أن تنتصب قرونُ استشعاره فوق رأسه بقوة ، فتوقف الجميع عن الهمس وتطلعوا إليه في صمت ، فقال على الفور وبصوتٍ قوي حازم :

- لقد انتهيتُ من حديثي ، ولا أعلم من معى ومن على ، وحتى لو لم يكن أحدٌ معى ، سأدافع عن مملكتى بكل ما

أولئك من قوة ، يجب أن نتّحد مواجهة هذا الخطر الداهم ،
لأن لا نهلك جميعاً ، وأئُ معارضٍ لي سيكونُ عدوًّا ، ولن أصبرَ
عالية بعد الآن .

هبط الصمت بجناحيه على الجميع ، ودارت قرون
الشمار الكبير ، في عيون الجميع ، ليرى تأثير كلماته عليهم ،
وها هي إلا ثوانٌ معدودة حتى ارتفعت صيحات التأييد
للمتصور الكبير ، لقد أعلن الجميع ولاءه لقبائل الصراصير ، ما
عدها البرغوث الكبير الذي رحل عن المجلس هو وزيره دون
استثناء ، ولكن عند وصوله مملكته ، طلب عقدَ اجتماعٍ
مع مؤيديه وناصريه وعرض عليهم ما حدث هناك في قبيلة
الصراصير وما توصلوا إليه هناك من ضرورة الاتحاد لمحاربة
هذا الخطر الذي يواجه الجميع ، ولقد كانت النتيجة مخالفة
لرأيه ، لقد أعلنَ مؤيدوه ضرورة الرضوخ لفكرة الصراصير ،
لأنها هي السبيلُ الوحيد مواجهة هذا الخطر الداهم الذي
يهدد الجميع ، ولأنَّ الديمقراطية هي التي تسودُ قبائلَ
البراغيث ، فقد تمَّ الاتفاق على قبول التعاون المشترك بين
جميع الفئات والأنواع من الحشرات ، وعندما بلغ الخبرُ كبيراً
الصراصير ، ابتسمَ في ثقة ، لقد قطع نصفَ الطريق نحو المجد ،
والم يتبقَ إلا القليلُ لينال مُراده ، وسيناله .



صَيْر



الفصل
العاشر





الفصل العاشر

دُغْهُ يفعل ما يشاء ، لقد أعلَنَا الموافقة أمام الجميع فقط ، ولكننا دائمًا نعمل في صمت ، لقد فعل الصرصور الأكبر هذه الشجنة وطلب المساعدة والاتحاد من الجميع لأنَّه يعلم قدره جيداً ، يعلم أنَّه لا يستطيع التغلب على الجنس البشري وهذه وعده ومعه جميع فئات وقبائل الصراصير ، لذلك عقد هذا الاجتماع ، ولكنني سأجعله يعلم جيداً قدرات النمل ، إذا ما اجتمعت واتحدت معاً .

نطقَتِ الملكة نمليس ملكة النمل ^٨ بهذه العبارة الطويلة وهي تجلس على عرشهما الزجاجي في كهف خفي تحت الأرض من كهوف النمل التي تنتشر هناك ، لقد وجَّهَتْ حديثها إلى رئيس الوفد القادم من اجتماع الصرصور الأكبر مع القبائل المختلفة من الحشرات ، لقد أمرَتهُ ألاً يوافق أو يرفض أيٌّ حدِيثٍ من الذي سيُدارُ هناك حتى يرجع لها ويُخَبِّرُها بكل ما دار هناك ، ولقد كان ردُّها حاسماً في هذا

الشأن ، مما دعا رئيس الوفد إلى الصمت بعد حديثها معه ، وانطلقت خلبيات الزجاجية تفكر فيما تقوله الملكة ، محاولاً سبّ أغوارها ولكنه فشل في ذلك ، فتحرّكت قرونُ الاستشعار الصغيرة جداً في مقدمة رأسه بحيرةٍ بالغة قبل أن يرفع عينيه إليها ، ل تستقبل حيرته بابتسامه عجيبة تجمع بين السخرية والغموض ، وعندما قررت أن ترحمه من التفكير قالت :

- دع خلبياك ترتاح من التفكير فلن تستطيع الوصول لما أفكـر فيه ، حتى لو أضـعـت حـيـاتـكـ بـأـكـمـلـهـاـ فـهـذـاـ ، كـلـ ماـ عـلـيـكـ الآـنـ هوـ أـنـ تـسـتـدـعـيـ قـادـةـ الـبـولـدـوـغـ ⑩ـ وـالـجـاـكـ جـمـبـرـ ⑪ـ إـلـىـ هـنـاـ فـأـسـرـعـ وـقـتـ .

لم يكـدـ رئيسـ الـوـفـدـ يـسـمـعـ الـاسـمـيـنـ الـتـيـ نـطـقـتـ بـهـمـاـ الـمـلـكـةـ ، حتى ارتجفت قرونُ استشعاره في توتر وتحرّكت عيونه المركبة بزاوية 180 درجة ، وهو يردد الاسمين في خوف وتوّجس ، فابتسمت الملكة وقالت :

- نـعـمـ الـبـولـدـوـغـ وـالـجـاـكـ جـمـبـرـ ، أـخـبـرـهـمـ أـنـ الـمـلـكـةـ تـرـيـدـهـمـ هـنـاـ عـلـىـ الـفـورـ ، لأـدـاءـ مـهـمـةـ فـيـ غـاـيـةـ الـخـطـوـرـةـ فـيـ عـالـمـ الـصـرـاصـيرـ .

لم يتـفـوهـ بـكـلـمـةـ وـاحـدـةـ بـعـدـ كـلـمـاتـ الـمـلـكـةـ الـحـاسـمـةـ وـانـدـفـعـ لـتـنـفـيـذـ أـوـامـرـهـاـ عـلـىـ الـفـورـ ، فـيـ نـفـسـ الـلـحـظـةـ الـتـىـ أـلـقـتـ هـىـ

أوامرها للشغالات بالإسراع بتنظيفها وإعدادها للقاء قادة الحرب ، وهي تعد في رأسها أغرب خطة في عالم النمل منذ تواجده على الأرض من ملايين السنين ، خطة التقارب والتبعاد بين الأجناس والفئات ، ويا لها من خطة .

من الصعب على ضابط مخابرات مثل أحمد نعمان ، خالق
معارك ضارية بعدد شعر رأسه أن يرضى بأن يكون أسيراً في
عالم من الحشرات القذرة ، كل ما يذكره هو هروبه الغريب
من مبنى شرطة لندن العتيق بطريقة غريبة بمساعدة طارق
الذى تحول في غمرة عين إلى كائن خرافي يعيش في الأرض
فساداً ، بلا أى وازع من ضمير ، لقد أخرجته من المبنى لم
انتطلق إلى أعلى نقطة في السماء ، من الممكن أن يصل إليها
بشرى دون أن يفقد الوعي ويدون تنفس ، تتبعه رصاصات
فريق القوات الإنجليزية ، قبل أن ينطلق سلاح الطيران لـ
أثريهما ، ولكن الطائرات الإنجليزية لم تعثر عليهما ، وذلك لأن
طارق وبكل بساطة تحول فجأة إلى مجموعة من الحشرات
الطائرة المختلفة الأشكال والألوان ، دون أن يلاحظه الطيارون ،
ولكن الشيء العجيب والذى لم يجد له أحمد تفسيراً حتى الآن
، هو أنه استطاع تحويله هو أيضاً إلى حشرة صغيرة من ضمن
هذه الحشرات المتنوعة ، قبل أن يجد نفسه في هذا المكان
المُظلم الذى تبعت منه روانٌ كريهة ما بين الفينة والفينية .

قام من مكانه وتحرك بهدوء ويداه تتحسن طريقه
بحذر ، محاولاً معرفة طبيعة المكان الذى صار أسيراً فيه ،
ظل يسير مترین إضافيين ، حتى اصطدم بشيء صلب ، لم يكذب

لأنه حتى ارتفعت آهة ألم بشرية من هذا الشيء ، جلس
أحمد على ركبتيه بجانب هذا الشيء الصلب وهو يمد يده
لأنه سسه ويقول بلهفة :

ـ آسف ، من أنت ؟ هل أنت أسيرٌ هنا مثلى ؟

لم يسمع إجابة لسؤاليه غيرَ همهمةٍ خافتة ، تدل على أنَّ
هناك شيئاً يعيق حديث هذا الكائن البشري ، حاول أحمد
يجهداً أن يعثر على أي وسيلةٍ للإضاءة ولكن دون جدوى ،
وعندما بدأ اليأسُ يضربُ قلبه وكيانه بأكمله ، أضياء المكانُ
بأكمله على نحوٍ مباغٍ لتتضح الحقيقة الكاملة أمام عينيه .

لقد رأى من حوله مجموعة كبيرة من الصراصير كبيرة
الحجم، ولكنها لم تكن كالتي عرفها طوال حياته وكما يعرفها
الجميع ، بل كانت صراصير تحملرؤوساً بشرية ، وهنا
استطاع تفسير الصوت البشري الذي سمعه منذ لحظات ،
كانت الرؤوس البشرية لأشخاص يعرفها تماماً المعرفة وأشخاصٍ
لم يرهُم من قبل ، لقد كان من بين الأشخاص ، ضابط المخابرات
الفرنسي أنطوان وزیر الخارجية الفرنسي ، وزیر الداخلية
المصري والعديد من اللواءات ، بالإضافة إلى طارق ، الرجل
الذى من الممكن أن يوضح له الكثير من الأمور الغامضة

والتي تحتاج إلى الكثير من التفسيرات في الوقت الحالى ، أما ما جذب انتباهه أكثر وأكثر هو وجود سيدة رقيقة الملامع وبجانبها يرقد طفل صغير ، الجميع كانوا يحملون رؤوسهم البشرية وأجسادَ صراسيـر مختلـفة الأحجام .

تحسسَ أحمد جسده بدوره لتتضحَ له الرؤية ولتظهر له البينة ، لقد تحول بدوره إلى صرصور كبير الحجم له رأس بشريـة ، الفرق بينه وبينـهم هو أنه لم يكن مقيـداً بأى شيء ، أما هؤلاء الأسرى فقد التـف على جسدهم بأكملـه خيوط رقيقة متينة تعيق حركـتهم تماماً .

حاولَ أـحمد أن يفك قيودـهم بكلـ ما يملكـه من قـوة ولكن دون جـدوـي ، حتى أصـابـه اليـأس فجلسـ في مـكانـه ، وهو يـدـيرـ عـينـيهـ في المـكانـ ، ليـتـبيـنـ مصدرـ الإـضـاءـةـ ولكنـهـ معـ الأـسـفـ لمـ يـعـثـرـ علىـ شـيءـ .

هلـ هـىـ لـعـنةـ أـصـابـتـهـ وـأـصـابـتـ الجـمـيعـ منـ حـوـلهـ ؟

طرحـ عـقلـهـ هـذـاـ السـؤـالـ عـلـىـ نـفـسـهـ ثـمـ اـنـتـظـرـ قـلـيلـاًـ منـتـظـراًـ الإـجـابةـ وـلـكـنـ دونـ جـدوـيـ ، فـابـتـلـعـ رـيقـهـ بـصـعـوبـةـ ، قـبـلـ أـنـ يـتـجـمـعـ العـرـقـ الـبـارـدـ عـلـىـ جـبـهـتـهـ ، لـقـدـ اـعـتـادـ عـلـىـ مـوـاجـهـةـ أـىـ

كُل من أشكال الخطر ، التدريبات التي تلقاها في المخابرات
المصرية جعلت منه رجلاً له قلبٌ قدّ من الصخر ، لم يهُبْ
أقوٰت ولو للحظة واحدة ، لم يطرف له رمش والرصاصات
المطايير من حوله في أي مهمة كُلَّف بها ، ولقد اعتاد السخرية
من أي شيء يثير الرعب والخوف في نفس أي إنسان ، ولكنه
اليوم خائفٌ بحق ، لأول مرة يتذوق معنى الخوف ، لأنَّه
لا يعلم ما الذي سيحدث بعد ما هو فيه ، ولأنَّ الأمرَ الآن
 فوق قدرات وتفكير البشر ، فكل ما هو وراء الطبيعة مخيفٌ
وغيَّب ، كل ما هو مخالفٌ لناموس البشر ، يقتلعُ الاطمئنانَ
من النفس ليلقى بها في براثن القلق والتربُّب ، فأصعب أنواعِ
القتل هو قتل التربُّب ، فالناس أعداء للمجهول ، وهو الآن
يشعر بنفس الإحساس ، وأنَّه اعتاد طوال سنوات عمله في
المخابرات المصرية أن المعلومات هي طوق النجاة ، فهو يشعر
الآن أنه عاجز ، مقيد ، وأنَّه اعتاد عدم الاستسلام فقد قررَ أنَّ
يبحث عن المعلومات بنفسه .

عقد كبير الصراصير قرون استشعاره بشدة فوق رأسه ، وهو
يستمع إلى كل ما يدور بعقلِ أحمد من خلال مجساتٍ خاصة
مخفية بمهارةٍ في جدران المكان الذي يُحتجز فيه الجميع ،
والذي من خلالها يستطيع أن يسمع الأفكار التي تدور في

رؤوس أى بشرى منهم ، لقد ابتكر كثيرون العلماء هذا الاختراع
بعد مجهد استغرق سنوات وسنوات ، قبل أن يهديه إمبراطور مملكة الصراصير الذى قرر وضعه في جميع سجون
قبائل الحشرات وبدون علم أحد إلا كبير العلماء وبعده
معاونيه ، والذين بمجرد انتهاءهم من تركيب هذه الأجهزة لم يختلف جزاً لهم عن جزاء سنمار ، ولم يمس رئيسهم بأى سوء
وذلك لاحتياج الإمبراطور له في كل ما هو قادم .

- سيدى ، هناك هجوم على القطاع التاسع .

قطع أفكار الإمبراطور صوتٌ كبير الحراس فالتفت إليه بحدة وقال :

- القطاع التاسع !! أرسل قواتٍ إضافية لحماية المكان على الفور ، ول يتم التعامل مباشرةً مع الدخلاء .

انطلق قائدُ الحرس لتنفيذ أوامر الكبير على الفور ، تاركاً الإمبراطوري يغوص في لجةٍ من الأفكار المتوقرة ، لقد انقسم عقله إلى نصفين ، أحدهما يتبعُ ضابط المخابرات المصرى محاولاً التوصل لكيفية نجاحه في التواصل مع الأسرى ، والنصف الآخر في طارق ، هل سيقبل التنازل ويعرف بالهزيمة ؟ ويبيح

أميرار تجربته الرهيبة والتي أعاقت مخططاته هو شخصياً
في المراحلة القادمة من حكمه ، ولم يفكر في الخطر القريب
ذلك كثيل الوريد ، الخطر الذي يحيط بالقطاع التاسع ، أهم
القطاعات في قبائل الصراصير .



صَيْر



الفصل
الحادي عشر





الفصل الحادي عشر

تقلب سير أوليفر ضابط المخابرات البريطاني الفذ ، في فراشه بأحد أكبر مستشفيات لندن كالمحموم ، حيث تم نقله إلى هذا القسم الخاص برعاية الطوارئ ، بعد دخول الحشرة صغيرة الحجم الموجودة دائماً فوق البعوض ، إلى مخه في قلب إسكتلند يارد ، لم يدرِّ ما الذي حدث وقتها ، لقد كانت تأخذه نوبة الانتصار إلى أبعد مدى ، بعد أن استطاع الإيقاع برجل المخابرات المصري ونظيره الفرنسي العنيد ، بضربة واحدة ، ولكنه شعر وقتها بصاروخ من الألم انطلق يغزو تلافيف مخه بلا هوادة .

لم يمهله الألم حتى يدرك ما يحدث من حوله ، ففي لحظاتٍ قليلة تحول النصر المبين إلى هزيمةٍ مريمة ، ولأنه لم يعتدُ الهزيمة من قبل فقد كان يستشيطُ غضباً وهو يرقد على أحد أسرّة هذا المشفي ، أسيراً بغير إرادته .

- متى سأخرج من هنا ؟

أُلقي بهذه العبارة الصارمة ، على إحدى الممرضات التي دخلت إلى غرفته في هذه اللحظة ل تتبع حالته الصحية قبل المرور اليومي المعتمد للطبيب المعالج ، ابتسمت الممرضة ببرودٍ معتاد وقالت هادئةً :

- لست أنا من يحدد ذلك ، ولكن طبيبك المتابع هو من يستطيع إفادتك في هذا الأمر .

تركته بعد أن ألقى عبارتها الجافة وانطلقت لتبادر عملها المعتمد ، فتراجع هو في فراشه وهو يزْمُ شفتيه متبرماً من حديثها ، ولكن رؤيته لأحد زملائه الذي فتح باب الحجرة في هذه اللحظة لزيارتة والاطمئنان عليه ، أعاد له ثقته بنفسه مرة أخرى ، فعلَّت شفتيه ابتسامةً هادئةً وهو يستقبل زميله قائلاً :

- أهلاً إدوارد ، كيف حالك ؟

ما زلت كما أنت يا صديقي ، لا تعرف بالهزيمة أبداً ، أنا بخير ، جئتكي أطمئن عليك وعلى صحتك .

أطلق اوليفر ضحكة ساخرة عالية وهو يرثث على كتف صديقه وهو يرد على صديقه بعبارة لاذعة من بين ضحكاته :

- ياعزيزي لا تهُنْ ذكائي ، هل أتيت إلى هنا وتجشمت عناء الطريق ، من أجل أن تطمئن على ، كلاً يا ادوارد ، لقد أتيت كي أوري أثراً الهزيمة على نفسي ، وترى في عيني الانكسار ، ولكنني لن أترك لك هذه الفرصة ، ولتعلمَ أنني في خير حال .

اقرب ادوارد بوجهه من وجه اوليفر وقال شامتاً :

- أين ذهب رجل المخابرات المصري ورفيقه الفرنسي ؟

تصلب اوليفر في مكانه ، واتسعت عيناه في ذهول ، دام الثانية واحدة ، غفل عن ملاحظتها زميله ، وهو يشعل سيجارة لسأذ الرائحة ويتراجع في مقعده بغرور ، لقد تحركت الحشرة الصغيرة في مخ اوليفر ببطء شديد لتضغط على مركز الكلام في رأسه وتلقى له بالكلام الذي يتماشي مع مخطط بنى جنسها، ومع الثانية التالية ، حلّت نظرة باردة بعينيه وهو يرمي ادوارد ويقول :

- ليس هذا من شأنك .

تلقي ادوارد الصفعة من أوليفر ، ليعرّبَ شيطان الغدر
علي ملامحه ، وهو يلقي سيجارته وهي مشتعلة في الحجرة مما لا يتماشي مع سياسة المستشفيات في لندن ،
منع التدخين نهائياً في المستشفيات من الأصل ، ثم قام من مقعده وهو يقترب من زميله ويلوح بكفه في وجهه ويقول

- ليس من شأنِ !! يبدو أنك لم تدرك حجم الخطأ الذي وقعت فيه وأوقعت المكتب الخامس فيه ، لقد تركت رجلاً مخبرات يهربان من أحد أهم وأقوى أجهزة الشرطة في العالم دون أن تبذل أي جهدٍ للقبض عليهما ، ودعني أذكرك بأعزizi بأنَّ رجل المخبرات المصري هو الذي تسبّب في تفجير السفارة الإسرائيلي هنا في قلب لندن ، إسرائيل أرض أليعاد وأحد القوي العظمى في العالم في الوقت الحالي .

نظر أوليفر في عينيه زميله مباشرة وهو يقول ببطءٍ ، وبلهجةٍ حازمة :

- هل اعتبرُ هذا اعترافاً منك بولائك لدولة إسرائيل ؟

ابتلع أوليفر ريقه بصعوبة ، وتجمّع عرقٌ بارد على جبهته ،

أن يهز رأسه نافياً لحديث زميله ، وهو يقول بصوتٍ
يُصرخ :

لقد أصابك الجنون حتماً يا أوليفر ، أنت تعلم أن ولائي
له دولتنا المجيدة ، فكيف أحول مسار حياتي لكيان آخر ؟!
ولكلمني متابعاً للأحداث التي تقع على الساحة ليس إلا ، إن
أمريكا تبسط جناحيها على إسرائيل كأي أم حانية ، تدبر لها
آل ما يخدم مصالحها ، مما يجعلها تعيث في الأرض فساداً بلا
أي وازع من ضمير ، حتى أن خطرها امتد إلى أمريكا نفسها ،
دون علمها ، كل ما أقوله أن انفجار سفارتهم على أرضنا ،
ووضع دولتنا في موضع حرج أمام العالم أجمع وأولهم الولايات
المتحدة ، ونحن لسنا نملك وقتاً للدخول في صراع مع دولة
ظلمي في هذا الوقت .

ابتسم أوليفر في سخرية وهو يقول بصوته وبعقل بعوضة:

- اقرأ التاريخ يا عزيزي ادوارد ، بريطانيا هي من أوجدت
إسرائيل ، بولفورد هو السبب في كل الخراب الذي حلّ على
الأرض عندما أعطي رأيه بنشأة دولة إسرائيل ، لعنة الله عليه
وعليكم جميعاً .

سرت رعدة خفيفة في جسد ادوارد وهو يستمع إلى حديث صديقه العجيب والصريح عن مؤسس هذا الكيان الصهيوني الرهيب ، فاقترب منه علي وجهه علامات التحفز والشراسة ، ل تستقبله قبضة أوليفر كالمطرقة ، لتهوى علي معدته فاتسعت عيناه عن آخرهما وهو يتطلع إلى موضع إصابته التي تحولت إلى فيضان هائل من الدماء القانية ، ومعدته تتمزق تماماً .
يمُهْلِهُ أوليفر حتى يلتقط أنفاسه ، بل انقض عليه ليُحيط رأسه بساعديه الأيمن بقوة ثم يغرس سبابته اليمنى في عنقه ، ويبدأ في سحب دمائه رويداً رويداً ، وما هي إلا لحظات حتى تحول جسد ادوارد إلى طبقة كبيرة من الجلد الخاوية من أي أجهزة

تركه أوليفر يسقط أرضاً ، ثم أخذ يلعق سبابته باستمتاع وهدوء ، وب مجرد أن انتهي من فعلته ، أسرع باستبدال ملابسه مع ملابس رفيقه ثم حمله ووضعه في الفراش ، ثم بسط عليه الغطاء بحيث لا يظهر من جسده إلا العينان ، أزال آثار المعركة بسرعة ثم رفع ياقه المعطف الذي يرتديه بحيث تخفي جزءاً كبيراً من وجهه ، وهو يتجه إلى باب الخروج من القسم بكل ثقة وهدوء ومنه إلى الباب الخارجي ، ليغادر

المكان بأكمله ، والحشرة الصغيرة التي تحولت إلى بعوضة في
ذلك ، تلقى له بأوامرها لتنفيذ مهمته الأساسية الرهيبة .



شاعر



الفصل
الثاني عشر





الفصل الثاني عشر

كان الهجوم على القطاع التاسع في مملكة الصراصير مباغتاً ، خمسمائة نملة من الجاك جمبر الآكلة للحم بكل أشكاله وأنواعه انقضت على هذا القطاع والذي يُعتبر من أهم القطاعات في المملكة ، لاحتوائه على حوالي 60% من المؤن والعتاد الاستراتيجي للصراصير ، بالإضافة للمعامل الكيميائية الخاصة والتي تحوى العديد من الأسلحة الاستراتيجية الخاصة التي تعتبر أصل دفاعاتهم ، فالمعلم الواحد يحتوى على 20 باتل من كبار العلماء في مملكة الصراصير ، مما بالك بخمسين باتل تشير شهية القوى العظمى في ممالك الحشرات على وجه الأرض ؟

كانت البداية عندما وصل إلى قرون استشعار حرس القطاع التاسع أزيزٌ قويٌّ جعل قرونهم ترتعش على نحو غير معهود قبل أن تنقطع بقوة وبصحبتها رؤوس الحراس بأكمها ، فالموجات فوق صوتية التي أرسلتها قوات الجاك جمبر كانت من نوع متطور لم تعهد الصراصير من قبل ،

لذلك فقد أخذتها المفاجأة لتقضى عليهم جميعاً في لحظات
قليلة .

أصبح القطاع التاسع ملك يمين القوات المقتحة ، وهذا
جاءت المرحلة الثانية وهي الأخطر على الإطلاق ، اقتحام
المعامل وتدمير المؤن التي يحصددها ويجمعها كل صرصور
في المملكة طوال فترة الصيف تقريراً ، كانت أبواب جحور
المعامل والمخازن موصدة بـرتاجات إلكترونية قوية ومتقدمة
من المستحيل فتحها إلا بشفرات خاصة تحملها الصراصير
تحت أجنحتها ، ولكن هذا لم يفت من عضد فريق النمل
المقاتل ، لقد اصطف في شكل دائري أمام كل بابٍ من أبواب
المعامل والمخازن عشر نحلات ، ثم تحركت إحداها ووقفت في
المنتصف على أرجلها الأربع الخلفية المشعرة وانتصب فكها
لأعلى بقوه وثبات ، وعلى الفور أحاطت بها رفيقاتها وشبكت
أفكاكها معها لتصبح فكاً واحداً فقط ، صوبوه إلى الباب بدقة
ومهارة لتنطلق دفقة من مادة كيميائية حارقة ، ليس لها
وجود في أي مرجع كيميائي بشري ، ما أن لامست الرتاج حتى
انصهر على الفور قبل أن يتبخّر تماماً ، مفسحاً الطريق أمام
القوات المقاتلة ، والعجيب أن هذا ما حدث بالضبط مع
جميع المعامل والمخازن وفي نفس اللحظة ، ليثبت النمل أنه
من أعظم الممالك التي خلقها المولى عز وجل ، من حيث

التدليل والمهارة وإطاعة الأوامر .

كان الهدف الأول هو تدمير أي مخزون أمام القوات ، لم تدمير أي اكتشاف أو اختراع كيميائي يعطى الصراصير أي فرصة تفوق على النمل ، وبالفعل لم يترك الجاك جمبر أي جزء في المكان إلا وأتوا عليه تماماً ، فلم يتركوا جزءاً فيه إلا وقاموا بتدميره تماماً ، ومع تراجع العلماء ومع الفزع الذي أصابهم من هذا المشهد الذي لم يكونوا يتخيّلُون حدوثه في المدى كوابيسهم رعباً وقسوة ، بسط الجاك جمبر نفوذهم على المكان بكل ثقة وقوة ، ولكن دائماً هناك ثغرة صغيرة جداً قد تقلب الأمور في قلب المعركة لتحول المنتصر إلى مهزوم يائسٌ به الخزي والعار ، وهذا ما حدث في المعمل رقم 40 عندما ضغط أحد العلماء زر الطوارئ الموجود أسفل قدمه ، انطلق صافرات الإنذار تدوى في كل مكان بالمملكة ، ولم يكن بسبب هذا العالم إلا دفقة من المادة الكيميائية الحارقة التي حولت في ثانية إلى عود ثقاب مشتعل ، انطفأ بعد لحظات ليتحول العالم إلى رماد أسود محترق .

ومع هذا التطور الغير محسوب في المعركة ، شلت المفاجأة قوات الجاك جمبر لثوانٍ ، استغلتها قوات الصراصير المقاتلة على أكمل وجه ، فبعد أن أخذ قائد القوات أوامره من الإمبراطور ، بالهجوم على القوات المعادية ، وسحقها سحقاً

، أرسل على الفور القوات الجوية الخاصة إلى المكان لتحمّل
بجميع المخازن وامتعامل إحاطة السوار بامتعصم ، ولم يجد
هناك ما يقال ، لقد خسرت قوات الجاك معركتها هذه المرة
وعلى غير أرضها .

أطلقت ملكة النمل ضحكة عالية ساخرة ظافرة ، وهى أربت على ظهر قائد فرقة البولدوغ المقاتلة في ود ، قبل أن تعود إلى عرشها مرة أخرى فأسرعت الشغالات بتنظيفه بعناء على استقررت عليه املكة التى نظرت إلى القائد مرة أخرى وإنقول :

- أحسنت أيها القائد ، هذه العملية التى أتممتها بنجاح ستعلىنى أفكر جدياً في تعينك قائداً لجيوش النمل بأسرها .

لم التفت إلى صرصور صغير يحمل رأساً بشريه وفي عينيه اهلاوة حائرة وهو يتلفت يميناً ويساراً باحثاً عن شيء ما ، قبل أن تلتقي نظراته مع نظراتها الظافرة ، فبادرته قائلة :

- مرحباً بك أيها البشري في مملكة النمل ، أعظم وأقدم الممالك منذ نشأة الأرض .

- كيف جئت إلى هنا ؟

نطق طارق بهذه العبارة والحقيقة تقتل خلاياه البشرية ، فابهابته على الفور قائلة وهي تشير إلى قائد الجيوش القادم :

- أعتقد أن البولدوغ ، هو أفضل من يجيبك على هذا السؤال .

تنحنح القائد في مكانه ثم التفت إلى طارق ، وفتح فمه

الصغير الذى تستقر به زابان قاتلان ، ليخبر طارق بالخطأ
البديلة ، خطة اختطافه إلى هذا العالم العجيب .

استعدت القوات الطائرة والمقاتلة من الصراصير المهجنة،
 والتي أنتجتها مصانع الصراصير بابتكارات حديثة وبارعة، أثبت
 بها علماء هذا العام أنَّ لهم اليد العليا في حماية ممتلكاتهم
 ونأمينها ، فهذه الصراصير لها القدرة على القتال في جميع
 الأحوال وتتحمل أيَّ درجة من درجات الحرارة ، دون تعب أو
 ألل ، هدفها الأساسي هو القضاء على العدو والوصول للهدف
 بأي شكل من الأشكال ، والحق يقال أنها قامت بواجبها على
 أكمل وجه ، فمن خلال عقلها المتتطور والذي يحاكي أيَّ وسط
 وأي بيئة ، وكفائته العالية في سرعة اتخاذ القرار والعمل على
 تحليقه في اللحظة المناسبة ، أحاطت خمسون فرقهً من هذه
 القوات بالخمسين معملاً ومخزناً ، كُلُّ فرقهٍ تكونت من 50
 مقاتلاً ، ما بين الطائر والزاحف ، أشار لها قائدتها بمتابعته
 على يعطيهم الإذن بالهجوم مع العدة الثالثة ، رفع ذراعه
 المشعر وبدأ في العد قائلاً :

واحد - اثنان - ثلاثة .

وكانت هذه هي نهاية كلماته في هذه اللحظة ، بل وفي
 العام الذي ينتمي إليه أيضاً ، فمع نهاية العَدَة الثالثة وب مجرد
 دخول الصراصير إلى المعامل والمخازن ، دَوَّت الانفجارات
 المتناثبة في جميع الأماكن لتطيح بالقطاع التاسع بأكمله ومعه
 القوات المقاتلة بأسرها ، لتطيح بهم ، وتنقلهم إلى العالم الآخر ،

انتفض الإمبراطور في مكانه وأسرع إلى الباب الملكي الضخم وهو ينادي على قائد الحراس ، الذي أتاه على الفور وهو ينزف من كل سنتيمتر في جسده القوى ، وبمجرد أن وصل إلى الإمبراطور حتى سقط مغشياً عليه على الفور دون أن ينبع ببنت شفة ، وفي هذه اللحظة وبينما الصرصور الأكبر مشغول بما يحدث في مملكته من دمار ، لم يلاحظ فرقة البولدو التي اقتحمت السجن الذي يحوي البشر الذين تم أسرهم في مملكة الصراصير ، وانقضت على الهدف الذي جاءت من أجله ، على طارق ، وبسرعة البرق أحاطت به الفرقة الانتحارية وحملته على ظهورها قبل أن يقوم قائدتهم بإلقاء مادة رقيقة على جسد طارق بأكمله ، ليتم إخفاوه على الفور عن عيون الجميع ، ووسط حالة الذهول التي أحاطت بالجميع تحرك أحمد نعمان ضابط المخابرات المصري الفذ في هذه اللحظة

محاولاً منع البولدوغ من بلوغ الهدف وصعودهم منصة
 التتويج ، فانقضَّ على أقرب مقاتل إليه وأطاح به أرضاً قبل
 أن يعتليه وهو يكُوْر قبضته الصغيرة ويهدى بها على وجهه
 البولدوغ ليطيخ بجزءٍ من وجهه الصغير ، ولكن العيون المركبة
 للمقاتل لمحت قبضة أحمد الثانية وهي تنقضُّ على وجهه مرة
 أخرى ، وبسرعة البرق رفع أحد أذرعه العديدة وتصدى للكمة
 وهل المخابرات ، في نفس اللحظة التي رفع أرجله الأربع
 وأحاط بجسد أحمد من الخلف قبل أن يلقى به إلى آخر
 المكان ، لم يلتفت البولدوغ ليرى ما أصاب أحمد ولكنه انطلق
 على الفور للحاق برفاقه الذين انطلقوا عائدين إلى مملكتهم
 عن نفس المكان الذي أتوا منه ، أما أحمد فقد فُقد شعر وكأنَّ
 سقف المكان بأكمله قد انهار على رأسه ، فأمسك بجانبي
 رأسه بقوَّةٍ مُحاولاً تخفيف أثر الضربة التي تعرَّض لها ، وعلى
 الرغم من الهزيمة التي ضربت كرامته في الصميم ، انطلق
 عليه يبحث عن إجابةٍ للسؤال الذي سيلى هذه الأحداث .

ما الذي سيصنعه إمبراطور مملكة الصراصير لإعادة طارق
 مرة أخرى إلى هنا ؟ وهل سينتقم من مملكة النمل على ما
 أحدثه قواتهم المقاتلة بالإمبراطورية من أضرار جسيمة ؟

هل ؟

عليك





الفصل الثالث عشر

ظل طارق ينْقُل بصره بين قائد القوات وبين ملكة مملكة النمل بحيرة ، بعد أن انتهى البولدوغ من حكايته ثم نَكَس رأسه أرضاً في يأس ، فأشارت الملكة إلى القائد بالانصراف فانصرف على الفور ، لتقرب هي بهدوء من طارق وتقف على أرجلها الأربع كـ تماثله طولاً ، ثم وضعت ذراعها أسفل رأسه ورفعتها بيضاء ، وهي تنظر في عينيه بعيونها المركبة التمانية عشر ، ثم همست قائلة :

- دعني أريك المملكة ، وبعدها سيكونُ بيننا حديثٌ طويل.

قالت عبارتها ثم التفتت إلى الشغالات وألقت أوامراً
بضم قائلة :

- أعدوا البشري لجولةٍ طويلةً بـ المملكة .

ثم التفتت مرة أخرى إلى طارق وقالت برقية باللغة :

- سأنتظرك بالخارج .

كانت هذه هي آخر كلماتها داخل القاعة الملكية قبل أن تغادرها إلى الخارج ، وعلى الفور ودون إضاعة ثانية واحدة اندفع عدد كبير من الشغالات نحو طارق ليرفعوه عن الأرض ويذهبوا به إلى غرفة جانبية ، تحتوي على الكثير من المنظفات ذات الروائح العطرة ، ومغطس كبير للمياه ينبع منها بخار كثيف أخضر اللون ، ألقوا فيه البشري على الفور ، في نفس الوقت الذي ألقى مجموعه أخرى من الشغالات كمية كبيرة من سوائل مختلفة القوام والرائحة ، وما هي إلا ثوان معدودة حتى بدأت المياه في الفوران ، وعلى الفور ألقوا بطارق في هذا المكان العجيب ، لتزداد كثافة الأبخرة وهي تغطي جسده بالكامل.

أخذته المفاجأة ، وحاول الخروج من هذا المغطس ولكنه كان يتقلب من الداخل لتزداد معه سرعة دورانه ، وكأنه بداخل إحدى ماكينات الغسيل الكهربية ، استمر على هذا الحال لعشرين دقيقة كاملة قبل أن تنتزعه مئات الأذرع من المكان ، ليخرج وكأنه قد ولد من جديد ، جسده ييرق ويلمع على نحو غريب ، تقدم نحوه اثنان من الشغالات عطراً وصفقا له قرون استشعاره ، ثم اصطحباه للقاء الملكة المرتقب ، كان مستسلما تماماً لهما ، لم يحاول أن يعترض على ما يفعلانه ، أو يعني

اسع لم يجد الفرصة لي فعل ذلك حتى وصل إلى مملكة التي
عاشت بعظمةٍ فوق مجموعة من النمل السائق الأعمى ⑪ ،
تميل بها مجموعة كبيرة من جنود الحراسة الخاصة بها ،
بالإضافة لعددٍ ضخمٍ من حُرَّاس المملكة، مع عددٍ لا يُحصى
من الذكور الذين ينتظرون موسم التزاوج ليُظهِرَ كُلُّ منهم
قدراته أمام مملكة ليتمكنَ من تلقيحها .

أشارت إلى طارق وهي قبتسُمْ برقٍةٍ وحنان ، فتقدَّمَ إليها
المدْ ذراعها الصغير إليه وتلتقطه على الفور ، فإذا بها تجذبه
ليستقرُ بجانبها على رأس الموكب الملكي .

أشارت إلى قائد الحرس فأمرَ الموكب بسرعة التحرك ، ومع
بداية الانطلاق التفتت مملكة إلى طارق وقالت :
- لقد تغيرت تماماً .

ابتسم وهو يتطلع إلى عيونها الثمانية عشر المركبة ويقول :
- إلى أين سنذهب ؟

تراجعت في مكانها بكل عظمة وفخر وهي تقول :
- سآخذك في رحلة لن تنساها ، إلى مملكة النمل العظمى ،

وليشهد التاريخ أنك أول بشر يأتى إلى هنا بإرادته أو بغیرها
لتري وتسمع ما لم يخطر ببالك طوال حياتك .

انطلق الموكب المهيب إلى الأمام ، وانطلقت معه التساؤلات
في عقل طارق ، إلى أين سيذهب هذا الموكب ؟

وكيف ستكون رحلته في هذا المكان الغريب الذي وجد
نفسه فيه من غير حول له ولا قوة ؟

ما هو مصيره عند الوصول لنقطة النهاية ؟

قطعت الملكة تساؤلاته كما يقطع السكين الزبد ، وهي
تشير إلى نقطة بعيدة نسبياً في الأرض وتقول باهتمام :

- هذه هي فوهة المجد .

قرنت عبارتها بيماءٍ من رأسها إلى قائد الجيوش الذي
ألقى أوامره إلى النمل السائق ، فتحرك على الفور بسرعة
فائقة إلى الفوهة وعبرها بسرعة البرق ، ليغمر المكان ضوءاً
قوياً مبهراً ، أغشي عيون طارق المركبة قبل أن يفتحهم على
أقصى اتساعهم وهو يتطلع إلى ما حوله في ذهول ، ف أمامه
مباشرة ومن جميع الجهات الأخرى كان يوجد عدد هائل من
النمل الذي يتحرك في كل مكان ، بكل همة ونشاط ، مابين

عامل للتراب وبين حافر له ، وبُجُرد أن مَرَّت الملائكة من المكان
أوقع طارق أن يتوقف الجميع لتحيتها ولكن أحداً منهم لم
يائل لها ولا ملوكها العظيم ، العمل أهُم من أي شيء في
الحياة ، بل هو الحياة ذاتها ، هذا هو المبدأ الذي يعيش به
عالم النمل ليجعل له مكانة عالية بين أقرانه من الحشرات
على وجه الأرض .

أشار طارق إلى هذه الأعداد المَهُولة التي تتحرك من حوله
بسرعة كبيرة نسبياً ثم قال :

- ماذا يصنعون ؟

أجبته على الفور قائلة :

- يصنعون مجدهم .

لم تجد أن هذه الإجابة قد أشبعـت فضول طارق فواصلت
حديثها قائلة :

- كل يوم يقوم هذا الفريق بالحفر لمسافة كبيرة قد تصل
إلى 50 متراً يومياً لأسفل وأفقياً أيضاً مما يزيد من المساحة
السكنية للمواليد الجدد بعد موسم التزاوج ، تماماً مثلما
 يحدث في عالمكم .

لم يتوقف الموكب طوال حديثها حتى وصل إلى مكان شاسع، به العديد من المباني المنظمة والمصنوعة من القش وبعض قطع من الخوص ، قرأت امملكة سؤالاً ما في عيون طارق ، فأجابته على الفور دون أن تنتظر السؤال من شفتيه : قائلة :

- هذه هي منطقة المدارس .

التفت إليها والدهشة تغمر وجهه ، كيف استطاعت أن تقرأ ما يدور بعقله وتشاهدَه في عينيه قبل أن يتفوه به ؟

يا عزيزى أنت في عالم غريب عنك ، ومن الطبيعي أن يدور بعقلك الكثير والكثير من الأسئلة التي سيعمل عقلك جاهداً على إيجاد حلول لها ولكن دون جدوٍ ، كل ما حدث إنني قرأتُ السؤال وتوقعته من نظرة عينيك ثم أجبتك عليه .

استمع إلى كلماتها ثم قال :

- أنت في غاية الذكاء أيتها امملكة .

ابتسمت في خجل ثم قالت :

- أشكرك ، لا بد للقائد أن يمتلك مقومات القيادة كي تستقر

أهوازه .

لم أكملت حديثها قائلة باهتمام :

- نحن هنا نهتم بالعلم والتعلم ، فهو السبيل لرقي الأمم
في كل زمان ومكان .

وصل الموكب إلى إحدى هذه المدارس ، فهبطت الملكة بكل وقار وتبعها طارق بدون حراسة إلى داخل المدرسة ،
فصرخ إليها مدير المدرسة مُرَحِّباً وهو يقول :

- لابد أنّ اليوم هو يوم عيد بلا شك ، مجيء الملكة نهليس
إلى هنا بنفسها .

ابتسمت الملكة لهذا الإطراء الذي ألقاها عليها مدير فقالت
وهي تبتسم بهدوء :

- أشكرك يا عزيزي نمس ، لقد جئت أطمئن على سير العمل
 هنا بنفسني .

تهللّت أسارير نمس وهو يلوح بكفه مُشيراً إلى المدرسة
 قائلاً :

- بالطبع يا مولاتي ، المكان ملك لك ، وإنه من دواعي

سروري مجيئك إلى هنا بنفسك وبصحتك إل....

قطع عبارته وهو يعدل من وضع عويناته على اثنين من عينيه المركبة ويشير إلى طارق ، فأسرعت الملكرة قائلة :

- إنه طارق ، أول بشرى في عالمنا .

ثم التفتت إلى طارق وقالت :

- طارق هذا هو دكتور نمس حاصل على دكتوراه في العلوم النفسية والسلوكية للبشر من جامعة نيموالية الدولية .

عقد طارق حاجبيه قبل أن يقول :

- دكتور ليديير مدرسة !! شيء عجيب .

وضعت الملكرة ذراعها على ظهر طارق بود وهي تصطحبه إلى داخل المدرسة وتقول :

- ليس هناك غرابة في هذا ، لقد أخبرتك أننا نولي التعليم معظم اهتماماتنا ، فما المانع أن يتولى دكتور أو حتى وزير سابق إدارة مدرسة ؟ أعتقد أن الفارق سيكون واضحًا في الأجيال التي ستخرج من تحت يديه .

هزَ رأسه متفهمًا لحديثها وهو يدخل إلى فناء المدرسة

لوري مكاناً متسعاً نظيفاً تماماً ، مربع الشكل ، تظلله أوراق
الشجر صغيرة الحجم ، وفي أركانه الأربعه توجد حبيبات
صغيرة جداً من الحجارة أو الزلط مخصصة لجلوس التلاميذ
أثناء الفسحة ، وفي كل ركنٍ من أركانه يوجد مقصفٌ صغيرٌ
عامرٌ بكل ما لذ وطاب من مأكولات ومشروبات شهية لذيدة،
يهدى التلاميذ بالطاقة أثناء اليوم الدراسي ، وعلى الرغم من أن
الوقت ليس وقت الفسحة ، إلا أن الشغالات كانت تنتشر في
المكان ، لتعمل على تنظيفه بكل همة ونشاط حتى يجدَه
التلاميذ على أكمل وأجمل صورة من النظافة والرقي .

صعد نمس إلى الفصول تتبعه نمليس ثم طارق الذي أخذ
يتلفت حوله مطالعاً الصور التذكارية والشرفية التي تحكي
مسيرة ونشاطات المدرسة ، منذ نشأتها وحتى الآن ، ويبدو
أن المدرسة لها باعٌ طويل من البطولات والإنجازات ، مما دبَّ
بالحماس في أوصال طارق كي يري ما يدور في فصول هذه
المدرسة التي أثارت اهتمامه منذ وطأت قدماه أرضاها .

وصل المدير إلى أحد الفصول فครع بابه الخشبي الصغير
برفق ، فانفتح بعد هنيهه ، دلف نمس وهو يشير إلى رفيقيه
لتبعاه للداخل ، ليجدَ طارق أحد التلاميذ يقف في منتصف

الفصل يحمل بين ذراعيه بجهاز صغير جداً يبعث بأزراره
بسريعة البرق وهو يتحدد إلى زملائه ويتبادل معهم الأسئلة
والمقترحات باهتمام ، أدار طارق عينيه في المكان باحثاً عن
أهم شخصية في أي فصل دراسي ، فلم يجده ، وحتى لو وجده
فكيف يمكن تمييزه بين هذا العدد من الكائنات المتشابهة !!
وبينما هو يحاول جاهداً إيجاد المدرس المسئول عن الفصل ،
إذا بأحد هذه الكائنات يظهر فجأة أمام الملكة وهو ينحني
بكل أدب واحترام ، وهو يقول :

- مولاتي الملكة ، إنه لشرف عظيم تشريفك لفصلي المتواضع
في هذا الوقت من العام .

- أين كنت أيها المعلم ؟

ألقت عليه نمليس هذا السؤال باهتمام دون أن تهتم برد
تحيته ، فأجابها على الفور وهو يبتسم :

- كنت أطبق إحدى نظرياتي التي ابتكرتها على نفسي أمام
الطلبة يا مولاتي .

- وما هي هذه التجربة أيها المعلم ؟

- هي تجربة فريدة من نوعها ، تعتمد على إخفاء أجسامنا

أ عن الأعداء وقتما نشاء .

دار هذا الحوار القصير بين نمليس والمعلم الوقور قبل أن
أمللقة رأسها في رضا وتقول بلهجة آمرة :

عندما تنتهي من يومك الدراسي ، لابد أن تأتي إلى القصر
لتحذني باستفاضة عن تجربتك المثيرة .

انحنى المعلم مرة أخرى أمام الملكة وهو يقول :

- إنه لشرف عظيم لي يا مولاتي .

ربت نمليس علي كتفه بود ثم تركت الفصل بصحبة امدير
امام نظرات طارق الذاهلة ، الذي قال في نفسه :

- الآن عرفتُ لماذا يتفوق النملُ علي غيره من الحشرات ،
انه الحب ، فبالحب ترقى الأمم وتسود .

تابع الملكة بعد ذلك إلى خارج المدرسة مع عبارات التحية الكثيرة التي تخرج من بين شفتي المدير بلا توقف حتى انطلق الموكب مرة أخرى إلى منطقة تعج بالنمل من كل شكل ولون، وأشارت الملكة إليهم وقالت :

- أما هذه فهي الأسواق .

- وما الذي يبيعه النمل أو يشتريه من هنا ؟

أُلقي سؤاله وانتظر الإجابة كعادته من نمليس التي
تبخل عليه بها ، فقالت علي الفور :

- النمل لا يبيع ولا يشتري أيها البشري ، عار علينا إن فعلنا
ذلك ، ولكن شعبي يأكل طعامه طوال العام ويدخر ما بقى
منه ، وما لايحتاجه ، حتى يأتي يوم السوق كل عشرين ليلة
قمرية ، ليعرض كل واحد من الشعب ما لديه ليعطيه ما
يحتاجه ، يا طارق نحن نتكافف كي نكفي أنفسنا ولا نحتاج
إلا للخالق عز وجل .

لم ينطق بأي كلمة أمام هذا امبدأ الرائع الذي تتعايش
به كُل قري النمل تحت الأرض ، استمرت الرحلة لعدة
ساعات وأملكة تتعمد أن تشرح لطارق كل التفاصيل الصغيرة
والكبيرة، وهو في قمة الاستمتاع والدهشة ، حتى بدأ الظلام
يبسط جناحيه على مملكة النمل ، فابتسمت نمليس قبل أن
تسأل طارق :

- هل تشعر بالإجهاد ؟

هز قرني استشعاره ببطء وقال :

أبداً، إنني مستمتع جداً بهذه الرحلة الرائعة.

قالت له وهي تعتمد على ظهر السيافو :

وستزداد متعتك عندما تراها.

عند قرني استشعاره بقوٍ ثم قال :

من هي؟

الماميسيا¹².

ومن هي الماميسا هذه؟

روح مملكتنا.

مع نهاية هذه العبارات التي دارت بينهما وصل السيافو إلى منطقة هادئة جداً، فتوجلت نهليس من على ظهره ووقفت في منتصف هذه المنطقة وهي تشير لقائد الحرس إشارة ذات هزي، فأشار بدوره إلى خمسة من الحرس الخاص ، الذين أسرعوا إلى المكان الذي تقف فيه الملكة ثم بدأوا في عملية الحفر أسفل قدميها تماماً حتى وصلوا إلى عمق معين فألقت أوامرها إليهم بالتوقف ، ليطيّعواها بدون تفكير ، فانحنت حتى أدخلت رأسها بأكملها داخل الحفرة وألقت عدة عبارات

داخل المكان ، ثم أدخلت ذراعين من أذرعها وبدأت في عملي الجذب ببطء ، وما هي إلا لحظات قليلة حتى أخرجت عجوزاً تمتلئ حراشيفها باللون الأبيض ، لها خلايا زجاجية وهناء تُوشك أن تتحطم مع أي حركة عنيفة ، لذلك فالمهم بنفسها هي من تخرجها من هذه الحفرة وليس الحراس .

جلست العجوز أرضاً ، فانحنى عليها نمليس وقبل رأسها بوقار واحترام بالغ ثم تراجعت عدة خطوات للخلف ، فرفعت العجوز رأسها ونظرت إليها ثم قالت بصوٍت أهلكته السنون - مادمت أتيت بنفسيك إلى هنا فالامر جلل يا نمليس أفصحي عما بجعبتك أيتها الملكة الجميلة .

ابتسمت نمليس وقالت :

- يبدو أن سنوات عمرك الألف مليون لم تنقص من ذكائك يا سيدتي .

قررت قولها بأن عادت إليها مرة أخرى ثم جلست أمامها وألقت ما بجعبتها بصوٍت خافت جداً على أذن العجوز ، التي علت ابتسامة إعجاب شفتيها الضامرتين وهي تلتف إلى طارق وتهز رأسها في رضا ، قبل أن تتحنى بضعف على

لأنه ليس وتُلقي عليها ببعض الكلمات ، قامت علي إثراها
من مكانها وهي في قمة السعادة ثم انطلقت إلى طارق
وقالت بفرحةٍ طاغية :

- لقد وافقت اماميسيا .

قال طارق مستفسراً :

- من هي اماميسيا ؟ وعلي أي شيء وافقت ؟

أجابت تساؤلاته قائلة :

- اماميسيا هي أدم النمل ، أقدم نملة على مر التاريخ ،
هي بمثابة البركة التي تحل علينا طالما كان في خلاياها نفس
باردة .

ثم اقتربت منه ومررت ذراعها المشعر الصغير بين قرني
استشعاره وهي تقول بدلالي :

- ولقد وافقت علي زواجنا .

انتقض طارق في مكانه ثم هبط من علي السائق وهو
يقول :

- أنا أتزوجك ! من المستحيل أن يحدث هذا .

ترقرقت أعين الملكة جمبعها بالدموع وارتজفت
وهي تقول بصوت متحشرج :

- ألا تحبني ؟

- كيف أحبك وأنا لم أرك إلاً منذ قليل ؟ ثم إني متزوجة
ولدي ولد .

- هل ترفض الزواج من الملكة غليس ملكة جميع ممالكة
النمل في كل زمان ومكان ؟ أتعلم ما الذي سيحدث إذا تزوّجت
بشرىً من ملكة النمل ؟ سينتُج جيل قوي يجمع بين الذكاء
والنشاط والقوة والفتوة ، جيل سيقهر الجميع ، وستكون
الغلبة دون غيرنا ، سوف أنزع عنك هذا الهيكل الكيتوني
القذر وستذهب إلى معاملنا لتأخذ الشكل الخارجي للنمل
وتكون واحداً منا يا طارق .

ابتسم طارق ابتسامة مملوءة بالسخرية وهو يقترب منها
وينظر بعينيه في عيونها العديدة ويقول :

- أنا أرفض هذا العرض وبكل شدة .

صرخت غاضبة ثم قالت :

لماذا ؟

اعدل في مكانه ثم قال بكل ثقة :

لأنني لست طارق ، ولمْ أنتَمْ في يوم من الأيام إلى جنس
البطر الفاني .

لراجعت نمليس بحذر وتحفظت قوات الحراسة بعد هذا
الإعتراف المفاجئ ، وفي اللحظة التالية اكتملت المفاجأة
الروهنية على أرض التمل .



صَيْر





الفصل الرابع عشر

أوشكت الشمسُ على المغيب ، واستعدَ الليل ليبسط رداءَه الأسود الحالك على الأرض ، التي لم تتعرض وهي تلقي بتحية الوداع على شمس النهار التي شحب لونها بعد استهلاكها الضوء طوال ساعات اليوم .

ومع هذا الليل الغامض القادم بقوة ، انطلقت سيارة ألفا روميو بسرعة متوسطة من الاسكندرية إلى القاهرة ، كان من الواضح أن قائدتها يفكر في شيء ما ، ومن الجلي الظاهر أن هذا الشيء قد استحوذ على كل اهتمامه بدليل أنه كان سينقلب بالسيارة رأساً على عقب أكثر من مرة .

ما الذي يحدث ؟

وما الذي وصل بالأمور إلى هذا الحد ؟

بعد أن كان هو وطارق على بعد خطواتٍ من سلم المجد

والشهرة ، تنقلب الأمور رأساً على عقب .

أين طارق الآن ؟

هل هو فعلاً المسئول عما يحدث من كوارث وانفجارات وأجزاء متفرقة من العالم ؟ طارق الفتى المذهب الرقيق الحنون يدين بالولاء لدولة إسرائيل ، وهو الذي يذوب عشقاً لوطن مصر ، كيف هذا ؟ هل هي نهاية العالم ؟

ثم كيف ظهرت الحشرات مرة أخرى في كل مكان ؟ وكيف أصبحت بهذه الشراسة ؟ هل خدعاً طارق وطوارئ من قدرات الحشرات بدلاً من القضاء على ظهورها في جميع أنحاء العالم وفي كل مكان على سطح الأرض ؟

العديد من الأسئلة التي قررَ دكتور شاكر البحث عن إجابات لها ، بعد أن تم اعتقاله من قبل رجال الأمن القومي بعد يومين فقط من رجوعه من لندن بعد المؤتمر الموعود ، تعرض للكثير من الإغراءات ثم الترغيب ومن بعده الترهيب وفي النهاية ذاق العذاب ألواناً وارتشف من الهوان ما يشيب له الولدان ،

وفي النهاية تم الإفراج عنه ووضع تحت المراقبة ، ومع تذكره
لكلمة المراقبة ألقى نظرة على مرآة السيارة الداخلية ليり
سيارة المراقبة التي تتبعه وبداخلها اثنان من الضباط المكلفين
بناءً عليه ومراقبته كظله ، كانت المسافة ثابتة تقريباً بين
السيارتين ولكن دكتور شاكر استنتج بذكائه المعهود هوية
راكيبيها ، وفجأة وبدون مقدمات قرر أن يغير مسار الأحداث،
ويحلق إلى الهدف مباشرة ، إلى فيلا طارق ، وبالذات إلى
عميله الخاص حيث ترك له طارق شفرة المرور إلى داخل
المعمل ، وعلى الفور وبلا مقدمات انطلقت سيارة المراقبة في
المرأة حتى وصلت إلى الفيلا ، وأشار أحد الضابطين إلى الدكتور
شاكر وقال :

- يبدو أنه سيقضى ليلته في فيلا تلميذه .

قال رفيقه وهو يقرن القول بالفعل وينزل من السيارة
ف قائلاً :

- فلنشاركه السهرة إذاً .

تقدماً من الفيلا بحذر وعلى بعد مناسب من الفيلا التي

وقف شاكر أمامها ثابتاً كتمثال من الشمع لخمس ثوان كأنه
مرأة خلالها أشعة من الليزر على جسده بالكامل من الخارج
قبل أن يقول بصوٍّ قويٍّ :

- بروج .

كانت هذه هي الكلمة السر التي أعطاها له طارق ، والتي
على أثرها انفتح الباب ببطء ، ليعبره الدكتور بهدوء وثقة ، لم
يغلق من خلفه في صمت .

التفت الضابطان إلى بعضهما البعض ، ثم بدأ في التحرك
نحو الفيلا بحذر ، وعند مسافة 25 متراً توقفاً ثم أخرج كل
منهما هاتفه النقال الشخصي ، وضغطوا معاً زرًا معيناً لتنطلق
أشعة ليزر غير مرئية صنعت حزاماً حول الفيلا ، وعلى الفور
ظهرت إحداثيات الفيلا والمعلم من الداخل على الهاتفيين ،
ليري الاثنين ما يحدث داخل المكان بالتفصيل .

دلف شاكر من الباب ثم صفق بكفيه فاشتعل على الفور
مصباح الإضاءة القوي الموجود بركن خفي في المكان ، ليُحيل
المكان إلى وضح النهار ، أخذ يجول ببصره في المكان وكأنه

بحث عن شيءٍ ما ، قبل أن يتوجهَ نحو مكتب متوسط الحجم وأخذ يعبث بمحاتوياته لدقائق قليلة ثم قام مرة أخرى بعد أن لم يتوصل لشيءٍ ذي أهمية بامكتبه ، كان يشعرُ أن طارق أهلاً عنه شيئاً هاماً خاصاً بالتجربة ولابد أن يعثر عليه ، أي شكل من الأشكال حتى تستقرْ نفسه وتهدا نيرانُ الأسئلة الشتعلة في عقله .

لفت انتباهَهُ وجودُ جزءٍ صغيرٍ منبتعِج في إطار صورة رسومة بالزيت بمهارة لطارق وهو يبتسم ، كانت الصورة استقرَّ على الحائط المواجه للمكتب تماماً ، فتوجهَ إليها على الفور وأخذ يعبث بالجزء المنبعِج بمهارة ...

هل تبحث عن شيءٍ ما ؟

أبَعثت هذه العبارة من مكان ما في المعمل ، على نحو سباقٍ ، مما جعل دكتور شاكر يتلفت حول نفسه فرعاً ، أبَعثت عن مصدر العبارة ولكن مع انطلاقها مرة أخرى عرف مصدرها ، لقد كانت صورة طارق تتكلم وكأنها حية ، فاللقاها شاكر أرضاً وهو يتراجع وجسده بالكامل يرتجف انفعالاً

وفرعاً .

- التقظ الصورة يا دكتور ولا تخف .

مع هذه العبارة التي ألقاها طارق على مسامع الدكتور من خلال صورته ، لم تتغير حالة شاكر بل ازدادت سوءاً فجلس أرضاً ثم انكمش على نفسه وهو يضم ركبتيه إلى صدره الذي يحوي قلباً شارفت نبضاته على التوقف من فرط الرعب والفزع .

- لن تعرف الحقيقة إلا لو تواصلت معي عبر صوري .

ولأن الناس أعداء المجهول ، وفي نفس الوقت يقتلونه الفضول ، فقد بدأت المقوله الأولى ينخفض تأثيرها تدريجياً في نفسه ، وتعلو الأخرى رؤيداً رؤيداً ، قام دكتور شاكر من مكانه ببطء وحذر متربّ ، وهو يعود ليمسك مرة أخرى بالصورة فابتسم طارق ثم قال :

- أحسنت .

ابتلع شاكر ريقه بصعوبة قبل أن يقول بصوت متحشرج

ما الذي حدث يا طارق ؟ أين أنت الآن ؟ ومن المسئول
عن كل هذا الخراب والدمار الذي لحق بالأرض ؟

فاطعنته ضحكة طارق الساخرة العالية قبل أن يقول :

مازلت كعهدي بك يا أستاذِي العزيز ، تريد الإجابات
بموعها في وقتٍ واحد .

لم يعلق علي عبارة طارق بل انتظر بالفعل الإجابة عن
أسئلته العديدة ، فأكمل طارق حديثه قائلاً :

لابد أن ترى بنفسك ما لحق بي من تغيرات نفسية
وظاهرة حتى تحصل على الإجابات يا عزيزي .

لكلم شاكر علي الفور قائلاً :

وكيف يحدث هذا ؟

أجابه طارق علي الفور قائلاً :

بأن تأتي إلى عالمي الذي أقطنه الآن .

عاملك الذي تقطنه ! ألسْتَ هنا على الأرض ؟

ألقي شاكر بهذا السؤال والخوف يتسلل إلى نفسه
أخرى حتى أتت إجابة طارق لتعيد إليه فضوله مرة أخرى
عندما قال :

- سترى عندما تأتي .

تكلم الدكتور قائلاً على الفور وقد حسم أمره :

- وكيف يكون هذا ؟

التقط طارق نفساً عميقاً ثم قال :

- كلُّ ما عليك يا سيدى هو أن تتحضنَ الصورة
وبعدها بثوانٍ قليلة ستكون عندي ضيفاً عزيزاً .

أمسك شاكر بالصورة بقوة ثم قرَبَها من صدره
قبل أن يُطْبِقَ عليها ذراعيه بقوة ، وعندما استمع الضابطان
بالخارج إلى هذا الحوار العجيب ، وبينما كان دكتور شاكر
يحتضن صورة طارق ، اقتحم الضابطان المكانَ بضجة كبيرة
، وهما يطلقان الرصاص على الرتاج الإلكتروني المعقد ، الذي
 انهار تماماً ، تحت تأثير نيران سلاحيهما ، لقد اتخاذ قرارهما

الاسم بذلك وحتى لا يفوتُهُما التهام قطعة من تورته الحفل
الذي أوشك على النهاية ، ولكن مع الأسف ، فبمجرد أن
يَلْهُما المكان كانت آخر خليةٍ من خلايا دكتور شاكر تغادر
يَلْهُما وتُنطلق بسرعة الضوء إلى عالم العالم المصري طارق ،
ولا رجعة .



صَفَر



الفصل
الخامس عشر





الفصل الخامس عشر

بنت وردان ١٣

نطقت اماميسيا بهذا الاسم ببطء وخفوت متربّع وهي تنظر إلى طارق الذي ألقى باعترافه الرهيب أمام ملكة النمل، وبمجرد أن قالت العجوز المعمورة كلمتها، انفجر طارق ليتحول في لمح البصر إلى كومة هائلة من الصراصير مختلفة الأشكال والألوان ، أمريكي وألماني وشرقي وحتى الياباني المقاتل، مابين الطائر والزاحف ، انتشروا في كل مكان بسرعة البرق، ليهاجموا موكب نمليس بكل شراسة ، والحق يُقال أن المفاجأة أخذت الحرس الخاص في الثانية الأولى من المعركة ، ففقدوا نصف قوتهم قبل أن يتخدوا أيًّا موقف دفاعي ، فقد اندفعت الصراصير الأمريكية الطائرة القاتلة ، تقضم رؤوس الحراس والنمل السائق ، الذين تساقطوا كالهشيم المحترق، ولكن النمل استعاد توازنه بسرعة تليق بهذه الكائنات الخارقة ، فالباقي من الحرس الخاص أحاط بالملكة ليحميها من خطر الصراصير المتبقية ، في حين أحاطت هي بذراعيها العجوز ماميسيا

لحمايتها ، في حين انطلقت وحدات الجاك جمبر للقضاء على الأعداء ، فكثّرت عن أنيابها وقامت بسن السكاكيين الموجودة بين أفكاها ، وارتفع منسوب حمض النمليك ⁽¹⁴⁾ في خلاياها إلى أعلى معدلاته ، ثم انقضت على رفاقها لتنقضي عليها واحدة تلو الآخر عندما ألقت الصراصير الأمريكية ما قضيته من رؤوس النمل السائق لتلتتصق بأجسام الجاك جمبر ، التي توترت وانطلقت تهاجم نفسها ⁽¹⁵⁾ ، ولأن الصراصير لا تضيع وقتها في امهاترات وتحسن استغلال الفرص المتاحة لديها ، فقد انطلقت الصراصير الألمانية الفتاكه لتحيط بالملكة والمamiسي وتتحكم السيطرة عليهما .

جالت نمليس ببصرها فيما حولها ، ترى الهزيمة رؤيا العبر لتدمع عيونها المركبة بغزاره وهي تسقط أرضاً لا حول لها ولا قوه ، وفي غمرة الأحداث الدامية ، اجتمعت الصراصير مره أخرى لتأخذ شكل طارق مرة أخرى ، فتطلعت إليه نمليس وقالت وهي تهز رأسها في أسي وتقول :

- لماذا ؟

أجابها طارق هذه امرأة ولكن بعرير صيروف إمبراطور الصراصير :

- أنت من أردت ذلك يا عزيزتي نمليس ، عندما اذعنت

التعاون معنا ثم لجأت للخيانة والتلاعب ، باختطاف طارق ، وفرضك للزواج منه ، لتحسين سلالتكم ، ولكنني توقعت ذلك ووضعت خطة بديلة ، فتركت جنودك يدمرون القطاع التاسع والذي كان عبارةً عن هيكل وهمي ، جرافيك متقن للمكان بهذه القسم الفني في مملكتنا والمسئول عن تطوير الوسائل الدفاعية هناك ، حتى طارق الذي اخطفه البولدوج لم يكن ذلك البشري الذي اختطفناه من عالم البشر ، كان وحده مقاتلة من قواتنا متعددة الجنسيات ، أما طارق الحقيقي فهو في مكانٍ من المستحيل أن يعرفه أيُّ مخلوق على وجه الأرض أو أسفلها .

· وما الذي تريده الآن ؟ ·

أقت نهليس بسؤالها على مسامع مبعوث الإمبراطور الذي أتَسْمَى بـ زهُوٍ وهو يُجِيبُها قائلاً :

- التعاون ، فعلى الرغم من تهورك والذي خسرت بسببه الكثير من قواتك ومن هيبتك إلا أنني ما زلت أنشد التعاون مع مملكتك ، فأنت الوحيدة التي لجأت للتلاعب أما باقي الممالك فأعلنت موافقتها على التعاون معنا ، وبلا أي شروط أو وعود .

انتصبت الملكرة واقفةً وقالت باعتداد :

- وإذا رفضت ؟

ابتسم ابتسامةً ساخرةً أخرى تمايل سابقتها ثم قال :

- من حرك أن ترفضي ، ولكن هل تدركين عاقبة رفضك لهذا العرض ؟

أرقدت العجوز أرضاً برفق وأعطيتها ابتسامة مطمئنة ، لم التفت إلى المبعوث ولوحت بذراعها في وجهه وهي تقول :

- يبدو أنك أنت الذي لم تدرك موقفك يا أيها الإمبراطور المغرور ، أنت هنا في مملكتي ، وما هي إلا ثوانٍ قليلة وتحاط جميع القوات الخاصة بالمملكة وقوات النمل الناري ، لتكون نهايتك هنا في عالمنا ، عالم النمل .

هذه المرة لم يكتفى المبعوث بابتسامة ، بل أطلق ضحكة ساخرة عالية مجلجلة واهتزت قرونُ استشعاره بقوة قبل أن تنقلب سحنته بشكل بشع وهو يمسك بذراع نمليس ويقول غاضباً :

- بل أنتِ التي لا تنظرين إلا تحت أنفك أيتها المغرورة ، انظري حولك لتدري حجمك الحقيقي ، أنتِ الآن بين يديِّي ، وحولك أنت وهذه العجوز الخرفة إطار من الطاقة ، يجعلك غير مرئية لبني جنسك ، وبإمكانني أن أقضي عليكما في ثانية

واحدة ، ولكنني ما زلت أحتاج إلى تعاونك للقضاء على الأعداء .

ارتجفت الملكة على الرغم منها مع هذا التهديد المباشر ، ولكن بقايا النزعة الملكية في نفسها ، أبىت أن تعرف بالهزيمة ، فهرأت رأسها رافضةً للعرض الذي عرضه عليها مبعوث إمبراطور الصراصير ، الذي نكس رأسه أرضاً في أسف قبل أن يرفعها مرة أخرى ، ويعقد قرونَ استشعاره بقوة وهو يلتقط نفساً عميقاً ويقول :

- إذا كان هذا هو قرارك النهائي فأنت لم تتركي لي خياراً آخر يا عزيزتي ، سأضطر إلى إجبارك على الموافقة على العرض المقدم لكِ .

عقدت أهدابها في تساؤل ، فأكمَلَ حديثه قائلاً بتشفٍ :

- سأحرم مملكة النمل بأسرها من رمز قوتها ، وتاريخها القديم . فهمت نمليس ما يرمي إليه المبعوث ، فضَّمَت الماميسيا إليها بقوة ثم قالت غاضبة :

- إياكَ أن تمسَّها بسوء ، وإلا جعلتكَ تندم على اليوم الذي ولدت فيه .

وفجأةً شعرت الملكة بقوة هائلة تنتزعها من مكانها وتلقي

بها أرضاً ، في نفس الوقت الذي جحظت فيه عيون أقدم النمل على وجه الأرض وهي تختنق ببطء مخيف ، حاولت نمليس القيام من مكانها لإنقاذ رمز مملكتها ، ولكن المبعوث فتح فمه وتقياً على جسد نمليس ، التي وجدت نفسها مُقيداً بمادة لزجة قوية أعادت حركتها تماماً .

تقدم المبعوث ببطء ظافر نحو الماميسيا ووقف على بعد خطوات قليلة منها ثم قال :

- كيف تعرفت علي؟

أجابته العجوز قائلةً بصوتٍ واهنٍ مختنقٍ ، يُصارع الموت بكل طاقته :

- من رأحتك القدرة .

عربد شيطان الغضب في وجه المبعوث قبل أن يقول :

- قد تكون رائحتي كريهة ولكن يكفيني فخراً أنتي الكائن الوحيد على وجه الأرض وأسفلها الذي لا يحمل بداخله أي نوع من أنواع البكتيريا .

جحظت عيون العجوز الهرمة وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة أمام عيني الملكة ، التي حركت رأسها أسفًا على ما آل إليه حالها وحال مملكتها ، ومع كلمة النهاية التي بدأت في

ال سعود على شاشة حياتها التي ستنتهي الآن ، لم تجد بديلاً عن الاستسلام لمبعوث الجحيم لتنقذ تاريχها وتاريخ المملكة رأسها .

- إنني أواقفُ على العرض .

نطقتها بكل ما تعتمل بها نفسها من مرارة وحنق ، فانفأك أسرها على الفور فقامت من مكانها واندفعت إلى الماميسيا التي عادت إليها روحها مرة أخرى وعادت دماء الحياة الحارة إلى وجنتيها مرة أخرى ، احتضنتها الملكة بقوة وحنان وقبلت رأسها وهي تقول :

- حمداً لله على سلامتك .

تكلم المبعوث في هذه اللحظة قائلاً بحزن :

- ألقى عليها نظرة الوداع أيتها الملكة ، فهذه هي المرة الأخيرة التي ستريتها فيها هنا .

تركت نمليس العجوز ووقفت أمام المبعوث وقالت بحذر:

- لقد أعلنت استسلامي لك ، فلماذا تريد أن تقضي عليها؟

أجابها على الفور قائلاً :

- ومن الذي قال أنني سأقضي عليها ؟ كُلّ ما في الأمر أنني

سأحتجزها في أفحى وأفخر سجون مملكتي وستعيش هنا
معززة مكرمة حتى تنتهي المعركة و حتى أضمن ولاءك وعدم
اللجوء إلى الخداع مرة أخرى .

- أنت حقير .

ابتسم ابتسامة لزجة قبل أن يرد علي إهانتها قائلاً :

- أنا بالفعل حقير يا عزيزتي في نظرك ، ولكنني واثق تماماً
من أنك ستغيرين رأيك في النهاية .

هزت رأسها موافقة وقالت :

- سنرى .

تركها في مكانها ثم توجه إلى أطاميسيا ، ووقف أمامها
بثبات قبل أن يمد ذراعيه نحوها ويحملها بعناء ثم يبتلعها
بالكامل ، وهو يلتفت إلى الملكة ويقول بحسم :

- سأنتظرك في مملكتنا .

كانت هذه هي آخر عبارة يلقاها المبعوث في مملكة النمل
قبل أن يختفي تماماً ، تاركاً املاكاً نمليس تضرب أخماساً في
أسداس وتحسب حساباتها للمرحلة القادمة الخامسة .

مس أحمد ذراع رجل المخابرات الفرنسي أنطوان ليوقظه
وي Remedث معه في كيفية إيجاد مخرج من هذا المكان القدر
الذى وجد نفسه فيه على الرغم منه ، ولأنه لم يعتد حياة
السجون فقد قررَ الخروج من المأزق حتى ولو كلفه ذلك
حياته .

أنطوان ، استيقظ .

نادى على رفيقه وهو يهز كتفه اليمنى برفق ولكنه لم
يستجب له ، اقترب منه وجلس على الأرض بجانبه ، وهو
ينظر إلى وجهه ...

وتراجع إلى الخلف بعنف وكأنه تلقى لكمـة قوية فقد
ألـت به لعدة أمتار للوراء ، فـما كان أمامـه لم يكن أنطـوان
ولا حتى يـنتمـي لـعـالمـ البـشـرـ ، بل كان عـبـارـةـ عن دـمـيـةـ بـحـجمـ
صـرـصـورـ صـغـيرـ ، أـخـذـتـ شـكـلـ رـجـلـ المـخـابـراتـ الفـرـنـسيـ تـهـاماـ ،
بـحـيـثـ مـنـ اـمـسـتـحـيـلـ أـنـ يـفـرقـ أـيـ أـحـدـ بـيـنـ شـكـلـهـ الـحـقـيقـيـ
وـبـيـنـ هـذـهـ الدـمـيـةـ الـمـحاـكـيـةـ .

استشاط أحمد غضباً ، بعد أن أدرك الفخ الذي ألقى فيه
كالغر الساذج ، ولكنه اعترف ببراعة هذه الكائنات التي كان
يطأها في عالمه بقدميه دون أن يكتثر ، فها هي تخده ، بل

وتأسره في عالمها ، دون أدنى جهد .

قام من مكانه وهو يتراجع من أثر الهزيمة المريدة ، وتوجه إلى رفاق السجن الكثيـب يتحسـس أجسادهم وينادـي عليهم وزير الخارجية الفرنـسي والدبلوماسيـن المصرـيين ، زوجـة طارق وابنه ، الجميع دمـي محاـكيـة تماماً لـكـل هـذـه الأـشـخـاـص ، تفترـش الأرض الصلـبة ومـلامـحـها تعـانـى من أـلمـ رـهـيب ، الجميع متـواجـدـ مـاعـداـ هو ، طـارـق .. محـورـ الأـحـدـاـتـ والـسـبـبـ الرـئـيـسـيـ فيـ كـلـ ماـ يـحـدـثـ ، أـينـ ذـهـبـ ؟

هل تعاون مع هذه الكائنات للقضاء على البشر ؟

بـماـ وـعـدـوـ ؟ وـهـلـ وـافـقـ عـلـىـ عـرـضـهـ ؟

أـسـئـلةـ كـثـيرـةـ لمـ يـجـدـ لـهـ إـجـابـاتـ مـقـنـعةـ ، مـنـذـ صـغـرـهـ وـهـ يـعـشـقـ قـرـاءـةـ روـاـيـاتـ الـخـيـالـ الـعـلـمـيـ وـيـهـوـيـ مشـاهـدـةـ أـفـلامـهـ ، وـيـعـيـشـ معـهـ بـلـ وـيـذـوبـ فـيـ تـفـاصـيلـهـ حـتـىـ النـخـاعـ ، وـلـكـنـ لمـ يـكـنـ يـتـخيـلـ فـيـ يـوـمـ مـنـ الـأـيـامـ أـنـهـ سـيـعـيـشـ أـحـدـاـتـ هـذـهـ روـاـيـاتـ ، وـيـكـونـ طـرـفـاـ أـصـيـلـاـ فـيـهـ .

انتـصـبـ وـاقـفـاـ وـانـطـلـقـتـ خـلـاـيـاـ مـخـهـ الرـمـادـيـةـ لـتـحلـلـ مـوقـفـهـ منـ جـمـيعـ الـجـوـانـبـ ، وـطـوـالـ عـشـرـ دـقـائـقـ كـامـلـةـ لمـ يـتـحرـكـ منـ مـكـانـهـ وـهـ مـنـتـصـبـ كـالـطـوـدـ العـظـيمـ ، وـفـجـأـةـ اـنـبـسـطـ

علامه وعلت شفتيه ابتسامة ساخرة ظافرة ، قبل أن يهمس
رسوت يستحيل سماعه قائلاً :

- السيطرة .

- أحسنت .

تلفت حول نفسه وعيnahme ترصد كل ركن من أركان المكان
محاولاً التوصل لمصدر الصوت الذي ألقى إليه بهذه الكلمة،
في هذا التوقيت بالذات ، ولكنه لم يتوصلا لأى شيء يريح
عقله ويشفى صدره .

- من أنت ؟

أراد أن يبدأ هو عملية الاشتباك فألقى عبارته في فراغ
المكان ، منتظراً أي إجابة ولكن بلا فائدة ، أخذ يدور في
المكان وهو يصرخ منادياً على صاحب الصوت حتى بدأ يشعر
بهذهاب وعيه وعقله .

- ترفق بنفسك ، فنحن نحتاج إليك .

للمرة الثانية يسمع الصوت ولا يرى صاحبه ، ولكن في
هذه المرة كان الوضع مختلفاً ، فصاحب الصوت أخبره أنه
في حاجة إليه ، وكان من الواضح أيضاً أن من يتكلم يريد أن

ينشيء حواراً فعالاً بينه وبين رجل المخابرات المصري .

التقط أحمد نفساً عميقاً ملأ به صدره بالهواء العطشى
أن يقول :

- وما هي حاجتكم لرجل مخابرات ؟

جاءته الإجابة هذه المرة على الفور :

- ستكونُ رسولنا إلى رؤسائك .

عقد أحمد حاجبيه مستنكرةً للحديث الذي يسمعه ثم
قال :

- رسولكم !! وما الذى تريده أنت أو غيرك من الرؤساء ؟

تكلم صاحبُ الصوت قائلاً بلهجة ساخرة :

- لك الفخرُ أن تكونَ رسولاً للحشرات إلى بني قومك ، مما
يَدْعُونَ حماية بلادهم ، أما عن الذى تريده من رؤسائك فهو
الولاءُ بلا أى قيد أو شرط أو حتى نقاش .

أطلق رجلُ المخابرات المُحنَّك ضحكة ساخرة عالية مجلجلة
دوَّت كطلقة رصاص في سكون الليل ، حتى أنَّ عينيه دمعتا
من فرط الضحك فمسحهما بذراعيه الرفيعتين ثم سعل بقوه

وهو يقول :

لا أحد في هذا العالم يستطيع أن يُجبر مصر ورجالها ،
على شيءٍ يخالف الأسس التي بُنيَ عليها هذا الكيان العملاق ،
لهم ولو مزقتهم رجالها إرباً .

لكلم صاحب الصوت على الفور قائلاً :

دعنى أحييك يا عزيزى على جرعة الشجاعة التي تسري
في عروقك ، والتى ستحتاج إلى أضعافها داخل مبنائكم العتيق .

شدّ أحمد قامته بقوهٍ فبدأ أكثر طولاً وأوفر قوةً ثم قال :

- لن تحصل مني على أى معلومة مهما كان حجمها .

ساد الصمت لثوان قليلة قبل أن يقول صاحب الصوت

بصراة :

- أعلم ذلك ، وأعلم أيضاً أنكم مدربون على الاحتفاظ
بالمعلومات ، وعدم البوح بها تحت أى ضغط أو تعذيب ،
 وأنكم تستطيعون التحكم بقدراتكم وإرادتكم لأقصى مدى ،
ولكن ماذا لو كان الشيء هذا خارجاً عن إرادتكم ؟

عقد أحمد حاجبيه متسائلاً وهو يقول :

- هل تعنى مصل الحقيقة وجهاز كشف الكذب ؟

أجابه صاحبُ الصوت والسخرية تبسيط ذراعيها على صوته
 قائلاً :

- أعلم أنكم تتدرّبون على تخطي كل هذه العقبات بهارا
تحسدون عليها ، ولكنني أعنى أنك ستتصنّع ما نريده بارادنا
وعن اقتناع .

وكيف سيحدث ذلك ؟

تساءل أحمد وشبحُ الخوف يغزو مشاعره ببطء ، يسْعَ
حسِيسَه في كل خلاياه ، ولقد ازداد هذا الإحساس مع إجابة
صاحب الصوت الذي قال :

- سترى .

اختفى الصوت تماماً بعد هذه الكلمة ، واختفت منه
كل مشاعر الأمان في نفس رجل المخابرات المصري أحمد
نعمان، فانتظار حدوث الشيء حتى ولو كان خيراً يدعوه للقلق
والتوّجّس ، فما بالك بانتظار الموت ؟

مررت دقيقة ولم يحدث شيء ، ثم تلتّها أخرى ولم يتغير
الحال ، حتى أنّ أحمد قد بدأ يصرف نظره عما حدث منذ

أول وأربع ذك إلى حكم الاعتقال الذي ألقى فيه دون أي

الدعا

. أحمد ، انقذني .

ارتجف جسده من رأسه حتى أخمش قدميه عندما طرق هذا الصوت طبلة أذنه ، واستقر في مركز السمع باملاخ ليخبره بأن صاحبة الصوت هي خطيبته أروى ، التي عاش معها أجمل قصة حب جمعت بين قلبين ولدين ، حتى استطاع أن يظفر بها أخيراً ويتقدم لخطبتها ويحدد موعد الزفاف بعد شهر بالتمام والكمال ، كان هذا قبل دخوله إلى هذا العالم المقيت ، ولكن الأهم من ذلك أنها تطلب منه الآن أن ينقذها ، فما هو الخطر الذي تتعرض له ؟ وما مداه ؟

أخذ يدور حول نفسه كالليث الجريح وهو يقول بصوت

متوتر :

- أروى ، أين أنت ؟ وما الذي يحدث لك ؟

أجابته على الفور قائلة :

- أنا في إحدى سجون الموساد الإسرائيلي ، ولا أدرى كيف جئت إلى هنا ، لقد كنتُ في طريقي إلى الجامعة عندما

صدّمتني سيارة مسرعة ، لم أشعر بأي شيء بعدها حتى وجدتُ نفسي هنا ، ولقد تمَ التحقيق معى لأكثر من ساعتين وتم اتهامى بالتجسس لصالح مصر ضد إسرائيل ، لا أدري كيف تمَ هذا ، أنا لم أسافر إلى إسرائيل من قبل ، ولكنهم أخبروني أنه سيتم الإفراج عنى بمجرد وصولك إلى هنا ، انقل يا أحمد ، أرجوك إننى خائفة .

كان حديثاً غير متماشٍ مع أبسط قواعد العقل والمنطق ، ولكن أحمد نعمان له أعداء في كل بلاد العالم ، سبق أن انتصر عليهم في معارك عديدة ، وقضى عليهم بحنكة ومهارة ، فمن الممكن بالفعل أن يقوم اموساد بهذه الحركة القذرة لإجباره على الذهاب إلى أراضيهم والقضاء عليه هناك ووسيلة الضغط هذه المرة هي زوجة المستقبل التي أحبّها من كل قلبه .

- لاتخافي يا عزيزق ساقى إليك وسأفك أسرك بإذن الله .

كانت هذه هي آخر عباراته في هذا المكان ، فلم يكُن ينتهي منها حتى وجد نفسه مرة أخرى في عالمه الذي يألفه ، منذ نعومة أظفاره ، لا يدرى كيف فكت الحشرات أسره وأطلقت سراحه ، فلم يكُن يطرف رمشه بعد حديثه مع أروى ويعدها بالقتال من أجلها حتى وجد نفسه ينطلق إلى مطار القاهرة ليستقل طائرة إلى الأردن ثم يهرب بعدها إلى تل

أبيب ، وهناك لم يُضع لحظة واحدة بل وضع خطة محكمة
للدخول إلى قلب الهدف ، والحق يقال أن خطته كانت رائعة،
فكان استطاع الحصول على إحدى بطاقات الهوية الخاصة
بأحد العاملين بمالبني ، والعجيب في الأمر أنه ذهب إلى هناك
بوجهه الحقيقى والأعجب أن أحداً من رجال الأمن هناك لم
يستوقفه ، على الرغم من ملامحه المعروفة لديهم ، وكأنهم
كانوا ينتظرون قدومه ، وتحركت غريزة الخطر بداخله ولكنه
لم يبال ، لقد قرر أن يُضحي بنفسه من أجلها وعليه الآن أن
ينفذ الجزء الأصعب من مهمته على الإطلاق ، إيجاد أروى .

- مرحباً ، لماذا تأخرت ؟ لقد كنا في انتظارك .

ألقى رجلٌ وقورٌ في العقد الخامس من العمر بهذه العبارة
وهو ينظر إلى أحمد بعيني صقر ثاقبة ، فابتسم أحمد بهدوءٍ
واذق وقال :

- ها أنا ذا ، آسفٌ على التأخير .

قال عبارته ثم انقضَّ على الرجل انقضاضة ليثٍ شرسٍ ،
فأطاح به بكلمةٍ ساحقة قبل أن يوكِّزه بقوة وهو يقول :

- أين أروى ؟

لَمْ يُعْطِهِ الرَّجُلُ مَا يُرِضِيهِ مِنْ إِجَابَاتٍ ، كُلُّ مَا قَالَهُ هُوَ

- ما تفعله في منتهى الخطورة ، وسيعرضك لخطر داهم
لا قبل لك به .

قال عبارته وهو يضغط جانبى ساعتة يده الخاصة
فانطلقت صاعقة كهربية قوية أطاحت بأحمد للخلف بعنف ،
وعلى الفور وجد نفسه محاطاً بدستة من الجنود المدججين
بالأسلحة ، وبجانبهم عدد من الرجال يرتدون حلاً كاملة لها
لون أسود مميز ورباط عنق رمادي اللون وقميص ناصع
البياض ، كانوا ينظرون إليه بأسف ، قبل أن ينظر أحدهم إلى
الرجل الوقور ويقول باحترام :

- تمام ، الخبر تم تأكيده ، الضابط أحمد نعمان ، جاسوس
للمخابرات الإسرائيلية .

انتفضت كل خلية من خلايا أحمد قبل أن يقوم من مكانه
بهدوء وهو ينفض ملابسه ويقول بعينين زائغتين :

- أين أنا ؟

أجا به الرجل الوقور بصرامة ، بعد أن قام من على الأرض
بمعونة رجاله :

- أنت في مبنى المخابرات العامة المصرية ، أما أنا فرئيسك
في هذا الجهاز الذي عشت طوال حياتك تخدمه وتخدم وطنك
قبل أن تحول إلى خائن خسيس .

- كل هذا هراء ، لقد جئت إلى هنا بعد رحلة شاقة من
القاهرة ، عندما اتصلت بي خطيبتي أروى لتخبرني أنه تم
احتطافها من قبل رجال الموساد ، وتريد مني إنقاذهما بأى
شكل من الأشكال ، ولقد اتصلت بك أنت شخصياً يا سيدى
لأخبرك بخطتي لدخول مبنى الموساد ، فأثنىت عليها ووافقت
علي أن أذهب إلى هناك ، بل وأرسلت من يدعمنى إلى هناك ،
ولكننى لم أتعرف عليك الآن على الرغم من لقائى بك كثيراً ،
ولا أعلم كيف حدث هذا ؟

اقرب منه مدير المخابرات ونظر في عينيه مباشرة ثم قال :

- أروى هي من أبلغت عنك ، ولقد أكدت بлагتها بإرسالها
تسجيلات صوتية لك ، مع أحد أهم ضباط الموساد ، تخبره
بإمكانية حصولك على جميع مستندات العملية س ، أحد
أهم وأخطر العمليات التي قمنا بها في هذا العام .

فتح أحمد فمه ليدافع عن نفسه مرة أخرى ، ولكن المدير
أشار إليه بصرامة ثم قال :

- لندع باقى الحديث للتحقيقات .

- تحقيقات !! لماذا ؟

- لماذا ! يبدو أنك لم تدرك موقفك وما تورطت فيه يا
أحمد، خسارة ، لقد كنتَ من أكفاء الضباط لدينا .

- خذوه .

كان هذا آخر حوار دار بين المدير وأحمد ، ليتم بعد ذلك
إلقاء القبض عليه والتحقيق معه ، وفي أقل من خمسة أيام
ولتوافر جميع أدلة الإدانة ، تمّت محاكمة أحمد وأخذ حكمها
بالإعدام شنقاً .

- هذه هي إرادتنا ، وبموافقتك على الرغم منك .

انطلق الصوت مرة أخرى يدوى في عقل أحمد ، وهو ما زال
داخل جسده ، في حالةٍ يُرثى لها ، كان الإرهاق قد تال منه
وبلغ منه مبلغه ، لقد كانت رحلة عقلية مرهقة بحق ،
شاهد فيها مستقبله لو رفض التعاون مع هذه الكائنات ،
رحلة مرعبة إلى أبعد مدى ، فقد فيها وظيفته ، واحترامه
لنفسه ، حتى تمت محاكمته ، وشاهد جسده وهو يتداري من
حبل المشنقة .

سنترك لك فرصة أخيرة للتفكير ، إما الولاء أو الهلاك .

لقد تم وضعه بحنكةٍ ومهارةٍ بين شقى الرحى ، وكان عليه أن يحدد طريقه ، إما إلى الجحيم أو إلى الخيانة ، ويا له من اختيار .



عوید



الفصل
السادس عشر





الفصل السادس عشر

فتاز التكنولوجيا الفرنسية دون غيرها من بلاد العالم ، بالاهتمام بالكيف دون الكم ، فهى تتبع التطور التكنولوجي أولاً بأول ثم تأخذ وقتها كاملاً كى تخرج بشيء يبهر الأعداء قبل الأصدقاء ، وهذا هو ما حدث مع الفرقة المسلحة التى انطلقت فى أثر أنطوان بعد هروبه من مبنى سكوتلانديارد ، بعد هجوم طارق الشرس عليه .

لقد انطلق رجل المخابرات الفرنسي يعدو بكل قوته ، حتى استطاع الدخول في أحد الشوارع الجانبية ، ثم خلع سترته وارتداها على الوجه الآخر ليختفى تماماً عن عيون خصومه ، الذين ظلوا في أماكنهم يبحثون عنه في كل مكان بعيون زائفة ، وعقل حائر ، وفي النهاية دب اليأس في نفوسهم ، فرفع قائدتهم جهاز اللاسلكي الخاص به وأبلغ القائد العام بفشل مهمته ، الذى أمره بالانسحاب الفورى من المنطقة ، فانسحب وهو يشير لفرقته كى تحذو حذوه ، كل هذا حدث أمام عينى أنطوان الذى لم يغادر المكان بعد ، بل كان يقف بالقرب من

الجند ويتبع تحركاتهم بكل حذر وترقب .

وضع كفيه في رداء الإخفاء ، وهو على بعد 50 متراً من
مبني السفارة الفرنسية ، فزال تأثيره على الفور .

دلِّف إلى السفارة بكل هدوء ، وهو يُشهِّرُ هوئيته الخاصة
أمام قائد حرس المبني ، الذي أفسحَ له الطريقَ على الفور .

استقبله السفيرُ بترحابٍ متوجهماً ، قبل أن يقول :

- لابد من عودتك إلى الوطن على الفور .

ألقى عليه أنطوان نظرةً لامباليةً وهو يقول :

- لن أغادر لندن بدون وزير خارجيتنا ، حتى ولو كان
الثمنُ حياتي .

ضرب السفير سطح مكتبه بقبضته بعنف وهو يقول
غاضباً:

- أطع الأوامر يا أنطوان ، ولا تزد الأمور تعقيداً ، لقد
حمدنا الله أن تكنولوجيتنا أنقذتك من الهاك .

أطلق رجل المخابرات الفذ ضحكة عالية ساخرة قبل أن
ينظرَ في عيني السفير مباشرةً ويقول بصراحته مباغتةً :

- مهارتي هي التي أنقذتني وليس التكنولوجيا .

الكنولوجيا بلا فائدة في يد من لا يُحسن استغلالها ، ثم أتلقى أوامر من مدير مخابراتنا وليس منك .

التقط السفير هاتفه المؤمن ، وناوله لأنطوان وهو يقول :

أجر اتصالك به إذا ، لتنلقى أوامرك منه ، لقد كان هذا هو ما يجب فعله بمجرد دخولك للمكان.

لم يبال أنطوان بيد السفير الممدودة إليه بالهاتف ، بل التقط علبة سجائر فرنسية الصنع ، والتقط إحداها ثم أشعلها بهدوء ، مما يتعارض تماماً مع سياسة المكان ، وعندما هم السفير بالاعتراض ، أشار إليه الفرنسي بصرامة ، فأغلق السفير لثنيه كمداً وغيظاً .

التقط أنطوان نفساً عميقاً من لفافة التبغ ، حتى ملأ به رئتيه ، قبل أن ينفخه بقوة للخارج ، وعلى عكس المألوف تجمعت سحابة مستطيلة الشكل من الدخان المنبعث من رئتي أنطوان ، أمام عينيه بدلاً من صعودها إلى فراغ الحجرة ، لتظهر صورة ثلاثة الأبعاد لمدير المخابرات الفرنسية الذي يكلم على الفور قائلاً :

- ما آخر الأخبار ؟

- لقد استطاع الهدف الهروب ، ولكنني ما زلت في أثره .

نطق أنطوان بهذه العبارة مُجِيباً سؤال مديره ، الذي قال
على الفور وبلهجةٍ آمرة :

- لابدَ من عودتك يا أنطوان ، لقد تم إلغاء العملية
و سنلجم المفاوضات مع المصريين من أجل وزير الخارجية

زمَّ الفرنسي شفتيه متبرماً ، ثم قال بلهجةٍ واثقةٍ :

- سأجد الوزير ، دون مفاوضات ، ودون أي أحاديث أخرى

لم ينتظر تعليق المدير على حديثه بل أطفأ لفافة التبغ
بحركة مباغطة في الطفافية الأنique ، الموضوعة على مكتب
السفير ، ليختفي دخانها وتختفي معه صورة مدير المخابرات
الفرنسي ، ومع هذه الحركة الغير متوقعة ، ضغط السفير
الفرنسي زرًا خفياً في مكتبه ، ليقتحم المكان على أثره أربعة
من رجال أمن السفارية ، شاهرين أسلحتهم في وجه أنطوان ،
وأصابعهم تداعب أزندة مسدساتهم في تحفز شرس ، ولكن
رجل المخابرات الفذ ابتسم مستهتراً ، وهو يعقد ساعديه أمام
صدره القوى وهو يضغط بكفيه على كوعيه بقوة ، ليعمل
رداً الإخفاء مرة أخرى وبكل طاقتة ، ومع اختفاء أنطوان من
المكان ، دار الرجال حول أنفسهم في توتر ، في نفس اللحظة
التي اصطقت فيها أسنانُ السفير ، بعد أن تحول جسده إلى
أتونٍ مشتعلٍ من الغضب .

أما رجل المخابرات فقد اختفى من المكان ، عن طريق رداء الإلهاء الفرنسي الصنع ، وبينما هو يخرج من المكان تحت سمع وبصر من حوله من بنى وطنه ، إذا به يعقد حاجبيه متعجباً ، من تلك الجرثومة الصغيرة ، المعروفة باسم جرثومة الغبار ، والتى قرأ عنها ذات يوم في أحد المراجع الخاصة بالهراثيم ، والتى كان يهوى الاطلاع عليها من حين لآخر ، ولكن جرثومة الغبار يستحيل رؤيتها بالعين المجردة ، فهى لا ترى إلا تحت المجهر ، ولكنه الآن يراها بعينيه بكل وضوح ، فكيف حدث هذا ؟

ازدادت دهشته مع ابتسامة الجرثومة العريضة ، ثم بلغت عينان السماء مع قولها :

- مرحباً .

لم يستطع أن ينطق بأى كلمةٍ أمام ما يحدث أمامه من أشياء مخالفة للطبيعة ، منذ وصوله إلى إنجلترا ، ومع حالة الاضطراب التي تمكنت منه ، وأفقدته ثقته بنفسه ، لم يحاول حتى الدفاع عن نفسه والجرثومة تدخل من فتحة أنفه اليسرى وتقطع رحلتها بسرعة البرق لتسقر في جهازه التنفسى ، مما أعاق عملية تنفسه بشكل طبيعى ، حتى أنه عاهمد كى يلتقط أنفاسه ، وزاغت عيناه قبل أن يسقط فاقداً

للوعى أمام البوابة الحديدية الضخمة طبئى السفارية
بالمملكة المتحدة ، وعلى الرغم من أن رداء الإخفاء فقد قدره
على العمل ، إلا أن أنطوان ظل مختفيًا عن أعين الجميع ، و
يظهر إلا الرداء الذى كان يرتديه ملقى على الأرض .

أفاق من غفوته ليجد نفسه سجينًا في نفس السجن الذى
أعدته الحشرات لرفاقه ، وحوله دمى على شكل بشر ، هم
الذين كانوا وما زالوا محور الأحداث الدائرة في الفترة القليلة
المنصرمة ، طارق وزوجته وابنه وأحمد والدبلوماسيون
المصريون ، ووزير الخارجية الفرنسي ، الذى أسرع نحوه
أنطوان متلهفًا ، ليصطدم بالحقيقة المرة ، الجميع دمى
فأقدون للحياة ، الجميع دمى وهو حشرة صغيرة مهملة .

جلس في مكانه وهو يدور بيصره في المكان والجيرة تأكل
نفسه ، وتسيطر عليها في نفس الوقت .

- لم يحن وقتك بعد .

انطلقت تلك العبارة ، كعاصفة عاتية لتسقى في عقله ،
وتزيد من حيرته وقلقها ، فأخذ يتلفت حوله مرة أخرى وهو
يقول متواترًا :

- من ؟ من المتحدث ؟

لم يحصل على إجابةٍ لسؤاله ، مما أورثه خوفاً مبهماً ، احتلَّ
الرَّأْيَ وقضى على بقایا الأمل في نفسه ، من النجاة مما هو فيه ،
ولكن لا أحد يعلمُ ما يحمله الغد ، فهو في علم خالق الغد .

- مولاتي الملكة ، دعوة أخرى من الإمبراطور صيروف
لحضور اجتماع آخر في مملكته بعد يومين .

استمعت الملكة نحولة ملكة ممالك النحل قاطبة ، إلى
عبارة الوزير نحيل ، باهتمام قبل أن تقول :

- لماذا ؟ لقد كنا هناك منذ يومين فقط ، فما الذي جدّ ،
يطلب لقاءًنا مرة أخرى ؟

تنحنح الوزير في مكانه ثم قال :

- لعله يريد أن يُطلعنا على الخطة النهائية للقضاء على
ذلك البشري ، وإحباط مخططه ، الذي أعاد وجودنا في الفترة
الأخيرة .

مطث الملكة شفتيها بعدم رضا ، ثم قالت وهي تقوم من
على عرشه المملوء بالشمع :

- جائز ، ومن الجائز أيضاً أن تكون جلسة تهديد لكل
الحشرات ، مثلما حدث هناك في قرى النمل .

تكلم الوزير على الفور قائلاً :

- وماذا سنصنع لو كان الاجتماع ، اجتماع تهديد بالفعل ؟
ابتسمت نحولة ابتسامة واثقة ثم قالت وهي ترفرف

بعنايتها في سماء قصرها المنيف :

ـ دعه يفعل وسيرى وقتها ما الذى تصنعه مملكة النحل
ـ وبغيره من جميع الكائنات ، فليس كُل الطير يُؤكل لحمه ،
ـ قد قررت نمليس خداعه منذ البداية ، ووضعت عينيها على
ـ البشري طارق كى تتزوجه ، لتخلق جيلاً جديداً متطوراً من
ـ النمل ، بإمكانه السيطرة على العالم بأسره ، ولكن صirof لم
ـ يكن سهلاً ولا لين العريكة ، بل أعدَ الخطة بكل مهارة وحنكة ،
ـ استطاع من خلالها أن يُعطيها درساً لن تنساه مابقى لها من
ـ حياة في هذه الدنيا ، أما نحن فقومٌ مساملون لا نؤذى أحداً ،
ـ ولكننا وقت المعركة نستطيع أن ندافع عن أنفسنا بكل قوة
ـ ومهارة .

هزَّ نحو رأسه متفهمًا ، ثم قال :

ـ هل أرسل لصirof موافقتنا على حضور الاجتماع ، أم
ـ هناك أي أوامر أخرى ؟

عقدت حاجبيها مفكرةً لبرهة ثم قالت على الفور وقد
حسمت أمرها بالفعل :

ـ كلاً سندذهب إليه على الفور ، ولكن سنزيد من الحراسة
ـ الملكية قليلاً .

هـَ الْوَزِيرُ رَأَسَهُ لِلْمَرَةِ الثَّانِيَةِ مُتَفَهِّمًا ثُمَّ أَلْقَى بِسَوْالٍ
الثَّالِثُ قَائِلًا :

- الحراسة املکية العادیة ، أم الخاصة ؟

صمتت نحولة مرة أخرى ثم قالت :

- بل الخاصة ، ودعمها ببعض الدبابير والزنابير المقاتلة

اتسعت عينا الوزير دهشة وهو يقول مستنكراً :

- هل هي الحرب يا مولاتي ؟

ازدادت رفرفة أجنحتها وهي تقول بتوتر :

- هي كذلك بالفعل ، هيا أعد العدة للقاء ، فلا نريد أن
نتأخر ، فالحيرة تقتلنى لمعرفة نوايا صيروف .

ضمّ نحول جناحيه إلى صدره باحترام وهو يقول :

- أمر مولاتي .

لم يزد على عبارته بأى كلمة أخرى ، وهو ينطلق إلى الخارج
لتتنفيذ الأوامر املکية ، في حين عادت املکة لتجلس على
عرشها مرة أخرى ، لتعاودها موجة القلق مرة أخرى وهي
تتذكر الكابوس الذى أطار النوم من عينيها في الليلة اماضية ،
فقد رأت الإمبراطور صيروف يقتحم عليها خلوتها في جناحها

الملك، ثم ينقض عليها بقوة وشراسة أعادت مقاومتها له ،
وقدما حاولت الاستعانة بحراسها أو أى كائن في المملكة ،
لأنه فهمها ببعض الفضلات التي ألقاها في فمها، قبل أن يعرinya
باماً ويبدأ في اغتصابها بكل قوة وعنف ومهانة ، وبينما هي
تقاوم محاولات العنيفة ، إذا بيد بشريّة خشنة تنتزعه من
قوتها بقوة ، ثم تقطع قرونَ استشعاره بمهارة وتلقى بها إلى
آخر القاعة الملكية ، قبل أن تلقى هو أرضاً ويتم سحقه تماماً.

ومع ارتفاع صوت تحطم هيكل صيروف الكيتيني ، أعاد
صاحب اليد البشرية إلى المملكة رداءها مرة أخرى لتستر
نفسها، وبينما هي تلتقطه من البشري بلهفة إذا بها ترفع
بصرها لأعلى ، لترى منقذها ، الذي أعاد لها هيبتها وكيانها مرة
أخرى ، لتجده ذلك المصري الذي أثار حفيظة عالم الحشرات
في الآونة الأخيرة ، طارق .

ابتسمت نحولة عندما وصلت إلى نهاية حلمها الغريب ،
ولنهدت بحنان ، قبل أن يغلب عليها الطابع الملكي وقالت
منادية على الشغالات المحيطة بالعرش الملكي من كل جانب :

- هيا أعدوا الحمام الصباحي ، كي يعتدل مزاجي .

وعلى الفور ودون إضاعةٍ ثانيةٍ واحدةٍ ، انطلقت مجموعة
من الشغالات لإعداد الحمام الخاص بالملكة ، الذي هو عبارة

عن مجموعةٍ جميلةٍ من الأزهار مختلفة الألوان والأحجام
تمتليء بالرَّحِيق عن آخرها ، وببدأت مجموعة أخرى في إعداد
الملكة نفسها ، فانتزعت عنها رداءها ، ثم حملتها برفقِ
الأزهار لتضعها بها بهدوء وحنان.

ما إن وجدت الملكة نفسها داخل حمامها الخاص ، حتى
أخذت تتقلبُ فيه بنعومة وتنشنقُ رحيقَ أزهاره قبل أن
تبداً في أخذ الرَّحِيق رويداً رويداً لتناولِ إفطارها الصباحي
وهي لا يشغلُ بالها إلا صورة منقذها الْهَمَام ، الذي جاءَ من
عالم البشر لينقذ ملكة النحل الفاتنة ، ومع نهاية طقوسها
اليومية المعتادة تيقنت من أمر في غاية الأهمية ، أنها تجده
طارق ، من قبل أن تراه .

زروع.

القى قائد جيوش الجراد ^{١٦} بكلمة السر أمام أحد نقاط الشتىش التى تستقر بها أعداد هائلة من الجراد في السماء ، فلتبع الطريق أمامه على الفور ، لينطلق بأقصى سرعة تمنحها له عضلات ساقيه الرشيقتين .

استمر في التحليق لخمس دقائق كاملة قبل أن يقابله كمين آخر مر منه بكلمة سر أخرى ، وهو يفكر في كيفية نقل الخبر الهام الذى تحمله رأسه الجليدية ، إلى ملك الجراد جورдан ، الذى أصبح في الفترة الأخيرة حاداً المزاج ، عصبياً ، يثور مع أي موقف غير ذى أهمية ، وخاصة بعد ما أحدثته تجربة ذلك البشري من خراب ودمار حلّ بالمملكة بأسرها ، فلم يعد هناك أى متتنفسٍ لأى جرادةٍ على وجه الأرض ، الرحلات الهامة التي كانت تقطعها أسرابُ قومه بحثاً عن الغذاء أصبحت مستحيلة ، مع هذا الكيان الهائل الذى أنشأه ذلك المصرى ، والذي بات يهدد كيانَ الجراد في كل مكان على سطح الأرض .

وصل في هذه اللحظة إلى القصر الملكي الكبير المعلق في الهواء ، ثم هرِعَ على الفور مللاقاًة جوردان الذى استقبله بهفةٍ مماثلةٍ وهو يقول :

- ما آخر الأخبار ، هل استطاعوا العبور ؟

هزَّ قائدُ الجيوش رأسه نافياً لكلام امْلِك ثم قال بأسى :

- مع الأسف يا مولاي ، الوحدتان السابعة والثانية تستطع أيُّ منها السفر كما كان يحدث سابقاً ، لقد وجدت حائطاً شفافاً منعها من تحقيق الهدف الذي أعددنا له طوال الفترة الأخيرة .

حرَّك امْلِك جناحيه بقوٍّ متواتراً وهو يقول :

- كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ لقد اعتدنا السفر طوال حياتنا بحثاً عن الرزق ولتناول وجباتنا اليومية ، ولم يكن هناك أيُّ عائق يعوق تحركاتنا ، فلن يأتي ذلك البشري بهذه التجربة العجيبة ويقضى على آمالنا ، لقد صدق صيروف بالفعل عندما قال أنَّ نهاية جميع الكائنات ستكون على يد هذا البشري .

ثم التفت إلى قائد جيوشه وقال :

- وكيف حال الدب؟¹⁷

اغرورقت عينا قائد الجيوش بالدموع وهو يقول :

- قُمُوت بالآلاف يومياً يا مولاي ، فليس هناك أرض خصبة تحمى بها البيضات حتى يحين موعد خروج اليرقات .

اتسعت عينا امْلِك في دهشة فزعه وهو يقول :

يا إلهى ، سينتهى جنسنا الآرى ، حتى قبل أن ندرك ما
يحدث من حولنا ، وكيف حال علماء الأبحاث ، هل توصلوا
إلى حل ؟

لكس قائد الجيوش رأسه أرضاً وهو يهزّها في أسى قبل أن
يسأب سؤال جورдан قائلاً :

لقد حاول العلماء الوصول لحل هذه المشكلة ، ولكن
يجهزون اقتربا لهم من ذلك الجدار الخفى وبدأوا بالتعامل معه
بالفعل ، انطلقت فجأة موجة حارقة من الجدار صهرت
العلماء تماماً ، وقضت عليهم في الحال .

لم يتحمل جوردان هذا الخبر الرهيب ، فتوقفت أجساده
عن الرفرفة للحظة ، فقد على إثراها توازنها فسقط من على ،
فأسرع إليه قائدُ الجيوش وبعض جنود الحراسة ، ليلحقوا به
ويبعيدوه مرة أخرى إلى السماء ، وعندما استقرت حالته رفع
عينيه المحمريتين من البكاء إلى القائد وقال بصوٍ مختنق :

و جارد ، هل قضى نحبه معهم ؟

لم يستطع القائد أن يجيب سؤال الملك هذه المرة ، فأثرَ
الصمت ، وفي هذه المواقف يكون الصمتُ أبلغ من أي كلام ،
ففهم جوردان أن شقيقه قد قضى نحبه هناك عند ذلك
الجدار الملعون ، فغمغمَ قائلاً في حزنه :

- لقد دفع حياته في سبيل إنقاذ قومه ، يبدو أنه لا مفر
حضور اجتماع صirof للوصول لحل لهذه المشكلة .

التقط نفساً عميقاً بعد أن ختم عبارته قبل أن يلقي
بأوامره الجديدة إلى قائد الجيوش بلهجة حازمة :

- أعد جنود الحراسة وزودهم بأسلحة ج 8 الفتاكه ، ثم
ابعث لصirof موافقتنا على حضور هذا الاجتماع النهائي ،
وقل له أحسنت التعامل مع نمليس ، تحياكى .

ابتسم قائدُ الجيوش على الرغم من الموقف الحزين الذي
كان فيه منذ قليل ، فهو يعلم جيداً شدة كره جورдан للملكة
نمليس المغرورة ، والتى سقاها صirof أمرَ في معركته معها ،
وهزمها هزيمة نكراء ، لتكون عبرة لجميع الكائنات ، عبر
الأزمان ، فسيذكر التاريخُ هذه المعركة بكل اهتمام وإمعان ،
يوم انتصرت الصراصير على مملكة النمل ، ذلك النصر المبين
الذى أعاد مملكة صirof هيبتها ومكانتها بين القبائل
والعشائر .

انصرف قائدُ الجيوش لتنفيذ الأمر الملكي ، تاركاً الملك يسبح
في أحزانه وألامه وهو يتذكر كل لحظةٍ قضتها مع شقيقه
الأصغر ، لقد كان حنوناً ، قوياً شجاعاً ، لا يهاب الموت ، وسيم ،
رقيق ، لا تتفق ملامحه مع ما بنفسه من شجاعة وجرأة ،

آن يحمل هيئة الجراد ، ويحمل بين جنبات صدره قلب أسد
نهور .

للهـ جوردان قبل أن يقول في نفسه :

الويل لك يا صيروف لو كنت تخدعنا ، فلن تجد شبراً في
الأرض تخبئ فيه من انتقامي الشرس .

قال عبارته ثم ول وجهه ناحية المشرق وهو يرفع ذراعيه
أمامه ويبدأ في الدعاء لشقيقه ، المقدام .

جارد .



عُيُّون



الفصل
السابع عشر





الفصل السادس عشر

لو سمحت ، قسيمة الزواج .

كانت هذه هي العبارة التي ألقاها مسئول العلاقات العامة في أحد فنادق الدرجة الثالثة ، بهدوء وعلى وجهه ابتسامة لزجة وهو يتطلع متفحصاً لجسد المرأة الجميلة التي تصاحب رجلاً يكبرها بعشرين سنة على الأقل ، فابتلع الرجل زيفه وهو يقترب من المسئول ويهمس :

- معنا تحقيق الشخصية فقط ، أما قسيمة الزواج فلم استخرجها بعد ، لأننا تزوجنا صباح اليوم .

كان من الواضح أن الرجل يكذب ، ولأن المسئول يمتهن هذه المهنة منذ أعوام عديدة ، فقد فهم نوايا الرجل على الفور ، فهزَّ رأسه موافقاً لكلام الرجل ثم قال وابتسامته اللزجة لا تغادر شفتيه :

- 500 جنيهأً لليلة .

أخرج الرجل حافظة نقوده ، وأخرج منها رزمة كبيرة من المال ، أعطاها بالكامل للرجل وهو يقول :

- احجز لي ليلتين من فضلك .

تناول المسئول المبلغ ثم وضعه في درج المكتب بلا اهتمام ثم التقط هوية الرجل وأخذ يدون بعض البيانات في دفتر كبير أمامه ، ثم أعطى الهوية للرجل ومعها مفتاح الغرفة وهو يقول :

- ليلة سعيدة ، غرفة رقم 30 الدور الرابع .

التقط البطاقة وهو يشكر الموظف ، قبل أن يصطحب المرأة إلى حيث توجد غرفتها ، وعينا الموظف لا تغادر مؤخرة المرأة الممتلئة ! قبل أن يرفع حاجبه الأيسر لأعلى وهو يغمغم :

- هنيئاً لك .

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها هذه النوعية من البشر التي تأتي شهوتها في غير محلها ، ولم يكن صاحب الفندق يمانع في استضافتهم وخاصة في فترة عدم الرّواج والتي تشتكي فيها الغرف من الوحدة ، شريطة أنْ يرتفع أجراً الليلة الواحدة إلى الضعف ، وعلى الرغم من أن ذلك قد يُعرضه

المسائلة القانونية ، وربما إلى غلق المكان بأكمله ، ولكن احتياجه للمال في هذا الوقت الذي يرفع فيه الكساد راياته على المكان ، يجعله يخاطر بهذا الفعل المشين ، المحفوف بالمخاطر .

صعد الرجل إلى غرفته بصحبة امرأة اللعوب ، ثم أغلق زاها بإحكام ، ولم يُضيغ لحظة واحدة ، فوضع أشياءه على المندسة الصغيرة بجوار الفراش ، ثم بدأ ينزع ثيابه على عجل وهو ينظر إلى المرأة نظرات شبهة ، وهو يمني نفسه بليلة لائسي ، وخاصة عندما بدأت المرأة في نزع ثيابها بدورها الطوعة قطعة ببطء مثير ، مما جعل نيران الشهوة تستعر في جسد الرجل أكثر وأكثر .

اقترب منها بهدوء وهو يطبع قبلة حانية على وجنتيها ، فاستكانت وقبلته هي الأخرى ، وماهى إلا ثوانٍ قليلة حتى كان جسدهما يلتحمان في حميمية على الفراش ، وفي غمرة لذتهما أطلقت المرأة صرخة ألم قوية ، ولكن الرجل لم يبال بها ، واستمر فيما بدأه ، ولكن مع الصرخة الثانية التي انطلقت من المرأة ، ابتعد عنها قليلاً ليرى ما بها ، ليرى رقبتها وقد احمررت بأكملها ، وحظت عينها رعباً وألمًا ، حاول إسعافها بأى شيء وفوجدها تمسك بأسفل إبطها الأيمن ثم أتبعته بالأيسر وهي تتألم بلا توقف .

قام من مكانه مسرعاً ، لا يدري ماذا يفعل ، يتلفت
ويساراً ، بحثاً عن النجاة ، وفجأة ححظت عيناه بدوره
يمسك بمنتصف بطنه في ألم رهيب ، ولم ينتظر الألم في
بل انطلق إلى ما بين فخذيه.

أمسك موضع إصابته وهو يشعر بنيران الجحيم تستعر
بطنه وبين فخذيه ، انطلق يعدو خارج الغرفة عارياً ، وهو
يندى على خدمة الغرف كي ينقذوه مما هو فيه ، أما المرأة
فقد قاومت آلامها وارتدى ثيابها على عجل ، ثم جمعت
 حاجتها ، وأسرعت بمعادرة الغرفة ثم الفندق بأكمله .

- وجية شهية ، اشتقت إليها منذ فترة طويلة .

قال أحد البراغيث ⑯ انتشرت في الفراش الذي كان يضم
الرجل والمرأة منذ قليل هذه العبارة ، وهو يمسح شفتيه
من أثر الدماء التي امتصها بأنبوبه الطويل الحاد منذ قليل ،
فابتسم رفيقه وقال وهو يستند بمرفقيه على أحد حواجز
الفراش :

- ذلك الغُرُّ الساذج ، أعتقد أنه سيحظى بليلة حمراء ،
دون أن نأخذ نصيبنا منها .

تدخل ثالث في الحديث قائلاً بتواتر :

هناك مشكلة يا رفاق .

التفتا إليه ، فبادرهما قائلاً :

لن نستطيع العودة للوطن .

سأله أحدهما قائلاً :

كيف هذا ؟

هناك جدارٌ خفي نشأ منذ بضعة أيام ، يمنع عودتنا إلى المملكة ، لقد جاهدنا من أجل العبور ، ولكن جميع محاولاتنا باهت بالفشل .

أجابه زميله بهذه الإجابة المحبطة ، قبل أن يعود إلى مكانه هرة أخرى والفشل يقتربُ من خطواته .

زفر الملك برغيسيوس زفراً حارداً ، تدلُّ على ما تعتمل به نفسُه من غضبٍ عارم ، عندما وصلته آخرُ أخبار المحتجزين من بنى قومه ، في مكانٍ من آلاف الأماكن التي قدرَ لهم التواجدُ بها وقت اختبار طارق لاختباره ، صحيحٌ أن البراغيث تستطيع تحملَ الجوع والعطش لفترةٍ طويلةٍ جداً ، ولكن حالتهم النفسية ستتأثر بالطبع مع احتجازهم في عالم غريب عن عالِهم ، عن عائلاتهم ، زوجاتهم وأولادهم .

قام من مكانه ثم وضع ذراعه على ناقل الأخبار الذي و قال
منتسباً احتراماً للملك الذي قال :

- هل وصلت هذه الرسالة عبر شبكة اتصالاتنا المؤمنة ؟
أجابه الناقل قائلاً :

- بل يا مولاي .

دار في المكان لفترة مفكراً في موقفه و موقف شعبه مما
يحدث من تطورات خطيرة على الساحة ، فمهامته الأساسية
هي حماية شعبه ، و شعوره بالأمان ليلاً ونهاراً .

نظر برغبيسيوس للناقل وقال :

- أين قائد الحرس ؟

أجابه الناقل قائلاً :

- يتبع تدريبات القفز والقتال يا مولاي .

تحدى الملك قائلاً وشبح ابتسامة رضا تستقر على شفتيه

- هذا عهدي به دائماً، يعمل في صمت وتفان .

سأله الناقل قائلاً :

- هل تريدين أن أبلغه بشيء يا مولاي ؟

لَوْحَ الْمُلْكِ بِذِرَاعِهِ وَهُوَ يَقْرُبُ مِنَ النَّاقِلِ وَيَضْعُ ذِرَاعَهُ فِي
ذِرَاعِهِ وَيَصْطَبِحُهُ لِلْخَارِجِ وَهُوَ يَقُولُ بُودَ :-

سَنَذْهَبُ إِلَيْهِ مَعًاً، لَنْشَاهِدَ قَوْاتِنَا عَنْ قَرْبٍ.

حُكْمُ بِرْغِيسيوس مُمْلَكَةِ الْبَرَاغِيْث لِسَنْوَاتٍ طَوِيلَةٍ ،
أَعْجَمَ الْجَمِيعَ لِبِسَاطَتِهِ فِي التَّعَامِلِ مَعَ الصَّغِيرِ قَبْلَ الْكَبِيرِ ،
كَانَ يَفْضُلُ مَصْلَحَةَ شَعْبِهِ عَلَى مَصْلَحَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ ، اِنْتَعَشَتْ
الْمُمْلَكَةُ خَلَالَ فَتْرَةِ حُكْمِهِ ، وَعَمِّتْ السَّعَادَةُ كُلَّ جُحْرٍ وَبَيْتٍ
هُنَاكَ ، وَعِنْدَمَا تَمَّ دُعَوَتُهُ لِلقاءِ صِيرُوفِ وَبَاقِي الْحَشَراتِ فِي
الْاجْتِمَاعِ الْأَوَّلِ لَمْ يَتَرَدَّ فِي الْحُضُورِ وَالْاسْتِمَاعِ لِحَدِيثِ إِمْپَراَطُورِ
الصَّرَاصِيرِ باهْتِمامٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْوِي التَّعاَونَ ، لَقَدْ اَعْتَقَدَ
أَنَّهَا مَحاوْلَةٌ مِنْ صِيرُوفِ لِجَذْبِ اهْتِمَامِ جَمِيعِ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ
الْحَشَراتِ كَيْ يَرْتَكِّزَ عَلَيْهِمْ وَقْتَ الْحَاجَةِ ، وَلَكِنَّ مَعَ تَوَافُقِ
الْأَنبَاءِ الْقَادِمَةِ مِنْ نَاقِلِ الْأَخْبَارِ وَدُعَوَةِ إِمْپَراَطُورِ الصَّرَاصِيرِ
لِاجْتِمَاعٍ آخِرٍ حَاسِمٍ ، قَرَرَ بِرْغِيسيوس التَّعاَوْنَ مَعَ صِيرُوفِ
وَبَاقِي الْحَشَراتِ مِنْ أَجْلِ الْقَضَاءِ عَلَى الْخَطَرِ الدَّاهِمِ الَّذِي
يَهْدِدُهُمْ جَمِيعًاً .

وَصَلَ إِلَى السَّاحَةِ الْكَبِيرَةِ الْمُخْصَّةِ لِلتَّدْرِيَّبَاتِ الْقَاتِلَيةِ
لِلْبَرَاغِيْثِ لِيَشَاهِدَ تَدْرِيَّبَاتِ الْقَفْزِ الرَّائِعَةِ وَالَّتِي يَمْتَازُ بِهَا
الْبَرَغُوثُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْحَشَراتِ الْأُخْرَى ، بِالإِضَافَةِ لِتَدْرِيَّبَاتِ

الهجوم والامتصاص ، للحرس الخاص بالمملكة .

كان قائدُ الحرس برغو يتابع التدريبات باهتمام وهو يلقي تعليماته يميناً ويساراً ، مشجعاً من يجيد ، ويضرب بقدره من حديد على من يتلاعُّ منهم عن أداء تدريباته ، عندما شاهد انتباه الفريق المقاتل للقادم من خلفه ، فالتفت على الفور ليجد أمامه ربيب نعمته يبتسم في زهوٍ وهو ينظر إليه نظرة رضا ويقول :

- أحسنت يا برغو .

رکع قائدُ الحرس أمام الملك وهو يقول باحترام :

- بفضل توجيهاتك يا مولاي .

ابتسم برغيسيوس مرة أخرى ثم قال :

- هل أعددتَ الحرس الخاص بلقاء صيروف ؟

أجابه القائد :

- الجميع على أهبة الاستعداد يا مولاي .

زمَّ الملك شفتيه ثم قال :

- حسناً ، سأتركك تكمل تدريباتك ثم تأتي بعد ذلك للقصر الملكي كى نتحدث في بعض الأمور الخاصة بهذا اللقاء المرتقب .

العنى برغو أمام مولاه وهو يقول :

أمر مولاي .

اعطاهُ الملك ابتسامة أخرى ، قبل أن يعودَ مرةً أخرى
للهذه ، وهو يحسب الدقائق وال ساعات للقاء إمبراطور
المراصير ، الماكر .

- سيدى ، لقد أتى الفرسان .

انتفض ملك الذباب ⁽¹⁹⁾ فوق عرشه عند استماعه لهذا
العبارة من رئيس الخدم داخل بهو قصره الكبير، فقام من
مقامه يرفرف بجناحـيه وينطلق للقاء فرسانه، لم ينتدار
مجيئهم إليه بل أسرع هو إليهم في سابقةٍ تعد الأولى من
نوعها ، كان من الواضح أن الأمر هامٌ للغاية ، يقلق جنابـات
الملك ليـل نهار، فهو لم يذق طعم النوم منذ عدة أيام ، عاش
ليلها في أرق ونهارها في ترقب وقلق على فرسانه الشجعان ،
هل نجـحـوا في مهمتهم أم لقوا حتفهم في سبيل الوطن ؟

التقت عيناه بعيني قائد فرسان البلاط الملكي وهو يطرح
هذا السؤال على نفسه فأنتهـى الإجابة على هـيئة دمعة حزينة
منكسرة ، انحدرت على وجنتـى القائد وهو يرفرف بجناحـيه
ببطء حزين ، تراجع الملك والألم يقتل ما بـقى في نفسه من
أمل ، لقد فقد أكثر من نصف قوات الكوليـفـيا ⁽²⁰⁾ ، التي عـقدـت
عليها آمالاً عظيمة للخروج من المـحنـة ، لقد جاءـتهـ أخـبارـ عنـ
عيون الحراسة والتجسس أنه يوجد ما لا يـقلـ عن مليون جـنـةـ
في مختلف بلاد العالم ، فأرسل ذبابـ الكوليـفـياـ وـالمعروفـ باسمـ
الذبابـ الأزرقـ ، للحصول على الغذـاءـ وإـتمـامـ عمليةـ فـقسـ
البيـضـ التي استغرـقتـ وقتـاً طـويـلاًـ دـاخـلـ مـبيـضـهاـ ، ولـكـنـ هـاـ هـوـ
قـائـدـ فـرسـانـ البـلاـطـ يـنـقـلـ لـهـ الـخـبرـ الصـاعـقـ وـالـذـيـ لـمـ يـحـتمـلـ

فراجع بفزع قبل أن يرفع عينيه إليه ويقول متربقاً :

صف لي ما حدث بالتفصيل .

تحدث قائد الفرسان على الفور وكأن إشارة الملك له بالكلام
أنقذته من تحمل ما لا تتحمله نفسه من آلام :

- لقد تلقينا الخبر السعيد منك يا مولاي ، بوجود عددٍ
هائل من الجثث حول العالم ، فانطلقت قواتنا على الفور
إلى هناك بعد أن تأكدت من ذلك من خلال قرونها الرادارية،
و عندما أصبحت على بعد خطواتٍ من طعامها ، اعترضَ
طريقها تيارٌ كهربى قوى صعق نصفها مع الهجوم الأول قبل
أن تعيد الفرقة الكرّة مرة أخرى ، لتفاجئ بعاصفةٍ عاتية من
الرياح الساخنة التي حرقـت باقـي الـقوـات وأبـادـتهم عن بـكرة
أـيـهم بلا رحـمة ولا شـفـقة .

التقط الملك ذوبـو نفسـاً عميقـاً ليـسـتـطـعـ السيـطـرةـ عـلـىـ
أـعـصـابـهـ وـتـقـبـلـ الصـدـمـةـ ، ثم قال :

- وماذا عن عائلـاتـهـ ؟

أـجـابـهـ وـهـوـ يـُـدـيرـ رـأـسـهـ بـعـيـدـاًـ عـنـ عـيـونـ الـمـلـكـ الـمـرـكـبةـ التـىـ
تـنـظـرـ إـلـيـهـ مـتـرـقـبـةـ إـجـابـتـهـ :

- في أـسـوـأـ حـالـ يـاـ مـوـلـايـ ، فـمـنـذـ عـلـمـواـ بـمـاـ حدـثـ لـآـبـائـهـ

وعشيرتهم بأكملها والبكاء والنحيب لا ينقطعان من بيولهم
ليل نهار .

ازداد التأثر على وجه ذوبو ، قبل أن يقول :

- والصفراء ^{٢١} ما أخبارُها ؟

لَوْحَ القائِدُ بذراعه بقلة حيلة وهو يقول :

- لم يكن حالها بأفضل من الزرقاء ، فهى الأخرى لم تجد
مكاناً حتى الآن لتضع بيضها ، وماهى إلا أيام وتموت اليرقات
بداخلها وينتهي جيل كامل من ذبابة الصحراء قبل أن يرى
النور .

قام امليك من مكانه مرة أخرى وعقد حاجبيه مفكرا
لدقيقة كاملة ، لم يحاول القائد أن يُقاطعه فيها ، فهو يعلم
علم اليقين أن صمت امليك ما هو إلا إعداد لأمر هام ، وحمل
حاسم للمشكلة ، وبالفعل ما أن مررت الدقيقة حتى التفت
ذوبو إليه ونظر في عينيه مباشرة ثم قال بحزم حاسم :

- أُرسّل في طلب قوات التسوي ^{٢٢} بأكملها ، ثم أبعث
مندوبنا يخبر امليك صيروف بموافقتنا على حضور المؤتمر
الذى سيعقده مع الجميع ، لعلنا نجد الحل هناك في مملكته
الصراصير .

جميل ، حتى الآن تسير الأمور على ما يُرام .

القى صيروف بهذه العبارة وهو يبتسم بارتياح في وجهه
لأنه جهاز الاستخبارات الخاص به ، الذي انحنى أمام صيروف
بأدب وهو يقول مُدَاهِنًا :

أحلام مولاي أوامر .

شُبُك صيروف أصابعه أمام وجهه ثم قال ببطء :

- لقد كانت خطة رائعة ، عندما قدمنا مأكولاتنا بحفاوة
بالغة لضيوف المؤتمر الأول والتي كانت تحوى بداخلها أجهزة
الاسنٍ دقيقة جداً تذوب تماماً في فم ضيوفنا الكرام بمجرد
تناولها ، ثم تبدأ بعد ذلك في نقل كل ما يتحدثون به هناك في
أراضيهم ، ل تستقبلها قرونُ استشعار فريق الاستقبال والإرسال
في جهاز مخبراتنا ، أحسنت يا صورصور ، ترقب جائزة كبرى
مني شخصياً .

انحنى صورصور مرة أخرى وقال بنفaci واضح :

- يعلم مولاي أنني أخدم وطني وأخدمه هو شخصياً بدون
 مقابل ، فرضاك عنى هو أسمى الأماني .

- لماذا لم تأتِ بتقارير البعوض والخنافس وحشرة الوجه ⑪

يعلم املك تماماً كم النفاق الذي تحويه خلايا مدير مخابراته ، لذلك لم يُلْقِ بِالْأَلْ للعبارة المنافية التي قالها هنا لحظات ، لذلك فقد تخطى الموضوع وطرق نقطة في غاية الأهمية ، ولكن مدير المخابرات لم يكن بالغ الساذج ، فعندما ألقى صировوف سؤاله أجابه على الفور متجاوزاً الموقف الحرج

- لم يتغير موقفهم عن موقف باقي الكائنات الأخرى ، ولكنني أتيت لك من كنت تؤكد على رقابتهم طوال الوقت

مطّ صировوف شفتيه وقال :

- حسناً ، لم يعد أمامنا إلا أوراق الضغط الأخيرة على طارق ، والتي أعتقد أنه سينفذ طلباتنا بدون نقاش عند الضغط عليه .

عقد المدير قرني الاستشعار أعلى رأسه وقال متسائلاً :

- ماهى هذه الأوراق يا مولاي ؟

افترَ ثغرٌ صировوف عن ابتسامةٍ شرسه وهو يقول :

- زوجته وابنه الصغير ، ومعلمه دكتور شاكر .
وكانت عبارته هي فصل الختام في هذه المرحلة .



صَدَر



الفصل
الثامن عشر





الفصل الثامن عشر

- مبارك يا حبيبتي .

- بارك الله فيك يا أمي .

- حافظى على زوجك وأعطيه كل اهتمامك ، فطاعته
واجبة وفي راحتته راحتكم في الدنيا والآخرة .

- حاضر يا أمي ، أعدك أن أكون له نعم الزوجة ، والراحة
والسكن .

- حبيبي ، أين أنت ؟

- أنا هنا يا طارق .

- بارك لي ، لقد انتهيت من رسالة الدكتوراه ، وحدّد لي
الدكتور شاكر ميعاد مناقشتها .

- ألف مبروك يا حبيبي ، عندي أيضاً خبر سعيد لك .

- ما هو ، زيدي من سعادتي .

- أنا حامل .

- مبروك مبروك ألف مبروك يا عمرى ، حافظى على نفسك ،
اقعدى لا تُجهدى نفسك .

- مبارك حصولك على الدكتوراه يا طارق .
- الفضل يعود إليك يا دكتور شاكر بعد الله عز وجل.
- بل الفضل يعود إلى مجهدك وعزيمتك وإصرارك على النجاح ، مازال الطريق طويلاً أمامك ، وأنا أعلم أنَّ طموحاتك بلا سقف ، وأنك دائماً على مستوى المسؤولية .
- أشكرك يا أستاذى العزيز ، وأعدك أن أكون عند حسن ظنك .
- مبارك يا مدام ، اعتنى بزوجك فهو يستحق .
- طارق في عيني يا دكتور ، دعواتك .
- أسعد الله أيامكم بالخير .

مرثٌ هذه الذكريات كشريط سينمائي يدور بالبطىء
في عقل نجوى ، تسترجع معه ذكرياتها الجميلة مع زوجها
طارق ، منذ ليلة زفافها وحتى حصوله على درجة الدكتوراه ،
أيام جميلة ، عاشتها في سعادة وهناء مع من طرقت ملامحه
أبواب قلبها ، ولكن دوام الحال من المحال ، هكذا هي الدنيا
لا تستقيم على شيء أبداً ، لقد تغيرت حياتها تماماً بعد أن بدأ
زوجها في التفكير في اختراعه العجيب ، ذلك الاختراع الذي
قلب حياتهما 180 درجة ، أصبح طارق شارداً ليلاً نهار ، نادراً
ما يجلس معها هي وابنهما إيمان ، أو حتى يتناول طعامه
معها ، كان ذلك الاختراع يستحوذ عليه تماماً ، كان يسعى
لهدف معين من هذا الاختراع ، لم يتحدث معها بشأنه أبداً ،
أحاط نفسه بسياج من الحذر والحيطة ، كي لا تعلم شيئاً عن
اختراعه الذي بات يحلم به ليلاً نهار

أيام وليل عاشتها تتألم بعده حبيبها عنها ، فراقه لها وهو
بين يديها ، ولكنها صبرت وتحملت من أجله ، فهى تشق فيه
وفي حصافة رأيه ، وقدرته على التفكير السليم دائماً ، ولكنها
كانت تتوجّس خيفة عليه مع كل نفس يتربّد في صدرها ،
كانت تخاف الغد ، تهابه ، ترى فيه الغموض والخطر الكامن ،
ما إن جاَ بخاطرها تذكر الخطر حتى احتضنت إيمان بشدة
وهي تتلفت حولها بخوف وتوجس .

مشهد زوجها والحشرات تأكله وتحيله إلى هيكل جلدي
ما هو من أعضائه الداخلية ، بث الرعب في نفسها وأطار النوم
من عينيها لأجل غير مسمى .

وقتها أدركت أن خطراً عظيماً يحيط بأسرتها الصغيرة ، وهنا
تحرك ذلك الكيان العملاق الكامن بداخلها وأمسى بالإرادة ،
سلب على ما هي فيه ، ولقد كانت دهشتها عظيمة عندما
شاهدت طارق يحضر المؤتمر العلمي بلندن ، ولكن عندما
أعلن ولاده لدولة إسرائيل تيقنت أن الشخص الذي أمامها
على شاشة التلفاز والذي يشاهده أكثر من نصف سكان العالم
غيرها ، ليس زوجها ، فهي تعلم أن طارق يذوب عشقًا لوطنه
غير ، ومن المستحيل أن يخونها بأى حال من الأحوال ، ولكن
هناك أمرًا ما غامض ومريض ، تحرك إياد بين ذراعيها وهو
برتجف من البرد والخوف ، فأحاطته بذراعيها برفق وهي
الذكره عندما تحول إلى عقرب ضخم التهمها بالكامل داخل
ليلتها ، ثم فجأة وجدت نفسها هنا هي وابنها بعد أن تحولـا
إلى حشراتٍ صغيرة تحمل رأساً آدمية ، وهذا هي ملقاءُ في هذا
السجن الصغير ، لا تعلم أي شيءٍ عن رفيق حياتها ، هل هو
أم أم ميت أو تحول هو الآخر إلى حشرة مثلها ومثل إياد ،
هل الحشرات قررت الانتقام منه ؟

هل هي تعيش حُلماً مزعجاً وماهى إلا لحظاتٍ وتستيقظ

منه ؟ أَمْ هِي نَهَايَةُ الْعَالَمِ ؟

- هِي بِالْفَعْلِ نَهَايَةُ الْعَالَمِ .

ما أَنْ وَصَلَتْ نَجْوَى بِأَفْكَارِهَا إِلَى هَذِهِ النَّقْطَةِ حَتَّى دَوَّلَ
هَذِهِ الْعَبَارَةُ فِي أَعْمَاقِهَا بِصَرَامَةٍ وَحَزْمٍ ، أَخْدَثَتْ تَتَلَفَّتْ حَوْلَ
نَفْسِهَا بِفَزْعٍ وَرُعْبٍ شَدِيدَيْنِ ، مَحَاوِلَةً العَثُورَ عَلَى مَصْدَرِ
الْعَبَارَةِ وَلَكِنَّهَا فَشَلَتْ ، وَمَا أَنْ جَلَسَتْ مَرَةً أُخْرَى وَاحْتَضَنَتْ
وَلِيَدَهَا بِقُوَّةٍ ، أَتَتِ الْكَلْمَةُ الَّتِي قَضَتْ عَلَى أَيِّ ذَرَّةٍ أَمْلَى
النِّجَاهَ مِنْ هَذِهِ الْمَحْنَةِ الرَّهِيبَةِ ، كَانَتْ كَلْمَةً وَاحِدَةً فَسَرَّتْ
كُلَّ شَيْءٍ ، وَأَجَابَتْ عَنْ كُلِّ الْأَسْئِلَةِ الَّتِي أَطَارَتِ النَّوْمَ مِنْ
عَيْنِيهَا ، عِنْدَمَا ارْتَفَعَ الصَّوْتُ مَرَةً أُخْرَى قَائِلًا :-

- نَهَايَتُكُمْ .

فجأة وبلا مقدمات ، وجد الدكتور شاكر نفسه في عالم آخر غير الذي عاشه وألفه طوال حياته ، عالم تلميذه طارق ، الذي قدم دعوته لأستاذه كي يخبره بالحقيقة الكاملة ، والتي أدها شاكر مُرغماً كي تستقر نفسيه التي أصبحت لقمة سائحة للمسؤوليات المميتة .

لقد احتضن صورة طارق في معمله كما أمره ، ليتحول جسده بأكمله إلى ذرات نقلها هواء المكان إلى عالم غامض مجهول .

وعلى الرغم من أن الرحلة استغرقت خمس ثوان فقط إلا أن شاكر شعر بآلام رهيبة اجتاحت جسده من منبت شعره حتى أخمص قدميه ، وكأن الخمس ثوانٍ خمس قرون ، ولكنها احتمل واحتمل لما يفوق طاقة البشر من أجله ، من أجل طارق .

لم يجد نفسه في زنزانة حقيقة كما حدث مع رفاقه في هذه الأحداث الماضية ، بل وجد نفسه في صحراء جرداء لا زرع بها ولا ماء ، أحس بالعطش حتى أن أوردته باقتتنبض بوهن من شدة احتياج قلبه للماء ، تحرك بضع خطوات للأمام محاولاً أن يسترشد بالنجوم التي تملأ السماء من فوقه حتى

يحدد اتجاهه وبالفعل وجد النجم القطبي الذي يشير دائمًا إلى الشمال ولكنه عقد حاجبيه بشدةٍ عندما وجد النجم يحمل وجه طارق وهو يبتسم ويشير ناحية الشرق ، أدار الدكتور رأسه ناحية الشرق بسرعة ليرى الشمس وهي تشعر عن ساعديها ، وتستعد للشروق ، وعلى الفور ودون مقدمات ازدادت حرارتها وهي ترتفع في كبد السماء ، قبل أن تبدأ الهبوط لتصبح على بعد ثلاثة أمتار فقط من رأس شاكر ، الذي تصبح عرقاً حتى بدأ العرق في تكوين بركةٍ صغيرةٍ من حوله ، امتزجت على الفور برمال الصحراء الكثيفة ، ثم بدأت في الجفاف مرة أخرى ، بسرعة مدهشة .

رفع رأسه لأعلى ، وهو يجاهد كي يرى قرص الشمس الذي ظل يقترب منه حتى أصبح على بعد متر واحد فقط من رأسه ، ومع استقرار العرق الملاوح بين جفونه باتت الرؤية مستحيلة ، ولكن إرادته القوية جعلته يجاهد ويجهد حتى استطاع فتح جفنيه لستةيمترات قليلة ، ليرى وجه طارق مرة أخرى يحتل قرص الشمس وهو يبتسم ابتسامة ساخرة ، فتكلم شاكر قائلاً وهو يلهث من شدة العطش والخوف :

- لماذا كل هذا العذاب ؟

احتفى وجه طارق وحل محله وجه شيطانى عابس ، يخرج
من رأسه قرنان كبيران وعيناه هى العذاب ، بكل أشكاله
والوانه ، أما صوته فيشبه صوت القدر عندما يعلن عن
شرباته القاتلة .

تجربة طارق هى السبيل لنجاتك ، أين هى ؟ وكيف يمكن
إيقافها ؟

لأوح شاكر بكفه وهو يقول :

- تجربة طارق في رأسه ، هو الوحيد الذى يعلم كيفية
إيقافها ، وهو الذى يستطيع التعامل معها ، لقد كان حريصاً
على عدم إطلاع أو إطلاع أى فرد على خطوات التجربة ، كل
ما كنتُ أفعله له أنى أيسر الأمور الأمنية والتواصل مع الدول
الأخرى لعقد مؤتمراتٍ في أغلب بلاد العالم ، وامتلاكه له من
بعيد ، وذلك لثقتي في طارق وفي حصافة رأيه ، ولكننى لم أكن
أessimيل أن تصل بي الأمور إلى هذا الحال أبداً .

ساد صمتٌ مطبقٌ بعد عبارة شاكر التى لخصت كلَّ
الأحداث التى دارت في الفترة الأخيرة ، وأوضحت الجانب
المظلم في تجربة طارق المثيرة .

- إذاً فأنت لاتعلم أي شيء عن التجربة .

- أبداً ، لا أعلم أي شيء ، وحده طارق يعلم الكثير والكثير .
عن عمله .

- إذاً فلا حاجة لنا بك .

- ماذا ستصنعون بي ؟

- سترى .

دار هذا الحوار بين دكتور شاكر والهالة الشيطانية التي احتلت قرص الشمس بأكمله ، وبينما هو ينتظر مصيره المظلم إذا بالأرض الرملية من تحته تهتز بشدة وهي تسحب جسده لأسفل ببطءٍ مخيف ، توترت أعصابه وأخذ يدور بالجزء العلوي من جسده يميناً ويساراً باحثاً عن النجاة في الفلاء ولكن بلا فائدة ، ومع مرور الوقت أصبح جسده بالكامل تحضنه الرمال ، كأم تحضن طفلها في رحمها ، استسلم مصيره وانتظر نزول الكلمة النهاية على حياته ، ولكن عينيه اتسعتا دهشة ورعباً فاق ما هو فيه ، عندما شاهد على بعد عشرين متراً فقط انبعاجاً في الرمال ، اهتزت ذراته الرملية بشدة قبل أن يخرج منها عنكبوت ضخم مهيب الركن ، نظر

لها كن نظرة صارمة ، ثم أتى بشيء غريب وعجيب على طائفته
بسرها ، عندما رفع رأسه لأعلى ثم فتح بطنه ، لتنطلق منها
هذه العناكب الصغيرة السامة ، نحو هدف واحد ، هدف
كان يُعرفُ بين أقرانه من بنى البشر باسم دكتور شاكر ، سابقاً.



عویس



الفصل
الحادي عشر





الفصل الحادي عشر

هل أنت مصرٌ على ذلك يا صورو ؟

أقت بنت وردان عبارتها المתוترة على زوجها وهي تترقبُ
حركة شفتيه والتى تتمنى أن تكون إجابته بالرفض ، ولكن
صورو قضى على آمالها العظيمة عندما قال باقتضابٍ :

نعم .

اقربت منه وتحسست صدره القوى برفق وهي تهمس :

ولكنها مُخاطرة ، وأنا لا أستطيع العيش بدونك .

أبعدها عن صدره برفق ثم قال :

الأولاد يتضورون جوعاً ، وقد نفقدهم في أي لحظة ، وأنا
لن أحتمل فقدهم بأى شكلٍ من الأشكال ، ثم إنَّ المملكة
لديها ما يكفيها من المشاكل ، فيجبُ علينا السعى على الرزق ،
حتى لا نفقد ثقتنا بأنفسنا على الأقل ، منزلنا الجديدُ هذا ألا
يحتاجُ منا المزيدَ من الجهد والعرق حتى نستطيع أن نمكث

فيه لفترة طويلة ؟! على الأقل حتى نرى أبناءنا في ريعان
الشباب .

قالت وهي تُبَعِّدُ رأسها عنه حتى لا يرى الحزن الجاثم على
هيكلها الكايتيني بالكامل :

- هل لديك خطة ؟

أجابها على الفور بلهجة حاسمة :

- بل ، ولكنني سأحتاج إلى صirof لتنفيذها معى .

وقع قلُبُها بين أرجلها وهي تردد :

- صirof !!

هزَ رأسه وقال بصراحته لا تقبل النقاش :

- نعم ، صirof هو الوحيد الذي يصلح لهذه المهمة
معى ، فهو أذكي أبنائي العشر ، غير أنه جريء ويحمل بداخله
جينات البطولة والشجاعة .

قبضت على ذراعه بقبضتها الرقيقة وهي تقول متسللة :

- اعنِ به جيداً يا صirof ، فزفافه بعد يومين .

ابتسم صورو وهو يربت على رأسها برفقٍ قبل أن ينادي

على صيروف الذي أسرع إليه على الفور وهو يقول :

- أنا مستعد يا والدى .

اقربَ منه صورو ووقف على بعد خطوتين منه ثم ابتسم
وهو يتطلع إلى جسد ولده الممشوق القوى ، قبل أن يبتسم
وهو يستدير إلى خارج المكان ويقول :

- اعنِ بالصغار حتى نعود ، هيا يا صيروف .

تبعه صيروف في صمت ، حتى اختفوا عن الأنظار تماماً
لتبعهما قرنا استشعار بنت ورдан ، التي أخذت تتمتم ببعض
الأدعية ، كي يحفظ الإله فلذة كبدها ، وزوجها الحبيب ، كانت
شعرُ أنَّ هناك خطراً قادماً سينال أسرتها إن أجلأ أو عاجلاً ،
توجهت إلى غرفة الصغار وتحسست أجسادهم النائمة الهدئة
، بكل ود وحب قبل أن تتركهم وتعاود الدعاء والابتهاال مرة
أخرى ، ولكنها هذه المرة كانت تبكي ، وبشدة .

كانت خطة صورو تعتمد على براءة ابنه في سرعة الحركة
وامرأوغة ، ثم إمكانية الهروب من الأعداء مهما كان عددهم أو
قوة تسليحهم ، كان الهدف هو دولاب الطعام الكبير الموجود
داخل مطبخ هذا المنزل المهجور منذ فترة طويلة ، مما جعل
صورو يفكر في الانتقال إليه هو وأسرته الصغيرة ، هرباً من
الكثافة السكانية الرهيبة التي كانت تجعله يشعر بالاختناق
دائماً ، لذلك فقد اتخذ قراره الحاسم بعد أن أخذ رأي زوجته
وأولاده ، بترك هذه المنطقة العشوائية والتي أثرت تأثيراً سلبياً
على أخلاق صغاره ، والتي أصبحت ألفاظهم نابية ، في غاية
السوء ، ومع التواجد في المكان الجديد اختلفت الحياة تماماً ،
اتسعت الحياة من حول زوجته وأولاده ، واطمئنت نفسه
عليهم ، وأصبح عليه أن يوفر لهم الغذاء والكساء ، وعلى
الرغم من أن صورو كان من ضمن الحرس الملكي للإمبراطور
المبجل ، إلا أنه كان يفضل أن يأكل من يديه ، ولا يدها لأى
أحد حتى ولو كان الملك نفسه .

اقرب المقاتلان بحذر وترقب من المطبخ الكبير ، كان
الظلام يحيط بالمكان من كل جانب ولأن صورو أعمى كباقي
جنسه ^{٢٤} ، فالدنيا من حوله في ظلام دائم ، لذلك فقد بدأ
سلكاً بالإرسال والاستقبال الموجود فوق رأسه بإرسال إشارات
خاصة لصيروف ، الذي التقettyها شبيهتها فوق رأسه ، لتترجمها

إلى الفور قبل أن ينطلق على الفور نحو الهدف يتبعه والده
في تحفز وهو يدور حول نفسه لتأمين المكان .

يمارس صيروف التدريبات القتالية منذ الصغر ، لقد كان
بعده والده ليكون خليفة له في البلاط الملكي ، ولقد تقبل
الملك ذلك وكان في غاية السعادة كلما شاهد قوة صيروف
ومهارته وذكاءه الفائق للمعتاد ، وفي هذه اللحظة
ادرك والده أنه كان على صواب وهو يرى ابنه يقفز قفزة
شاهقة تجاوز بها المنضدة الرخامية الموضوع فوقها الهدف ، ثم
التقط نفساً عميقاً سيطر به على أعصابه المتوتة ، وهو يشير
لوالده بعلامة النصر ، وفي لمح البصر كان يقف أمام دولاب
الطعام قبل أن يتسلل إلى داخله ويبدأ في الاستيلاء على ما فيه
ـ مهارة يُحْسَدُ عليها.

وبينما هو يُخْرِجُ ما بقلب الهدف والفرحة تسسيطر على
كيانه، إذا بضوء قوى يغمر المكان بأكمله ، ويهدد العملية
بأكملها بالفشل .

توارى صيروف بسرعةٍ خلف دولاب الطعام وهو يبحث
عن والده في كل مكان ، كان من الواضح أنَّ صاحب المنزل
قرر العودة إليه مرة أخرى وهذا يعني أن حياة صورو وعائلته
 أصبحت مهددة بالخطر ، دارت هذه الكلمات البسيطة في

حروفها المترتبة في معناها في عقل مقاتل البلاط الملكي وهو يبحث عن ابنه في كل ركنٍ من أركان المطبخ ولكن دون جدوى ، حاول الخروج من مكمنه متلصصاً ، ولكن القدر لم يمهله ، لقد هبطَ على رأسه فجأةً وبدون مقدمات جسم ثقيل ، فصل رأسه عن جسده ليقضى على آماله وأحلامه في غمضة عين ، سقط جسده أرضاً بلا حراكٍ أمام عيني صيروف الذي خرج يبحثُ بدوره عن والده ليُفاجأ بهذه الفاجعة التي لحقت بعائلته ، اتسعت عيناه دهشةً وفزعًاً على والده الذي ضحى بحياته من أجله ومن أجل تأمينه هو ، لقد خرج من مكمنه ليشتت انتباه العدو بعيداً عنه ، وهو لن يُضيع هذه التضحية هباءً منثوراً .

بخفة فهد وحذر نهر تسلل للخارج وقرنا استشعاره تتحرّك بسرعةٍ رهيبة فوق رأسه ترصدانِ كلٌّ صغيرة وكبيرة في المكان ، اطمئن موقفه فانطلق على الفور نحو والده ، يتحسّس بقایا جسده والحزنُ يسيطرُ على مشاعره بأكملها ، يقتلع جذور الأمان ويلقى به في بحور النسيان .

بينما هو يحاول حمل جسد والده إلى منزلهم ، تحرّكت غريزة البقاء في نفسه عندما شعرَ بتغيير مسار الهواء من فوق رأسه وتغير سرعته أيضاً ، فابتعد بسرعة البرق عن جثة والده في نفس اللحظة التي سقط فيها نفسُ الجسم الثقيل الذي

ألى على والده منذ قليل ، انطلق يudo بعيداً في خط متعرج
محاولاً الفرار من هذا الخطر الذي يهدد حياته بالخطر .

لم ينطلق مباشرة نحو منزل أسرته خوفاً من تتبع العدو له
والقضاء عليهم جمياً ، بل ظل يراوغ ويناور يميناً ويساراً حتى
دخل أحد الأحذية الملقاة بإهمالٍ في أحد أركان حجرة المعيشة
الكبيرة ، استقر هناك وهو يرقد على قدميه الصغيرتين ، وقراها
لا تتوقفان عن الحركة وهو يرقب اليد البشرية التي تحمل
ذلك الجسم الثقيل ، استمر صاحبُ هذه اليد في البحث عنه
في كل مكان ما عدا هذا الحذاء الذي يختبئ فيه ، كتم
أنفاسه كي لا تفضحه ، حتى خرج البشري من المكان وأغلق
مصباح الإنارة ، فظل صيروف في مكانه لخمس دقائق كاملة
حتى اطمأن لابتعاد الخطر عنه ، فخرج من مخبئه رويداً
رويداً ، ثم انطلق يudo بأقصى سرعته إلى منزله ليحتمي
بأهلة هناك وينقل لهم خبر والده الذي ضحى بنفسه من
أجله دون تردد .

وصل إلى المنزل بسلام ، وعند الباب الصغير كانت الفاجعة ،
ويبدو أنَّ المصائب لا تأتي فرادى ، لقد وجد جميع أفراد عائلته
صرعى أمام عينيه ، الجميع مطروحون أرضاً على ظهورهم ،
 وأنفاسهم غادرت صدورهم بلا رجعة ، ورائحة مبيد حشرى
قوى تنتشر في المكان .

تراجع وهو يلوّح بذراعه اليمنى غير مصدقٍ لما تراه قرونه
وذراعه الأخرى تحمى جهازه التنفسى من استنشاق المادة
الكيميائية القاتلة .

لقد فقد كلَّ ما يملك ما بين عشيةٍ وضحاها ، والده ووالدته
وجميع أخواته ، وحتى زوجة المستقبل لم تنجُ من الموت ،
يبدو أنها أتت إلى أمه كى تتممَ معها مراسيم الزفاف السعيد .
سعيد ! أين السعادة وفقدان من نحب يقتلع الأفراح
ويزرعُ الأحزان ، يقتل النفس داخل الجسد ، فأين السبيل ؟
وعذاب الفراق دائمٌ ليل نهار .

وبينما هو يتحسّس أجسادَ أسرته إذا أعدادٌ هائلة من النمل
تندفع إلى المكان ، وتهجم على والدة صirof وأخواته وزوجته
لتمزقهم إرباً ، لتبدأ بعد ذلك في حملهم إلى مملكتهم ، لقد
كانت وجبة شهية ، ستغنيهم عن البحث عن الطعام لشهور
وشهور .

ولكن صirof لم يكن ليسمح بالعبث في جثث أسرته ، بأى
حال من الأحوال ، لذلك فقد اندفع يقاتل بكل ما أوتي من قوة
لمنع حدوث هذا ، ولكن كما يقولون ، الكثرة تغلب الشجاعة ،
لقد اندفعت نحوه مجموعة من قوات النمل المقاتلة لتقاتله
في شراسة واندفعت مجموعة أخرى تكمل مهمتها التي أتت

عن أجلها ، ومع تبخر رائحة المبيد الحشري من المكان تبخر
ونفن صيروف من رأسه ، ومع سقوطه أرضاً في عنف ، حمل
آخر جندي من جنود النمل آخر جزء من جسد والدة صيروف
قبل أن ينصرف الجميع من المنزل ، يحملون بقايا أسرة كانت
آمنة مطمئنة ، ولكن هكذا هي الدنيا ، لا تعطى أحداً ما
يالهمى ، أو يأمل .

هل لك أن تعيّد علي مسامِعِي ما حَدثَ مَرَةً أُخْرَى؟

استمع صِرِوف إلى عبارة إمبراطور مملكة الصراصير
فتَحَدَّثَ قائلاً بحزنٍ شديداً:

- لقد لقي والدى مصرعه عندما خرجنا معاً للبحث عن الطعام ، كنا قد ركزنا على هدف معين ، فتابعه منذ فترة طويلة، وعندما بدأنا في نقل المؤمن تمّت مهاجمتنا بكل شراسة لقى والدى مصرعه مع الضربة الأولى ، ثم تمّت مهاجمتي أنا الآخر ، ولكننى استطعت الفرار ، وعندما ذهبت للمنزل وجدت أسرى بالكامل قد لقوا مصرعهم إثر تعرضهم لجرعة كبيرة من مبيد حشري غير معروف ، وبينما أنا أحاول نقلهم إلى المدافن حتى ينالوا جنازة تليق بهم ، إذا بقطيعٍ هائل من النمل ، ينقضُ على أسرى بالكامل وينقلهم إلى مملكته ، لينعموا بوجبةٍ شهيةٍ تكفيهم لفترة طويلة ، وعندما حاولت الدفاع عنهم ، تکالبوا عليّ ، ولكننى قاتلتُ حتى آخر رمق ، ولكنهم باغتوني ففقدتُ الوعي ، وعندما أفاقت جئتُ إلى هنا على الفور .

استرخي الإمبراطور في مقعده ، وهو يلُوّحُ بيده في ضجر ويقول :

- وما الذي تريده الآن؟

لبيس قرنا صirof في مكانهما دهشةً من سؤال الإمبراطور الغريب ، ولكنه تجاوز دهشته ثم قال :

- تنفيذ وعدك لوالدى ، برعايتها وتكلمه برنامجى الدربي حتى أكون أحد حراس مملكتك يا سيدى .

قام الإمبراطور من على عرشه ، وقال وهو يتحرك بعزمٍ في المكان :

- كان هذا سابقاً يا صirof ، أما الآن فقد أرسلتُ في طلب قوات مقاتلة من اليابان وأمريكا ، وهذه القوات في طريقها إلى هنا بعد قليل ، وعندما يتواجدون في المملكة لن أكون بحاجة إلى خدماتك ، غير أننى سأحيط جميع أفراد الحرس القديم إلى التقاعد .

Sad الصمت في المكان بعد كلمات الإمبراطور القاتلة ، وانطلقت عبارة واحدة حاسمة وفاضلة في خلايا مخ صirof (لا تركن إلى أحد ، فالجميع يرحلون) ، نعم الجميع يرحلون ، وما دام رحل والده وعائلته فيجب أن يرحل من قتله ومن تخل عنده .

لم يفكر بعد ذلك لثانية واحدة ، وهو يقترب من الإمبراطور الذي يوليه ظهره في خيلاء ، التقط نفساً عميقاً قبل أن ينقض على الملك ويحتلّ ظهره ثم يغرس مخالبه الحادة في رأسه بقوة

وعنف لدرجة أنه لم يملُك وقتاً ليصرخ فيه أو حتى ليستند
بطاقم حراسته الواقف خارج المكان .

سقط الملك أرضاً بلا حراك ، بعد أن لفظ أنفاسه الأخيرة
أمام صيروف الذي جلس أمام جثة الإمبراطور ثم بدأ في
التهامه بسرعة ، وما هي إلا خمس دقائق حتى لم يعد هناك
أى أثر للإمبراطور ، ولكن الأعجب من ذلك هو أن خلايا الملك
قد امتزجت بخلايا صيروف الذي تحول على الفور إلى نسخة
طبق الأصل من الإمبراطور .

اعتلى العرش الملكي بكل ثبات ثم تراجع في مقعده بعظامه
وهو ينادي على الحراس بكل ثقة ، ثم يُلقى إليهم ببعض
الأوامر الصارمة ، وبينما انطلق حراسه لتنفيذ الأوامر ، إذا به
يسترخي في مقعده وعلى شفتيه ابتسامة هادئة وواثقة .

- سيد الإمبراطور ، لقد حضرت الوفود .

قطع صوت قائد الحرس الخاص بالإمبراطور صيروف الجزء
المظلم من تاريخ حياته ، والذي هاجم عقله منذ لحظات ،
فاعتدل في مقعده وقال بعظامه :

- فليجسوا في قاعة المحاكمات الكبرى ، وأحضروا البشرى
من سجنه إلى قفص الاتهام في القاعة ، وسوف أُحُق بكم بعد
قليل .

كانت هذه العبارة هي آخر ما قاله صيروف داخل البلاط الملكي قبل أن يضع ذراعه على رأسه وهو يفكر في خطته الرهيبة والتي سيعرضها على ملوك ورؤساء جميع قبائل الحشرات على وجه الأرض وأسفلها ، وكيف سيتقابلونها ، وما هي ردود أفعالهم تجاهها ، ثم انطلق فجأة بأفكاره إلى طارق، كيف حاله الآن ، لقد تركه لفترة طويلة ، ولكنـه كان يتبعه أولاً بأول ، كان يريد رؤيته في قفص الاتهام أمام الجميع ، مذولاً مدحوراً ، لقد كان بنو جنسه سبباً في هلاك أهله ، وهذا هو يسعى للقضاء على الجميع ، ولكنه لن يسمح بذلك أبداً حتى لو فقد في سبيل ذلك ، حياته .



عبيد



الفصل
العشرون





الفصل العشرون

لم يكن يتخيّل في يوم من الأيام ، أن يصلّ به الحال إلى ما هو عليه الآن ، كان يرفل في النعيم ليـل نهار ، الطعام الجيد ، الملبس الرائع ، سيارة فارهة ، زوجة جميلة ، ابن مهذب ، مستوى اجتماعي راقى ، شهرة واسعة ، وعلم فاق جمـيع أفرانه .

انقلب الحال فجأة وتغيرت الدنيا من حوله ، إلى جـحـيم مقـيم ، عندما فـكـر في تجـربـته الفـريـدة من نوعـها ، والـتـى سـتـخلـصـ الجـنـسـ البـشـرـىـ من عـدوـهـ اللـدـودـ ، الحـشـراتـ ، تلكـ الكـائـنـاتـ التـىـ تـخـشـىـ ردـودـ أـفـعـالـهاـ ، تـهـابـ مـظـهـرـهاـ ، وـتـتـمـنـىـ القـضـاءـ عـلـيـهاـ ، وـلـكـنـ فـيـ نـفـسـ الـوقـتـ يـقـتـلـكـ الفـضـولـ كـىـ تـتـعـرـفـ عـلـيـهاـ عـنـ قـرـبـ ، كـيـفـ تـحـيـاـ ؟ـ كـيـفـ تـتـعـاـيشـ معـ اـمـجـتمـعـاتـ الـأـخـرىـ ؟ـ هـلـ تـتـنـاـوـلـ طـعـامـهـاـ مـثـلـنـاـ ؟ـ أـمـ نـحـنـ طـعـامـهـاـ ؟ـ أـسـئـلـةـ كـثـيرـةـ قـرـرـ طـارـقـ أـنـ يـبـحـثـ عـنـ إـجـابـاتـ حـاسـمـةـ لـهـاـ ، مـنـذـ أـكـثـرـ مـنـ عـقـدـيـنـ مـنـ الزـمـانـ .

لم تذق عيناه طعم النوم لشهور طويلة منذ فَكَرَ في تجربة
التي ستغير الكون من حوله ، بل ومن حول الناس جمِيعاً
تجربة إخفاء الحشرات من العالم ، لن تؤذى البشر بعد الآن
ولكنها ستتوارد في عالمها ، لن يحدث أَيُّ خللٍ للبيئة كما أَخْرَى
دكتور شاكر ، ولكن في نفس الوقت سيخسر الجنس البشري
بعض الخدمات التي تقدمها الحشرات ، وستتسعى الحكومات
حتى لإيجاد بدائل لهذه الخدمات ، امهم أن لا يرى أَيُّ حشرة
من الحشرات أمامه ، وخاصة البعض ، البعض الذي كان
سبباً في

- أنت ، انهض .

نهض متحالماً على نفسه مُنفذا للأمر الذي سمعه من
حارس زنزانته في عالم الأعداء ، والذى قطع بلا رحمة أفكاره
وذكرياته ، بكل سهولة كما يقطع السكينُ الزيد الطازج .

اقترب منه الحراسُ ، ثم قبض على ذراعه الرفيعة ، وأدارها
بعنف لتلتقي بأختها خلف ظهره قبل أن يقيدهما معاً بقوة
متعمداً إِكْسَابَهُ أَكْبَرَ قدرٍ من الألم ، ولكنه كان دائماً يحتفظ
بالألم لنفسه ، ولا يُعطِي الفرصة لعدوه أن يرى علامات النصر
والشفى في عينيه ، لأن هذا هو النصرُ الحقيقى الذى يُحبُّ
أن يتحقق العدو .

سار خلف سجّانه ببطءٍ ورأْسُه مرفوعةٌ في السماء ، حتى
وصل إلى قاعة المحاكمات الكبرى ، والتي بمجرد أن دخلها
، سادت هممَّاً عديدة بداخلها ، وبلغات مختلفة ،
الحارس بقوَّة داخِل قفص الاتهام بعد أن فُكَ قيده ،
لم أغلق الباب بقوَّة ووقف أمامه كالطُّود العظيم في انتظار
أوامر أسياده بشأن هذا البشري الأسير .

أدَّار طارق عينيه في قاعة المحكمة ، ليجد أمامه جميع
أنواع الحشرات الشهيرة والمعروفة تقريباً ، الصراصير والبعوض
والبراغيث والنمل والنحل والذباب والجراد ، سأَل نفسه
والتوتر يغلُب على أفكاره ، كيف اجتمعَت كُل هذه الصنوف
المختلفة من الحشرات معاً ؟ كيف تحالفوا ضده ؟ على الرَّغم
من أنَّ منهم من يكره الآخر ، ويتعنَّى القضاء عليه ؟ هل
اجتمعوا من أجله ؟ هل سيحددون مصيره الآن ؟ أم ماذا
تخبيئ له الساعات القادمة ؟

- محكمة .

انطلق عريُّ أحد الصراصير بهذه الكلمة عالياً ، فدخلَ
القاعة إثْر كلمته ، إمبراطور الصراصير صيروف ، وأمِلَّكة نمليس
ملكة النمل ، وملك الذباب أمِلَّك ذوبو ، لقد تمَ اختيارُ
صيروف لنمليس وذوبو ملِّاقته منصة الحكم باعتبارهم من

أقدم مماليك الحشرات على وجه الأرض .

بدأ صيروف الحديث قائلاً بصرامةٍ :

- منذ ملايين السنين ونحن نعيشُ في أمان وسلام ،
نؤذى أحداً ، ولا نتدخل في شئون أحد ، فنفرُ من رائحة البطر
القدرة²⁵ ، ومن العدوى التي تصيبنا منهم إذا تمثّل ملامسهم
لنا ، نفخرُ بأننا الكائنات الوحيدة على وجه الأرض التي
تحتوي رؤوسها على علاج لهذه الكائنات الفانية والمعروفة
باسم البشر ، وعلى الرغم من المนาفع العديدة التي نقدمها
لغيرنا من هذه الكائنات الفانية ، إلا أنهم يقابلون الإحسان
بالإساءة ، لقد اخترع هذا الكائنُ القدُرُ اختراعاً يمنع ظهورنا في
عالِمِهم إلى يوم الدين ، اختراعاً سيقضي علينا إن آجلاً أو عاجلاً
سيفقد الكونُ اتزانه ، وتتقلص دورات حياتنا ، وينتهي جنسنا
في وقت قصير جداً ، لدرجة أننا لن ندرك ذلك ، لذلك فقد
عرضتُ على هذا العالم المصري أن يخبرنا بتجربته ويعمل على
إيقافها فوراً ودون أي شروطٍ وإنما سيفقدُ أعز ما يملك في هذه
الدنيا ، أسرته الصغيرة ، زوجته وابنه ومعلمه العجوز دكتور
شاكر ، ولم أستمع إلى جوابه حتى الآن ، فما قولكم ؟

تكلمت نحولة في هذه اللحظة وهي تنظر لطارق نظرة
حاملة وتقول :

من حقه أن نسمع دفاعه ، وماذا فعل ما فعل ؟

أشار إليه ذوبو قائلاً :

تكلّم أيّها البشري .

Sad صمت متربّع بعد عبارة ذوبو ، والجميع يتطلّع إلى طارق الذي رفع رأسه عالياً ، ثم فتح فمه الصغير ليروي بداية الحكاية ، وما هو السبب الحقيقي وراء تجربته الرهيبة ؟

المؤتمر العالمي للحشرات

مقاطعة وازينج ، تايلاند

اعتنى رجل وقور في العقد الرابع من العمر ، وافر الفواد والعنفوان ، منصة الحديث ، وتنحنح في خفوت قبل أن يبدأ حديثه قائلاً بإنجليزية سليمة :

- لقد خلق الله تعالى الكون متكاملاً متزناً ، لا ينقضه شيء .
خدم الكائنات بعضها البعض ، وتعيش في سلام دائم إلى أن تقوم الساعة ، ولكن يد الإنسان الآثمة عندما قررت أن تعيب في ناموس الكون ، قلبت الموازين ، وغيرت الأحوال ، فهلك من هلك ، وعاش من عاش ، ولكننا لو أمعنا النظر في وجهة نظر الإنسان ، لوجدنا فيها شيئاً من الصحة ، فهناك من الحشرات من يسبب أمراضاً في منتهى الخطورة على صحة الإنسان ، فعلى سبيل المثال ذبابة التسي تسى التي تسبب مرض النوم حتى الوفاة ، وكذلك الصراصير وما تسببه من أورام سرطانية ٢٦ ، أما البعوض فحدث ولا حرج ، التوفيليوس تسبب الملاريا ، وغيرها وغيرها من الحشرات الضارة والقاتلة ، وأنا من هنا أعلن موقف مصر من حملة مكافحة الحشرات الضارة على مستوى العالم ، بموافقة على وضع أيدينا في أيدي جميع الدول المشتركة في هذا المؤتمر ، للقضاء على هذا الخطير

الملقى، حتى نستطيع الاطمئنان على أبنائنا في أي بقعة من
يقاع الأرض ، أشكركم .

ضجّت القاعة بالتصفيق ، للعام المصري ولكلمته القصيرة
الخامسة ، والتي أوجز فيها كل ما يريد قوله ، ومن بعده
بعثه وفود باقى دول العالم ، حيث ألقى كل منهم كلمته ،
وفي النهاية وضعَت بنودُ الاتفاق على تكاتف دول العالم أجمع
أواجهة هذا الخطر الذى يهدد أبناءهم لعقودٍ كثيرة .

وفي نهاية المؤتمر، تجمعَ العلماء خارج القاعة الكبرى ،
وابتسם العامُ المصرى الوقور في وجه رجل آخر يماثله سناً وهو
أشعر كفهُ على فتى صغير لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره ،
ويحيط بذراعه الأخرى كتفاً امرأة جميلةٍ تبتسِم بدورها
ابتسامة هادئة وقورة ، قبل أن يقول :

- أشكرك على مجهدك الذى بذلته معى يا دكتور شاكر ،
لولاك ما كنت استطعت أن آتى إلى هنا وألقى كلمتي بين هذا
العدد الرائع من العلماء .

علّت حمرة الخجل وجّه شاكر مع هذا الثناء الذى ألقاه
عليه الرجل ، ثم قال :

- لا شكر على واجب يا دكتور تيسير ، الفضل يرجع للمولى
عز وجل ولعلمك الغزير ، الذى لم تبخُل به في يومٍ من الأيام

على أحد ، ومنهم أنا ، فأنت أستاذى ومعلمى .

- عمرو شاكر ، هل ستأتي معنا غداً لرؤية المدينة ؟

ألقى الفتى الصغير بسؤاله ، مقاطعاً حديث والده
الدكتور شاكر الذى ابتسم قائلاً :

- بالطبع يا طارق ، سنرى أجمل المناطق في تايلاند
وستتناولُ الغداء معاً أيضاً .

تهللَّتْ أساريرُ طارق لإجابة شاكر ، ثم نظرَ إلى والده
والدُّ رأسه مؤيداً لحديث صديقه الدكتور ، وتدخلَتْ زوجة
تيسير في الحديث في هذه اللحظة قائلةً :

- سيكونُ يوماً رائعاً بإذن الله .

انصرفَ الجميعُ إلى منازلهم وانتهى المؤتمر على خير ،
ونامتْ أعين تيسير وزوجته هناء وباتت عيناً طارق مستيقظة
طوال الليل ، ينتظرُ الغد وما يحمله من لحظات سعادة ، ولم
يكنْ يخطر بباله أن الغد لن يحمل له إلاَّ الألمَ الذى يحمل
كيانه بقلبه طوال حياته ، القادمة .

دان يوماً رائعاً بحق ، بدأ الفريق الصغير رحلته من الفندق الذي تم الحجز فيه من قبل الحكومة المصرية ، في قلب تайлاند ، بعد تناول الإفطار في المطعم المفتوح هناك ، قبل أن ينطلقوا إلى قلب المدينة بصحبة مرشد سياحي يجيد الإنجليزية بطلاقة .

اصطحبهم إلى أهم وأرقى الأماكن في العاصمة ، ثم من بينها أخذهم إلى أحد أهم وأشهر الأنهر في تайлاند نهر پاساك²⁷ ، في وسط المدينة والذي ينبع من مدينة دان ساي حيث يبلغ طوله 513 كم ، وعلى ضفاف هذا النهر الرائع انطلقت الزوارق البخارية البسيطة ، في تتابع وتناسق بديع يدل على براعة واهتمام الحكومة التایلانية بهذه المنطقة التي تعتبر من المناطق السياحية الهامة في هذه المدينة المتميزة .

اصر طارق على أن يستقل أحد هذه الزوارق ، ولم يتأنّر والده عن تلبية طلبه ، فاستقل هو والدكتور شاكر وزوجته وأبنهما الوحيد زورقاً واحداً ، لينطلق بسرعة متوسطة ، بخربعباب ذلك النهر الخالد .

وبينما يمر الزورق بإحدى المناطق التي تحفها الأشجار الكثيفة ، إذا بصرخة ألم تندفع من فم والدة طارق ، الذي

احتضنها بقوة وهو يقول بفزع :

- ماذا بك يا أمي ؟

ابتسمت في ألم وقالت وهي تمسك رقبتها وتضع أصابعها على موضع الإصابة :

- لا شيء يا حبيبي ، لا تخف ، أنا بخير .

في نفس اللحظة تعطل زورق شاكر ويسير بالقرب من قارب طارق ووالدته ، الذي ابتعد عنهم لأكثر من خمسين متراً ، أخرج تيسير هاتفه المحمول وطلب زوجته ، ليطمئنوا عليه وعلى دكتور شاكر ، لم تتأثر زوجته أن تقلقه وتخبره بما حدث لها واعتبرت ذلك حادثاً عارضاً ، مجرد لسعة حشرة أو فرع شجرة اصطدم بها ، وبينما هو يغلق الهاتف بعد أن اطمئن عليها ، إذا به يطلق آلة ألم خافتة إثر تعرضه للسعة هو الآخر من إحدى الحشرات ، تحول مكان اللسعة إلى بقعة حمراء كبيرة ، وخاصة عندما بدأ يحكها بقوة ، ومع شعوره بالوهن ، تحدث إلى شاكر وهو يغالب دواراً مفاجئاً :

- أعدني للفندق واتصل بهناه وطارق كي يعودوا على الفور

أطاع شاكر أوامره على الفور وهو يتصل بزوجة صديقه عمره ، ليجد هاتفها لا يستجيب على الرغم من رؤيتها لزورقا

على مرمى البصر ، تحدّث إلى قائد الزورق قائلاً :

- هل انتهيت من إصلاحه ؟

أجابه الرجل وهو يُديِّرُ الزورق ، فانطلق صوته يهدِّر في المكان بقوَّة ، ليتسمَّ الرجل وهو يقول :

- نعم ، لقد تمَّ إصلاحه .

أشار شاكر إلى زورق هناء وقال بسرعة :

- الحق بهذا الزورق على الفور .

انطلق الرجل بالزورق ، وما هي إلَّا دقَّيقَةٌ حتى لحق بالآخر ، قفز شاكر إلى زورق هناء ، ليجذَّها فاقدةً للوعي ودرجة حرارتها مرتفعة جدًّا ، أما طارق فقد رفع إليه عينين لسبحان في بحر من الدموع وهو يقول بحزنٍ عميقٍ :

- أنقذْ أمنِي ، إنها تحتضر .

نظر إليها دكتور شاكر ثم ألقى نظرة أخرى على رفيقه لوجده يُجاهِدُ كي لا يفقدَ وعيه والإعياءُ يبدو واضحاً جلياً على مُحيَّاه ، وهنا أُسْقطَ في يد شاكر ، ماذا يفعل لينقذَ حياة الجميع ، ماذا يفعل ؟

الأعراض أعراض انفلونزا ، ولكننيأشك في أنها حمى
الضنك . ٢٨

استمع دكتور شاكر باهتمام ، إلى عبارة طبيب الطوارئ ،
إحدى أكبر المستشفيات في تايلاند ، فقال وهو ينظر إلى تيسير
وهناء الواضح عليهما الإعياء :

- وما هو الحل يا دكتور ؟

ابتسם الطبيب ابتسامة روتينية ، ثم قال وهو يُداعب
شعر طارق الواقف بجانب شاكر ، ناظراً إلى والديه نظرة
زائفة حزينة :

- لا تقلق ، هذا الأمر يحدث كثيراً في بلادنا ، فقد يتلقى
أحد السياح لسعة نحلة أو بعوضة أو غيرها من الإصابات التي
تصيب الزوار ، تماماً كما يحدث في أي بلد تمتاز بالعديد من
البحيرات والأشجار الكثيفة ، سوف أعطيهم حقنتين سريعتين
لخفض الألم ، وسيتم وضعهم تحت الملاحظة لأربع وعشرين
ساعة ، وسيتماثلوا للشفاء سريعاً .

- ولو كانت إصابتهم حمى الضنك بالفعل ، فماذا نفعل ؟

أجاب الطبيب سؤال شاكر بسرعة :

- تتشابه أعراض المرض مع أعراض الانفلونزا ، من ارتفاع

في درجة الحرارة ، ورمح بالأنف ، وصداع ، إلا أنها تزداد
عليه في ألم شديد في الركبتين حيث يطلق على المرض اسم
(أبو الركب) ، كما أنها تؤثر تأثيراً شديداً على رُكِبِ الإنسان
ومفاصله ، فترة الحضانة من أسبوعين إلى ثلاثة بشرط استمرار
الأعراض²⁹ ، امفروض أنك تعلمُ هذا ، ألسْتَ عالماً من علماء
الحشرات وتعلمُ تأثيرَ لسع الحشرات على الإنسان ؟

أجاب شاكر سؤاله قائلاً :

- نعم أنا أعلمُ ذلك ، ولكنني لأول مرة أتعَرَّضُ لهذا الموقف.

هزَ الطبيبُ رأسه متفهماً ثم قال :

- على العموم ، وكما قلت لك سنضعهم تحت الملاحظة
لِيَوْمٍ كاملٍ ، ثم نحدد مصيرهم فيما بعد .

لم يزد على عبارته بكلمة واحدة وهو يغادر المكان ، تاركاً
شاكر في حيرة من أمره ، لقد استطاع أن ينقل صديقه وزوجته
إلى هنا بعد أن تحدث هاتفيًا بأحد أصدقائه في المدينة ، الذي
دلَّهُ على هذا المشفى القريب منهم ، فساعدَه سائقُ الزورق
البخاري على نقلهم ، وهناك قام الأطباءُ باللازم ، ولكن ما
الذي يخبيه القدر لهذه الأسرة الصغيرة ؟ هل يتركهم هنا
ويذهب ليباشر أعماله ؟ أم ينتظر حتى يطمئنَ عليهم وعلى
طارق ؟

جسم أمره بعد تفكير عميق ، فأخرج هاتفه النقال وأجرى مكاملة هاتفية مع المسؤولين عن المؤتمر ليخبرهم بما حدث ، وبأنه سيظل بجوار صديق عمره حتى يتماثل للشفاء ، ولأن اليوم كان آخر أيام المؤتمر ، فلم يرفض المسؤول التايلاندي طلب دكتور شاكر ، بل وقرر زيارة تيسير في المشفى غداً.

استقرت نفسه وهدأت روحه بعد هذه المحادثة ، ثم ألقى نظرةأخيرة على الزوجين قبل أن يصطحب طارق إلى الخارج ، ثم يدعوه إلى تناول الطعام خاصة أنه لم يذق طعم الزاد منذ الصباح ، ولكن طارق رفض أن يتناول أي شيء إلا بعد أن يطمئن على والديه ، وبينما ينفث شاكر دخان إحدى سجائره النفاذه ، وهو يفكر في هذا الحدث العارض ، إذا بالمرضة المسئولة عن متابعة حالة تيسير وهناء تندفع من حجرتها وهى تنادى على الطبيب المعالج بتوتر ، أتتها على الفور فأخبرته بأمر ما ، دخل على أثره إلى غرفة الزوجين المصريين ، وغاب لدقائق ، ثم خرج وهو يبحث عن شاكر بعينيه حتى وجده فأشار إليه ، فأتاه مهولاً وهو يقول :

- ما الذي حدث ؟

هز الطبيب رأسه في حيرة ثم قال :

- لقد تعرضا لعدة لساعات أخرى من نفس نوع البعوض

الذى أصابهم في المرة الأولى ، والعجيب أنَّ مكان الإصابة في نفس المكان الأول ، والأعجب هو كيف تمكنت هذه البعوضة من الدخول إلى هذا المكان المجهز على أعلى درجة ؟ سيتم اللهم الآن إلى العناية المركزة ، كما سيتم إجراء التحاليل والفحوص الازمة لهم ، وسيكونوا بخير إن شاء الله .

انصرف الطبيب ولم يترك لشاكر أيَّ فرصةٍ لإلقاء أيَّ أسئلةٍ أخرى ، تابع شاكر وطارق عملية نقل تيسير وهناء حتى استقرُّ بهم المُقام في إحدى غرف العناية الفائقة .

لم تتغير وقفة طارق وشاكر أمام زجاج الغرفة لأكثر من ساعة كاملة ، كان كُلُّ منهم يفكر بطريقة مختلفة عن الآخر ، طارق يفكر فيما آل إليه حال والديه ، لقد كان يعد العدة لهذه الرحلة منذ أكثر من شهر مضى ، سيدهب مع والده إلى المؤتمر ، ثم ينطلق إلى المدينة ليراهما ويستمتع بها عن قرب ، ولكن هكذا هي الأقدار ، تعدد دفاترك وتحسب حساباتك ، ولا يتمُّ أيُّ شيءٍ إلا بمشيئة الرحمن ، لم يكن يعنيه فقدانه لهذه الرحلة الفريدة من نوعها ولكن ما يعنيه الآن هو شفاء والديه ، وأن يراهم أمامه مرة أخرى في أحسن حال ، أما شاكر فقد انطلقت أفكاره إلى الأيام الخوالي مع صديق عمره دكتور تيسير ، ذلك الرجل الذي إذا ذكرت الرجولة ، ذكر اسمه ، رجل قلماً تجده في هذا الزمان ، صديق لصديقه ، يراعي الحقوق

ويؤدي مع عليه من واجبات ، جمّ الذكاء ، يحب وطنه و يخشى في الحق لومة لائم ، عاش معه شاكر أعواماً وأعواماً استفاد من علمه وخبراته الحياتية والعملية ، و

اتسعت عيناً شاكر عن آخرهما دهشةً وهو ينظر إلى جسد تيسير الذي استحال فجأةً إلى اللون الأحمر بأكمله قبل أن ينتفخ جانب رقبته ، في نفس موضع إصابته الأولى ، وينطلق منها سيلٌ جارف من البعض القاتل ، الذي اندفع بكل قوته إلى جسد هناء ليدخل في موضع إصابتها ، ويستقر بالداخل ، لشوانٍ قبل أن يخرج من الجانب الآخر لرقبتها ، ومعه المحرك الأساسي لجسمها ، الروح .

أما تيسير فقد نظر إلى جسد زوجته نظرة خاوية ، ودموعه تنطلق لتغرق وجهه وتحرق كرامته .

سقط طارق مغشياً عليه على الفور وهو يرى نهاية حياة والدته أمام عينيه ، لم تتحمل خلاياه الصغيرة هذا المشهد البشع ، الذي يشيب له الولدان .

أما شاكر فقد حاول دخول الحجرة ولكنها كانت موصدة برتاج إلكتروني متطور ، فانطلق ليخبر الممرضة في نفس اللحظة التي انطلقت فيها صافرات الإنذار تدوى في جميع أنحاء المكان ، وعندما دلفت الممرضة إلى الحجرة ، كان تيسير

يعالى من سكرات الموت ، ولكنـه تحـامل عـلـى نـفـسـه ورـفـع بـصـرـه
الـشـاـكـر وـقـال بـوـهـنـى :

- اعـتـنـى بـطـارـق .

سـقط جـسـدـه بـعـدـها عـلـى الفـراـش لـيـلـحـقـ بـزـوجـتـه إـلـى العـاـلـم
الـآـخـر ، تـارـكـاً حـمـلاً ثـقـيلاً عـلـى عـاتـقـ صـدـيقـ عـمـرـه ، الدـكـتـور
شـاـكـر .

- إنها ظاهرة فريدة من نوعها ، لقد أتَمْتُ كُلُّ بعوْضِهِ عملية تزاوجها داخل الرجل ، وعندما أتَمْتُ ما ترید انطلقت بعد ذلك إلى المرأة لتفقس بداخلها ، ثم انطلقت اليرقات بعد ذلك مفجراً جسد المرأة ومنطلقة إلى خارج المكان ولم يتم العثور عليها بعد ذلك .

- إنها لفاجعة كبرى ، لقد لقى واحد من أفضل علماء مصر مصْرَعَهُ ، ونحن هنا نتحدث عن هذه الظاهرة المميزة ونصفها بالفريدة ، رحْمَكَ يَا إِلَهِي .

- نحن العلماء نهتم بكل ما هو غريب وعجب ، تشير فينا التساؤلات ، ونسعى لوضع إجاباتٍ لهذه الأسئلة ، ثم تأس المشاعر الإنسانية بعد ذلك .

- بل أنتم لا تضعونها في الاعتبار من الأصل .

غادر دكتور شاكر مكتب رئيس قسم الحشرات بجامعة القاهرة بعد هذا الحوار الساخن ، الذي أجراه مع رئيس القسم ، بمجرد عودته إلى مصر بعد أن أصر على دفن رفيق عمره في تراب بلده ، كما كانت أمنيته طوال حياته ، وعندما عاد لعمله أخبر الجميع بما حصل ، الذين حزنوا حزناً شديداً على دكتور تيسير ، لحسن خلقه وطبيته مع الجميع ، وعندما نقل ما حدث إلى رئيسه في الجامعة ، خاب أمله في الرجل .

الفور ترك المكان على الفور حتى لا يُصاب بالغثيان ، وبينما يتناول طعام الغداء مع طارق سأله سؤالاً عابراً وبطريقة مباشرة :

- ماذا تريد أن تكون عندما تنهى دراستك يا طارق ؟

أجابه الصغير إجابة مباشرة على الفور وبدون تفكير :

- عالم حشرات .

لم يتوقع شاكر هذه الإجابة من الصغير ، ولكنه عندما نظر في عيني الصغير قرأ ما يعده من خطة محكمة للانتقام من قتلة والده ، الحشرات .



صَيْر



الفصل
الحادي
والعشرون



الفصل
الحادي
والعشرون

أطلق صيروف ضحكة عالية ساخرة ، جلجلت في أرجاء المكان بعد انتهاء طارق من حكايته ، مما أثار سخطه وتعاطف نحولة ، فهي الوحيدة التي أثر فيها كلام طارق ، أما باقي الحضور فقد كانت مشاعرهم متباعدة ، فالبراغيث والذباب والجراد والنمل ، سخروا من حديث ذلك البشري الذي جاء من عالمه كي ينتقم من كائناتٍ أرقى منه وأقدم على وجه الأرض ، أما البعوض فقد أثار حديث طارق قلقه وخوفه في نفس الوقت ، لقد استطاع بالفعل أن ينفذ جزءاً كبيراً من خطة الانتقام التي أعد لها طوال حياته ، فقد منع بالفعل الحشرات من التواجد في عالمه ، ولو لا العملية الانتحارية التي قام بها صيروف وجنوده الآليون ، بإتيانهم لطارق إلى هنا ومقايضته على كشف سر التجربة وإعادة الأمور إلى نصابها ، أو هلاك أسرته بالكامل ، لذهبت الحشرات في خبر كان ، ولكن البعوض بالذات له أثرٌ كبير في حياة طارق ، لقد كان هو السبب في وفاة والده ووالدته ، وحرمانه منهم طوال حياته ،

التي كرّسها للقضاء على البعوض ومن بعده باقى الحشرات

أنت ساذجٌ أيها البشري ، بل وغبيٌ أيضًا ، تعدد خللها للانتقام طوال حياتك ، ومن مَنْ ستنتقم ، من أحدِ أئمَّة هذا الكون ، من الحشرات ، لستُ أدرى كيف حصلت على شهادتك العلمية؟ ومن الذي أعطاها لك ؟ ألا تدرك حجم الكارثة التي أوقعت نفسك فيها ، وأوّلَتْنا معك ؟ دعني أذكرُ ببعض المُسلّمات التي من المفروض أنك تعلمها ودرستها سابقًا ، إذا اختفى النحل مثلاً سيهلك الجنس البشري بأكمله في خلال أربعة أيام⁽³⁰⁾ ، لانقضاء دورة حياته نهائياً ، ستُهلك معظم النباتات التي لا تعيش إلا على الحشرات ، مثل جاك في المقصورة واليودكا ، حيث جاك يستخدم الحشرات في نقل حبوب اللقاح الخاصة به إلى الأنثى قهرًا وبقوة السلاح ، أما اليودكا فتعمل عملية تبادل نفع مع الحشرات كي تنمو وتعطى الحياة للحشرات بدورها ، لو اختفت الحشرات ستنتهي حياة أكثر من 80 في المائة من النباتات ، مما سيعمل على نقص نسبة الأوكسجين وبالتالي نقص مُعدّلات التنفس عند الكائنات الحية ، وبالتالي سينتهي الجنس البشري⁽³¹⁾ ، راجع حساباتك مرة أخرى قبل أن تقوم بهذا العمل الجنوني .

كان هذا هو رد صيروف على حديث طارق الطويل ، فقد أطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يتكلم ويعطى طارق هذا

الدرس الذى يحمل الكثير والكثير من الحقائق المروعية ، ولكن طارق ردَّ على سخرية صirof بصفعةٍ هائلةٍ أطاحت بكرامته وأكرامه من حوله ، عندما قال عبارة واحدة فقط :

أنا على علم بكل ما قلته ، ولكننى أعددت العدة لكل

أى ..

Sad الوجوم قاعة المحكمة بعد عبارة طارق الحاسمة ، ونطلع إليه الجميع بلا استثناء ، متظرين منه الإفصاح عما يخفيه ، ولم يجعلهم ينتظرون كثيراً ، فقد تكلم على الفور قائلاً :

- النباتاتُ التي تحتاج إليكم سيتم حقنها آلياً ، عن طريق آلياتٍ صغيرةٍ تشبهكم تماماً ، أما بالنسبة لكم فأنتم موجودون بالفعل ، ولكنكم لن تدخلوا عالمي مرة أخرى ، الكائنات الوحيدة التي سأسمح بتواجدها في عالم البشرهى النحل والنمل لأن إفادتهم للبشرية أكثر من ضررهم .

لم تستطع نحولة منع ارتجافِ جسدها مع كلمات طارق التي أعطتها المفتاح السحرى للحياة مرة أخرى ، وبينما هي تتأمل ملامحه الوسيمة ، إذا بها تتذكر حلمها الذى رأت فيه طارق ينقذها من صirof بيديه العاريتين ، لقد وقعت في الحب وليس هناك بدائل إلا المزيد منه ، وجدت نفسها دون

أن تشعر تتمتم :

- أشكرك .

وعلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا هَمَسَتْ بِهَذِهِ الْعَبَارَةِ ، إِلَّا أَنَّهَا وَصَلَتْ
إِلَى قَرْوَنْ إِمْپَرَاطُورَ الصَّرَاصِيرِ بِكُلِّ وَضُوحٍ ، فَانْتَصَبَتْ فَوْقَ
رَأْسِهِ وَهُوَ يَلْتَفِتُ إِلَى نَحْوَةِ وَيَقُولُ غَاضِبًا :

- ماذا تقولين ؟

أَجَابَتْهُ امْلَكَةُ نَمْلِيسْ مَلْكَةُ جَمِيعِ قَرَى النَّمْلِ ، بِتَحدِيدٍ وَاضْعَفَ
- تَشَكَّرَهُ عَلَى كَرْمِهِ وَعَطْفِهِ .

اسْتَشَاطَ صَيْرُوفُ غَضِيبًا وَهُوَ يَسْتَمْعُ إِلَى تَعْلِيقِ نَمْلِيسْ ،
فَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ وَوَقَفَ عَلَى مَنْصَةِ الْمَحَاكِمَةِ وَقَالَ وَهُوَ يَشَرِّي
إِلَى طَارِقَ الَّذِي عَلَتْ شَفَتِيهِ بِابْتِسَامَةِ سَاحِرَةٍ زَادَتْ مِنْ غَضَبِ
إِمْپَرَاطُورِ الصَّرَاصِيرِ :

- كَرْمِهِ وَعَطْفِهِ !! هَذَا الْحَقِيرُ الْفَانِي ، سِيقْضِي عَلَيْنَا تَمَامًا
وَأَنْتُمْ تَشَكِّرُونَهُ ، الْآلَيَّاتُ سَتَنْتَهِي فَاعْلَيْتُهَا قَبْلَ أَنْ يَنْتَصِفَ
لِيلُ الْغَدِ ، وَبَعْدَهَا لَنْ نَرَى الْحَيَاةَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبْدًا ، أَمْ أَنْكُمْ
تَشَكِّرُونَهُ لَأَنَّهُ مَنْ عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْعَطْيَةِ بَعْدَ عُودِتُكُمْ لِلْحَيَاةِ مَرَةً
أُخْرَى ؟ دُعُونِي أَذْكُرْكُمْ أَنَّنَا اتَّفَقْنَا عَلَى أَنْ نَتَحَدَّ فِي مُواجِهَةِ
الْخَطَرِ وَلَا شَيْءَ دُونَ ذَلِكَ .

صمتت الملكتان تماماً بعد عبارة الإمبراطور ، والتفتَّ هو
إلى باقى الحشرات وقال :

- الحكم بعد المداولة .

تبادلَتْ نحولة ونمليس نظرة ذات معنى قبل أن تشيرَ كُلُّ
منهما إلى حارسها الخاص وتوجّها إلى القاعة الملكية مع باقى
الحشرات لتقرير مصير طارق ، الذى جلس أرضاً وهو ينظر إلى
لهورهم وعقله يُحدّثه بأن الأمور لا تبشر بخير .

استقرَّ رؤساء وقادة وملوك الحشرات في القاعة الفسيحة المجاورة لقاعة المحكمة ، كان أول من تحدث هو صيروف حيث اندفع قائلاً :

- هذا البشريُّ الحقير يظن أنه يُمْكِنُه إملاء شروطه علينا نحن عليه القوم ، وهو أسيرٌ بين أيدينا .

تكلم ذوبو في هذه اللحظة قائلاً بوقار :

- ما الذي تراه يا صيروف ؟

أجابه على الفور وكأنَّه كانَ ينتظِرُ هذا السؤال :

- مقايضة هذا المصري ، إما حياته أو حياة أسرته وعاليه بأسره .

ردَّدَتْ نهليس المقطوع الأخير من عبارة صيروف ، فالتفت إليها وقال :

- نعم عامله .

تدخل جوارد في الحديث قائلاً :

- ما هي خطتك يا صيروف ؟

أجابه قائلاً بغموض :

- السيطرة على عالم البشر .

لم تقنع إجابته الجميع ، فأكمل قائلاً :

- استطاع علماؤنا أمس ، إنتاج مادتين في منتهى الخطورة ، الأولى تعمل على إخفاء المباني والأجسام الحية ، وهذه التجربة لتشابه بل تتطابق مع تجربة البشري الذي أتيانا به إلى هنا .

قاطعته نحولة قائلة :

- إذاً فالامر لم يكن كما أخبرتنا ، من أن المصريَّ سيمُنْعِ
وجودنا ، وسنترَوْضُ للموتِ جوعاً .

هزَّ قرنِي استشعاره نافياً ثم قال :

- لقد تزامنت تجربتنا مع تجربة هذا المصري ، ولقد
نجحت تجربته ونفذها بالفعل ، ومنعنا من التواجد في عالمه ،
ولكنَّ علماءنا استطاعوا صنع آلات صغيرة تماثلنا في الشكل
ولكن تكوينها الداخلي عبارة عن تروس ومحركات صغيرة ،
لقد كان هدفه منعنا وهدفنا هو السيطرة على الأرض بأسرها ،
حيث ستنتطلق المرحلة الثانية القاسمة بعد يومين ولابد
من وجودنا معها لتحقيق الهدف وهما هو يمتنع عن إيقاف
التجربة ، وبالتالي القضاء على حلمنا .

تكلم يورغو في هذه اللحظة قائلاً وهو يمبل إلى الأمام

وينظر إلى قرنى صيروف :

- وما الهدف من إخفاء المباني وأجساد البشر ؟

تحرّك صيروف في المكان وأعينُ الجميع ترقب خطواته وتنتظر إجابته ، وقف فجأة في منتصف القاعة وقال :

- الانتقام ، كُلُّ كائنٍ حيٍّ مَنْ تعرَّضت عائلته أو فردٌ منها للموت على يد البشر ، وهو ذاهبٌ إلى عمله أو عائدٌ من مدرسته أو جامعته ، كم من أسرةٍ ذاقت طعم الحسرة والوجع على يد من لا يملكون مثقال ذرة من رحمة في قلوبهم ، وعندما امتلكنا زمامَ الأمور بات علينا أن نأخذ بثارنا وتكونَ الأرض بأكملها لنا ، لنُعيَّد بناءَها مرةً أخرى من جديد .

تحدث ذوبو في هذه اللحظة قائلاً :

- ولكنك تحرّكتَ وحدك أيها الإمبراطور ، ولم تأخذ رأينا قبل أن تقررَ مصيرنا .

التفت إليه صيروف وقال :

- كنت أعلم أنكم لن ترفضوا هذا العرض ، فتحركتُ على الفور متتجاوزاً التقاليد الروتينية التي ستعيق تقدمنا نحو المجد .

- وما خطتك القادمة ؟

لم يُحبْ صيروف سؤالَ نحولة على الفور ، بل نظر إلى سقف المكان وهو يفكر بعمقٍ قبل أن يقول :

- أولاً سنستغل الوقت المتبقى قبل نهاية فاعلية الجيل الأول من الآلات ، في إخفاء بعض الآثار الهامة في بعض الدول الكبرى ، الأهرامات في مصر ، تمثال الحرية في نيويورك ، ساعة بن جن في لندن ، برج إيفل في باريس ، لنرى ردود أفعال الجنس البشري ، في نفس اللحظة التي سنقايسُ فيها طارق على حياة زوجته وابنه بفتح الهواء أمامهم وإطلاق الأمراض والجرائم لتفتك بهم ، وكذلك معلمه وأستاذه شاكر والذي هو بالفعل ينتظر الموت الآن ، وبين أن يعطينا معادلة إنهاء تجربته ، والتي أعتقد أنه سيتنازل عنها شاء أم أبي ، من يوافق على خطتي يتفضل برفع يده .

رفع الجميع أيديهم بالموافقة على خطة الإمبراطور ، ما عدا نحولة ونجليس التي قالت :

- لم تخبرنا بعد عن المادة الأخرى التي أنتجها علماء قبائلك يا صيروف .

ابتسم ابتسامة غامضة ماكرة ثم قال :

- ستعرفينها عندما يحين وقت استخدامها يا عزيزتي.

وكانت عبارته هذه هي فصل الختام .

محكمة .

هبَ الحضور واقفين عند استماعهم لكلمة الحاجب ، احتراماً لسادة الحشرات ، الذين دلفوا إلى القاعة مرة أخرى واستقرروا على مقاعدهم الوثيرة ، قبل أن يتكلم صيروف قائلاً ببراءة موجهاً حديثه إلى طارق :

- بعد المداولة ومتابعة ما آلت إليه الأمور في جميع ممالك الحشرات ، من هلاك ودمار وتجويح وتشريد ملايين وملايين من أبنائنا وبناتنا وزوجاتنا والأخوة والأخوات ، كل هذا تسبّب فيه ذلك البشري الفاني ، بتجربته التي أدّت إلى كل هذا ، وإن استمرارها لفترة أطول من ذلك ، سيؤدي إلى نهاية جنسنا بالكامل من على وجه الأرض ، لذلك وبإجماع الآراء قررنا ما يلى :

- أولاً : يبوح العالم المصري بسر تجربته اللعينة ، والتي أسببت في ما تحدثنا عنه دون قيد أو شرط .

- ثانياً : في حالة رفض المتهم للمطلب السابق ، سيري عينيه نهاية زوجته وولده ومعلمه دكتور شاكر .

ألقي بالبيان ثم التفت إلى طارق ليرى تأثير تهديداته عليه ، ولكن طارق ظل صامتاً وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة ، جعلت صيروف يعتدُل في مقعده ، ثم ينتفض قرنا استشعاره

غضباً وهو يقول :

- حسناً ، لنرى تأثير هذه المشاهد عليك ، كما أتمنى أن تظل محتفظاً بهذه الابتسامة الساخرة للنهاية .

لم يزد على حديثه السابق بحرف واحد وهو يصفق بيديه ، لظهور على الفور ثلاثة أوراق شجر ضخمة في ثلاثة أركان من أركان القاعة الأربع ، تحولت إلى شاشات عملاقة ، أضاءت فجأة بضوء قوى مبهر ، هدأت حذتها قليلاً قبل أن تبدأ كل شاشة في عرض ما تحمله دوائرها الإلكترونية ، الشاشة الأولى عرضت كل ما مرّ به دكتور شاكر في الصحراء ، حتى وصلت إلى اللحظة التي انطلقت فيها العناكب الصغيرة تهاجم شاكر في نفس اللحظة التي كان جسده يهبط تدريجياً داخل رمال الصحراء المتحركة ، وتجمد المشهد فجأة واقترب عنكبوت على بعد سنتيمترات قليلة من رأس أستاذ العزيز .

بمجرد توقف الشاشة الأولى عما تعرضه ، بدأت الثانية تعرض ما يشهي الواقع ، وهنا انتبهت حواس طارق ، واندفعت كمية هائلة من الدم إلى خلايا مخه الرمادية ، وانتفشت كلياته بعنفٍ لتحت الغدة الكظرية على إفراز كمية هائلة من الأدرينالين في عروقه ، التي اشتعلت غضباً ، لتحرق جميع ذرات الماغنيسيوم³² في خلاياه ، وهو يشاهد نهاية آخر المخلوقات إلى قلبه ، زوجته وابنه الصغير .

- أمى إتنى جوعان .

نظرت نجوى إلى إياد بعطف وحنان وقلة حيلة ، ثم أدارت
سرها في المكان محاولة العثور على أي طعام يسد رمق صغيرها
الذى يتضور جوعاً ، منذ أتوا إلى هذا العام المخيف ، لم تجدْ
أى شيء يساعدها ويساعد صغيرها على مقاومة ألم الجوع ،
وينما يدب اليأس بقدميه القاسيتين قلبها ، إذا بصغيرها يقول
وهو يشير إلى شيء ما يقع في أحد أركان السجن :

- أمى ، انظري .

تبعت إشارته لتنقل دهشته إليها ، وهى ترى عجلًا صغيراً
يشتاق طعامه بهدوء وسكينة ، دون أن يشعر بهما ، فتبادلت
نظرة متساءلة مع صغيرها ، الذى ابتسם بفرح وقال :

- دعينا نذهب إليه يا أمى .

لم تنفذ أمه رغبته ، وذلك لأنَّ العجل الصغير ، هو الذى أتى
إليهما ، ومع كل خطوة يدنو بها منهما يزداد حجمه ، حتى
أصبح ثوراً ضخماً ، ينفث الهواء من منخريه بقوة وهو يتطلع
إليهما بتحفز واضح .

ارتجمت نجوى لمرئى الثور القوى ، وهى تحتضن إياد
لتحميءه من خطر غامض قريب .

تطلع الثور إليهما بنظرة خاوية قبل أن يلتفت إلى اليمين ليتحول الجانب بأكمله إلى مساحة خضراء شاسعة تتبعها فيها الأبقار بحرية وطلاقه ، وتجلس تحت بعضهن فلاحات جميلات تحبن اللبن بعنایة وبراعة ، مدّت إحداهن إلى نجوى وإياد إناناء مملوء باللبن ، اندفعت نجوى نحو الفلاحة لتأتي إناناء اللبن لابنها الذي يكاد يموت جوعاً ، حاول الصغير اللحاق بأمه ولكنَّ الثور اعترض طريقه ثم نظر إليه وهو ينفث الهواء في وجه إياد ثم يوليه ظهره ليختلط بالأبقار وأماشية التي تملأ المساحة الخضراء الكبيرة .

التقطت نجوى إناناء اللبن من الفلاحة الفاتنة ثم أشارت إلى ولدتها ، الذي تحرك نحوها بخطوات سريعة ، أعطته الإناء فرفعه على فمه وأخذ ينهل منه بنهم شديد وعيناهما تتباشأ بحنان بالغ .

- سأنطلق إلى المرأة ، وأنت عليك بالصغير .

نطق السوبر بكتيريا ● أحد أخطر أنواع البكتيريا القاتلة في العصر الحديث ، والتي تتواجد بكثافة بين الأبقار وأماشية بهذه العبارة وهو يتطلع إلى نجوى من خلال إناناء اللبن الذي يسبح فيه ، والذي يحمله الصغير ، الذي أعطى الإناء إلى والدته فرفعته إلى فمها ، وبدأت تتجزئ منه ما يسد رمقها ،

وهلأ معدتها ، وب مجرد أن تركت الإناء للفلاحة وهي تشكرها وللنـى عليها ، استقرت البكتيريا القاتلة بـأـمـعـائـهـا ، كما حدث مع إيهـادـ منـذـ قـلـيلـ ، وـلـأنـ كـلـ ماـ يـحـدـثـ غـرـيـبـ وـعـجـيـبـ عـلـىـ عـالـمـ البـشـرـ ، فـلـمـ يـكـنـ مـنـ الـعـجـيـبـ أـيـضـاـ أـنـ تـبـدـأـ أـعـراـضـ الـمـرـضـ عـلـىـ الـلـاثـيـنـ عـلـىـ الـفـورـ ، وـأـمـامـ عـيـنـيـ طـارـقـ بـدـأـتـ عـائـلـتـهـ الصـغـيـرـةـ عـانـىـ مـنـ الـآـلـامـ الرـهـيـبـةـ التـىـ قـسـبـهـاـ هـذـهـ الـبـكـتـيرـيـاـ القـاتـلـةـ ، فـيـ عـالـمـ بـعـيـدـ تـهـامـاـ عنـ عـالـمـ البـشـرـ .

لا أحد في الدنيا يستطيع أن يصف حالة الغضب التي أصابت طارق وهو يرى ويسمع البكتيريا تحدد مصير زوجه وابنه الوحيد ، وعندما شاهد بدأية ظهور الأعراض القاتمة عليهما ، توقف المشهد على الشاشة وتوقفت معه دقات قلب طارق ، الذي نظر إلى لجنة الحكم وخاصة صيروف وقال متوعداً :

- سأسحقك لو مسست شعرة واحدة من رأسهما .

انطلقت ضحكة صيروف الساخرة للمرة الثانية في قلب القاعة ، قبل أن يقول بحزن :

- شعرة واحدة ، يالك من ساذج ، إن رأسهما بالكامل بين يدي .

هب طارق من مكانه وقال وشفتاه ترتجفان من فرط الغضب :

- لو آذيتهم بأى شكل فلن تعود إليك حياتك الأولى أبداً .
تبادل قضاة المحكمة نظرة سريعة متفائلة ، ثم تكلم ذوبو بالنيابة عن الجميع قائلاً :

- جميل ، أخيرنا عن وسيلة إيقاف تجربتك ونحن نفرج عنهم حالاً .

وضع طارق يديه في خصره وقال بصرامة :

ـ وانتقامي لوالدى ووالدى ، لن أسمح بأن تذهب أرواحهم
هباء ، لقد أخبرتكم بعرضى ، ولن أتراجع في قراري ، النمل
والنحل فقط ، هم من سيمرون إلى عالمى ، ولن أزيد على
اللامى بكلمة أخرى .

ـ تكلم صirof في هذه اللحظة قائلاً بلهجـة قاسية :

ـ حسناً ، فلننتظر حتى تنتهى من مشاهدة ما تعرضه
الشاشة الأخيرة ، وبعدها أعتقد أنك ستغير رأيك تماماً .

ـ نظر طارق إلى الشاشة الأخيرة التي اشتغلت فور انتهاء
صirof من كلماته ، ومع بداية المشهد الذى تعرضه توترت
اعصاب طارق أكثر مما هي عليه الآن ، ومع مرور الوقت
السعت عينا طارق عن آخرهما ، فما يراه أمامه على الشاشة،
هو الدمار بعينه ، دمار عالمه وزمنه .



صَيْر



الفصل
الثاني
والعشرون





الفصل الثاني والعشرون

ساد التوترُ بين الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن في العاصمة نيويورك ، روسيا والصين والمملكة المتحدة والولايات المتحدة وأيرلندا ، وارتفعت همومات كثيرة تدل على الغضب والقلق في نفس الوقت ، وخاصة في حضور وفود العديد من الدول التي تعرضت في الفترة الأخيرة إلى هجمات كاسحة على يد أحد المصريين الذي أصبح هو حديث الساعة في الفترة الأخيرة في العالم بأسره ، ولأنه مصري ، فكان لا بدًّ من حضور الرئيس المصري لهذا المؤتمر ، باعتباره رئيس دولةٍ من الدول التي الضمت حديثاً مجلس الأمن باعتبارها عضواً غيرَ دائمٍ هناك .

بدأ رئيس المؤتمر الأمريكي الحديث مرحبًا بالجميع قبل أن يدخل في صلب الموضوع على الفور ودون أي مواربة قائلاً :

- لقد كان واضحًا منذ بداية الأمر أن الحكومة المصرية تعلم بما يفعله رجالها من أعمال تخريبية في بريطانيا ، ومن الواضح أيضاً أنها تريد أن تثبت للعالم أجمع ، أنها تستطيع اللعب

مع الكيان الصهيوني في أي مكان في العام ، وليس ذلك ~~ذلك~~
ولكنها تستطيع أن تهزم دولة إسرائيل على غير أرضها ، ثم تأتى
لدولة فرنسا والتي لها علاقات جيدة مع مصر حسب ما لديها
من معلومات ، ولكن أم الدنيا كما يقولون في الشرق ، ضربت
بعلاقاتها الجيدة مع فرنسا عرض الحائط ، وتم اختطاف وزير
الخارجية الفرنسي في قلب القاهرة ، دون أن توفر له بلد الأمان
والأمان أي سبيل لحراسته كما ينبغي ، وعندما حانت لحظة
الحساب ، والتوصل إلى حقيقة ما يحدث هناك ، ادعت مصر
وحكومتها أن ما يحدث ليس لها أي دخل فيه ، وأنه خارج عن
إرادتها ، وأن المسئولية بعاتقها تقع على العام المصري الذي
أثار سخط وغضب العام بأكمله ، ولكن هناك سؤال أحب أن
أوجهه للرئيس المصري الذي يشرفنا بالحضور هنا لأول مرة ،
 لماذا لا يكون كل ما يحدث من جانب العام المصري ، هو نتاج
تجريب علمية تريدون بها السيطرة على العالم ، وأنكم تباركون
خطواتها ولكن من وراء الستار ، حتى تحين اللحظة الحاسمة
وتعلنون فيها ما تخبيئه نفوسكم ؟

تنحنح الرئيس المصري ، ثم اعتدل وهو يقول بصوته
هادئٍ رخيم :

أعتقد أنَّ ما تقوله يفتقرُ إلى الأدلة والبراهين ، أولاً:-
لما نصنع كل ما تقوله والجميع يعلم مكانة مصر في الوطن
العربي والعالم ؟ مصر بها الكثيرُ من العلماء الذين لهم اليد
العلية على الكثير من علماء الغرب ، ثانياً :- أعتقد أن الجميع
شاهد ما تعرضت له بلادنا في الآونة الأخيرة من دمار علي يد
العام المصري طارق ، قبل أن يعلنَ في قلب المؤتمر الذي أقيم
في لندن وبكل صلفٍ ووقاحةٍ أنه يدينُ بالولاء لدولة إسرائيل ،
لم تصرفه الغريب بتفجيره للسفارة الإسرائيليَّة في بريطانيا
بعد تصريحه الغريب ، أما عن اختطاف وزير الخارجية
الفرنسي ، فقد تمَّ في قلب إحدى المستشفيات الخاصة هو
وبعض الدبلوماسيين المصريين بالإضافة لطارق أيضاً ، كل هذا
لا يحرك عقولكم ولو لقيد أملة كي تفكرون وتتحدون معنا مواجهة
هذا الخطر الغامض الذي سيأتي عما قريب على الأخضر
والبياض وستكون نهايتنا جميعاً .

رفع وزيرُ الخارجية البريطاني يده ليأخذ الإذن بالحديث ،
فأذن له رئيسُ المجلس ، فتكلَّمَ على الفور قائلاً :

- أعتقد أن بريطانيا من أكثر الدول التي تعرضت للخطر
الذي ذكرته ، لقد أثار تصريح عالمكم المصري بولائه لإسرائيل

حفيفة رجال السياسة في الشارع البريطاني، ثم أثار رعبهم وذعرهم عندما انفجرت السفارة الإسرائيلية في قلب لندن قبل أن يقضى على أي ذرة أمان في نفوسهم عندما استطاع الهروب من مركز الشرطة البريطاني الشهير اسكتلانديارد، هو ورجل المخابرات المصري، وعلى الرغم من كل ذلك فما مفوض من قبل حكومتي بالتعاون معكم لحل هذه الأزمة ولوقف ما يفعله هذا العام المصري، في أسرع وقت ممكن.

تحدثَ الرئيس الفرنسي على الفور بعد أن حصلَ على الإذن بالحديث من الرئيس الأمريكي :

- وأنا باسم حكومة فرنسا أضعُ يدي في أيديكم للقضاء على هذا الخطر الذي يهدد العالم وليس دولتنا فقط، وإرجاع وزير الخارجية الفرنسي بسلام.

شبّك الرئيس الأمريكي أصابع كفيه أمام وجهه والتقدّم نفساً عميقاً قبل أن يقول :

- وأنا باسم الحكومة الأمريكية أضعُ يدي في أيديكم لـ.....
- معذرة سيدى الرئيس، ولكن هناك أمرٌ خطيرٌ لابد أن تراه على شاشة التليفزيون.

نطق سكريتير مكتب الرئيس الأمريكي بهذه العبارة وهو يضع أصابعه على السماقة الصغيرة الموضوعة في أذنه اليمنى، التي تلقّى عبرها هذا الخبر الهام ، فالتفت الرئيس الأمريكي الجميع من بالقاعة إلى الشاشة الكبيرة التي تحتل مساحة كبيرة من الحائط المواجه للجميع ، في نفس اللحظة التي استغلت فيها الشاشة الكبيرة لتنقل هذا الخبر الهام الذي هز جميع أركان الولايات المتحدة الأمريكية ، لقد كانت المذيعة الأمريكية الشهيرة إيميلي واطسون تتحدث بانفعال وهي تشير إلى مكان فسيح أحاطت به جموع كبيرة من الشعب الأمريكي وغيره من شعوب العالم ، كانت الدهشة تعلو الوجوه والغضب يعلو وجوهاً أخرى أما الفزع والرعب فكان هو السواد الأعظم هناك ، ولم يكن حالهم أقل من حال جميع الرؤساء والوفود في قاعة مجلس الأمن ، لقد أعلنت المذيعة الشهيرة منذ قليل عن اختفاء تمثال الحرية الشهير من قبل أحد أكبر الموانئ في نيويورك ، وعندما أعلنت أن المشتبه فيه هو العالم المصري طارق لأن شهود العيان شاهدوه وهو يدخل إلى التمثال كزائر من الزوار قبل اختفائه بربع ساعة كاملة ، ومع هذا التصريح المخيف ، التقت العيون كلها على وجه الرئيس المصري الذي كان قاب قوسين أو أدنى من الفوز

بشقه الجميع ، فإذا به يتلقى صفعه هائلة من أحد مواطنه ،
فنكس رأسه أرضاً ولم يستطع أن يدافع حتى عن نفسه ، لـ
خسر المعركة ، وعلى غير أرضه .

* * *

تطلع طفل صغير في الخامسة من عمره إلى الرجل الوسيم
الجالس أمامه داخل الزورق الصغير المنطلق إلى تمثال الحرية
كعادته كل صباح ، حيث هو الوسيلة الوحيدة لزيارة هذا
المزار السياحي الشهير عبر المحيط ، كان الرجل يلاعب حاجبيه
الطفل الصغير ويداعبه ويلاعبه دون أن يمسه ، ويبدو أن
الرجل كان يعلم طبيعة الأميركيان جيداً في حذرهم البالغ من
الغرباء إذا ما حاولوا الاقتراب من أطفالهم ، ولكن الولد اندمج
في اللعب مع الرجل ، حتى أن والدته لم تتعرض وهي تراه قد
قام من مكانه وجلس بجوار الرجل الذي وضع ذراعه على
كتف الصغير وضمه إليه بحنان وهو يضغط كتفه بهدوء ، ثم
أخرج قطعة من الشيكولاتة وأعطتها للطفل ، الذي نظر إلى
والدته يستأذنها في أن يأخذ ما أعطاها له الغريب ، فابتسمت
أمه وهي تؤمن برأسه للصغير الذي فهم الرسالة على الفور ،
فأخذ الحلوي من الرجل وبدأ في تناولها بالفعل ، وبينما ينهمك
الولد في تناول حلواه تحدث الرجل إلى المرأة بإنجليزية تحمل
اللكرة الأمريكية قائلاً :

- أبقة الله لك .

ابتسمت المرأة وقالت :

- أشكرك ، من أي البلد أنت ؟ لا أعتقد أنك أمريكي
فعلى الرغم من إجادتك للغة الأمريكية إلا أن لهجتك تميل إلى
الشرق وليس الغرب .

بادلها الابتسامة ثم قال :

- أحبيكي يا سيدتي على قوة ملاحظتك ، أنا بالفعل لست
أمريكيًا ، أنا مصرى ، وفي زيارة إلى أمريكا ، واليوم قررت أن
أزوركم الشهير .

لم تكد المرأة تعلم أن الرجل مصرى حتى قفزت من مكانها
لتجلس بجوار ابنتها والسعادة تقطر من كلماتها وهي تهدى
يدها إليه وتقول :

- اسمى أكيرا ، هل أنت فعلًا مصرى ؟
صافحها الرجل بهدوء وقال وهو يترك كفها الرقيق :
- نعم مصرى ، واسمى طارق .

لقد تمنيت كثيراً الذهاب إلى مصر ، منذ كان يحكى لي
والدى عنها وعن أهلها والأهرامات وأبي الهول وغيرها من
الآثار التي تشير شهية أى باحث للآثار العربية .

نظر طارق في عينيها عندما انتهت من عبارتها وقال وهو يلتفت حوله :

- يُسعدني أن أستضيفك في مصر عند عودتي من بلادكم يا أكيرا، أنت وزوجك وابنكم ، بالمناسبة ما اسمه ؟

- اسمه (نوا) ، ووالده توفي في حادثة طريق ، ومن بعد وفاته وأنا أخذت عهداً على نفسي برعايته وحمايته ، وها أنا أحاول أن أuwضه عن فقدانه لوالده بالعمل على إسعاده بأى طريقة .

ظهرت علاماتُ الأسف على وجه طارق عند سماعه لخبر وفاة هذا الطفل الجميل ، فقال على الفور :-

- أنا آسف .

ابتسمت وقالت :

- لا عليك ، لقد كان هذا من فترة طويلة جداً ، عندما كان نوا في الثالثة من عمره .

- هل تسمحين لي بأن أكون رفيقاً لكما في هذه الرحلة ، كي أشتراك في محاولة إسعاد هذا الطفل الرقيق ؟

ظهرت ملامح السعادة على وجه اكيرا ولم يكن أمامها إلا أن توافق على مطلب طارق عندما رأت ابنها متعلقاً في ذراعه بسعادة واهتمام، فهزت رأسها موافقة على طلب ذلك المصري الذي أتي من آخر بلاد العالم، كي يكون سبباً في سعادتها ابنها الوحيد.

وصل الزورق إلى الميناء وساعد طارق اكيرا ونوا على النزول منه بسلام، ودخلوا معاً إلى التمثال الشهير وقامت هى بدور المرشد السياحي لذلك الوارد الجديد على بلادها، ولقد كان طارق يستمع لها بكل اهتمام وعيناه تجوبان المكان وتدرسان بعناية، وبعد صعودهم إلى رأس التمثال والذى منه تستطيع أن ترى مياه خليج مدينة نيويورك بكل وضوح، وقف طارق بالقرب من إحدى النوافذ العديدة في المكان ثم أشار إلى نوا أن يقترب منه فأطاعه الولد على الفور، ووقف أمام طارق ووجهه إلى والدته، في نفس اللحظة التي أخرج فيها طارق آلة تصوير صغيرة من جيبه وأعطها لأكيرا كى تصورهما، فالقطعتها منه ورفعتها إلى عينيها وفي نفس اللحظة التي همّت بالضغط على زر إطلاق الفلاش والإذن بميلاد الصورة الجديدة، ضغط طارق على كتف نوا الأيسر لتشاهد الأم مشهدأً لن يمحى من ذاكرتها طوال حياتها، لقد تحول طارق ونوا في لحظة

الى مجموعةٍ هائلةٍ من الحشرات المختلفة الأشكال والأنواع،
المطلقة في كل مكان من رأس تمثال الحرية ، على الحوائط
والجدران وحتى الزجاج ، كانت كُلُّ حشرة زاحفة أو طائرة
أخرج من فمها الدقيق مادةً بيضاء اللون ، تذيب المكان الذي
تطف في فيه تماماً ، وما هي إلَّا دقائق معدودة ، حتى كان رأس
التمثال في خبر كان ، وفي غضون خمس عشرة دقيقة كان
الأثر الأشهر في نيويورك والذي يبلغ ارتفاعه 93 متراً ويزن
125 طناً ، غير موجود على الخريطة ، وعند وصول قوات
الأمن وقوات مكافحة الإرهاب وشرطة السياحة إلى المكان لم
يجدوا أى شيء يشير إلى وجوده ولا إلى وجود زواره ، وأمام
هذا المشهد الرهيب لم يجد الأميركيان إلا أن يقولوا ، لكِ اللهُ
يا أمريكا ، إنها النهاية ، نهاية العالم .



عَيْد



الفصل
الثالث
والعشرون





الفصل الثالث والعشرون

- دائرة وستمنستر .

انطلق سائق التاكسي بعد أن علم وجهة الراكب الإنجليزي غريب الأطوار الذي أشار إليه منذ قليل بالتوقف ، لم تكن هذه المرة الأولى التي يركب معه زبائن لهم تصرفات غريبة ، فهو يتذكر ذات مرة عندما ركب معه رجل مسن ، اشتعل رأسه شيئاً ، أخذ يعبث به طوال الطريق ، ثم يعبث بمقعد السيارة ، ويعاود العبث مرة أخرى بشعره ، كان هذا هو ديدنه طوال الطريق ، وغيره الكثير والكثير ، ولكن هذا الرجل مختلف ، لم يتفوّه بأي كلمة منذ ركب معه ، لقد ظل ينظر إلى الطريق طوال الوقت ويوليه عنايته ، وعندما حاول السائق جذبه إلى أي حديثٍ جانبي ، لم يجاري في الحوار ، بل لم يتحدث إليه من الأصل ، حمد السائق الله أن دائرة وستمنستر ليست بالبعيدة، وأنه لن يحتمل الرجل لأكثر من دقيقة واحدة ، وصل بعدها إلى المكان ، فنقده الرجل أجراه ، وهو يهبط من السيارة ، التي اندفع بها السائق مغادراً لميدان متربماً ، وهو

يلعن هذه المهنة التي جعلته يقابل جميع صنوف البشر .

أما الرجل فقد وضع يديه في خصره وهو يقف في وسط الميدان ، وهو يتطلع إلى ساعة بج بن العملاقة التي تعلو دير القديس استيفان ومن حولها مبني البرطان في الجزء الشمالي من المكان .

انطلقَ في هذه اللحظة جرس الساعة بدويٍّ هائلٍ ، معلناً تمام الثانية مساءً ، ليبيتسَمَ الرجلُ في سخرية قبل أن يأتي بأمر غريب ، فعلى الرغم من أن الرجل كان يرتدي حلة كاملة ورابطة عنق زاهية الألوان ، إلا أنه بدأ يدور حول الساعة وحول مبني العموم البريطاني ، مرة ثم أخرى بسرعة متوسطة قبل أن ينطلق ليعدو بسرعة كبيرة ثم أسرع وأسرع ، ليتفوق على أعظم عدائِي العالم ، لهذا العام .

توقف الناس في الشارع يتبعون هذا التصرف العجيب الذي لم يشاهدوه مثله من قبل ، ولأن الشعب البريطاني من الشعوب المسالمَة ، التي تراعي التقاليد والعادات ، فقد كان ما يشاهدونه شيء شاذ ، على المجتمع البريطاني بالكامل ، ولكن دهشتهم تعاظمت حتى بلغت عنان السماء ، عندما بدأت ملامحُ الرجل في التغير ، فلم تعد تشبه ملامحَ البشر من قريب أو من بعيد ، في البداية زاد عدد قدميه إلى أربعة أخرى

ليصبح له ستة أرجل رفيعة ، ومن جانبى ظهره ، نبت جناحان
كبيران ، يرفرفان في الهواء بقوة ، أما رأسه فقد اختفت تماماً
لتحل محلها رأس بعوضة كبيرة الحجم ، زادت سرعتها حتى
لخطت سرعة الضوء ، ومع ارتفاعها عن الأرض ، أخذت تدور
حول المكان وهي تلمس مبنى البرمان والساعة الشهيرة ، ومع
كل جزء تلمسه البعوضة كانت معامله تتغير ثم تختفى تماماً،
ولأن الأمر حدث بسرعة وبطريقة مباغطة ، فلم يستطع أحد
من رجال الأمن المحيطين بالمكان بالتدخل لإنقاذ الأثر الشهير
والمبنى الحكومي ، ومع آخر دورة من دورات البعوضة ،
اختفت الساعة ومعها البرمان تماماً من المكان ، وعندما رفع
رجال الأمن أسلحتهم لمطاردة هذا العدو المجهول ، لم يجدوا
له أي أثر في سماء لندن ، ذلك الذي كان يأخذ سابقاً هيئة
رجلٍ من أهم رجال المكتب الخامس ، رجل يدعى أوليفر
ستيورت .

- قطعة استيك ، وزجاجة شمبانيا .

ذهب النادل الفرنسي لتنفيذ ما طلبه ذلك الرجل الوسيم
الذى يجلس داخل مطعم لو جان فيرن ، أحد أرقى المطاعم
في قلب العاصمة الفرنسية باريس ، والذى يقع بالتحديد
في الطابق الثانى من برج إيفل الشهير على ارتفاع 115 متر
تقريباً .

كان ذلك الرجل هو ضابط المخابرات الفرنسي أنطوان دي
شامب ، الذى وجد نفسه فجأة أمام برج إيفل الشهير ، وشيء
ما بداخله يأمره بالصعود للطابق الثانى وبالتحديد في هذا
المطعم الشهير ، الذى يأتيه السياح من جميع أنحاء العالم
لشهرته داخل البلاد وخارجها .

لا يدرى كيف جاء إلى هذا المكان ، آخر ما يذكره هو
حديثه مع إمبراطور الصراصير ، والذى انتهى بقوله الحازم
الصارم :

- سياتي دورك .

لم يدرك معنى هذه العبارة وقتها ، ولكن بما أنه في هذا

المكان ، فهو مُكَلْفٌ بأمر ما ، أمر لا يعلم ماهيته ، هل فيه
بيانه للوطن ؟ أم مصلحته ؟

الأمور لم تعد كما كانت ، غريزة الشعور بالخطر التي تربى
عليها في جهاز المخابرات الفرنسية ، تخبره بأن ما مضى لن
يساوي مثقال ذرة مما هو قادم ، لقد رأى في هذه العملية
من عجائب وغرائب ما لم يراه طوال حياته ، أمور كثيرة تفوق
قدراته وإمكانياته ، على الرغم من استخدامه للتكنولوجيا
الحديثة والتي تهتم بها فرنسا أشد اهتمام ، ولكن على الرغم
من ذلك ، فهو يفتقد إلى أهم شيء يعتمد عليه أي جهاز
مخابرات في العالم ، المعلومات ، والتي من غيرها ، يشعر رجل
المخابرات بالعجز حتى ولو امتلك كل أسلحة الدنيا ، لقد ..

قطع أفكاره وصول النادل بما طلبه من طعام وشراب ،
فابتسم ابتسامة مجاملة ، والنادل يضع آخر الأطباق أمام
أنطوان ، ثم ينحني بأدبي أمامه قبل أن ينصرف ليلبى نداء
زيون آخر .

التقط رجل المخابرات الشوكة والسكين ثم شرع في تناول
طعامه ، لقد شعر فجأة بحاجته لتناول الطعام بمجرد تواجده

داخل هذا المطعم الشهير ، قطع اللحم بالسكين إلى نصفين وهو ينظر إليه متلذذاً ، قبل أن يتركه فجأة وهو ينظر إلى الفراغ الذي أحدثه في قطعة اللحم ، لقد قفز من بين ثنايا اللحم صرصورٌ صغيرٌ الحجم ، والعجيب أنه ما زال حيّاً على الرغم من سخونة قطعة اللحم ، لم يهرب الصرصور كطبيعة بني جنسه بل وقف في منتصف الطبق وانتصبت قرون استشعاره فوق رأسه كطبق إرسال صغير ، ثم أخذ يتلفت حول نفسه وكأنه يبحث عن شيءٍ ما ، ثم عاد إلى قطعة اللحم مرة أخرى ، واختفى تماماً .

لم تتحمل معدة أنطوان هذا المشهد المقزز ، فتقىءاً في الطبق الذي أمامه ، ثم أرجع رأسه للخلف وهو يمسك ببطنه متآماً ، ولكن ما جعل عينيه تتسعان رعباً ودهشة هو خروج مئات الصراصير من الطبق الذي أمامه ، اتجهت بأكملها إلى المطبخ ، وغابت هناك لخمس دقائق كاملة ، وعندما بدأ أحد الزبائن في تناول طعامه الذي أتي به النادل حدثَ معه نفسُ ما حدث مع أنطوان ، ثم زبون ثالث ورابع ، حتى أصبحَ المطعمُ بأكمله يُعجِّ بهذه الكائنات التي تثير الغثيان .

طلت تتحرّك الصراصير في هذا الطابق لدقّيقة واحدة ثم
انتقلت إلى الطابق الذي يليه ثم الطابق الأخير ، وفي النهاية
عادت إلى الطابق الأول ثم إلى الشارع قبل أن تختفي تماماً ،
ويختفي معها ذلك الأثرُ الفرنسي الشهير ، الذي كان يُعرف
باسم ، برج ايفل ، سابقاً .

* * *

- حسناً أريدُ هذا الجعران .^{٣٤}

ابتسم البائع الكهل في وجه السائحة الفاتنة التي أخذت تعبث بالقطع الأثرية المقلدة الموضعة أمامه على منضدة متوسطة الحجم أمام المتحف الصغير الموجود بمنطقة الأهرامات .

أعطى الرجل الجعران الصغير للسائحة التي نقتته إمالة وفوقه نفحة أخرى ، وضعها الرجل في جيبه ، وابتسماته تتالق على شفتيه ، لقد باعَ اليوم أكثرَ من نصف بضاعته ولم تستقرِ الشمسُ بعدُ في كبد السماء ، لم يحدثُ هذا منذ فترة طويلة ، ولكن عندما يريد المولى أن يُعطيك فلن تستطيع الدنيا بأسرها أن تمنع عطاءه ، استمرَ الحال لساعةٍ أخرى ، وعندما انطلق أذانُ الظهر كان العجوزُ قد جبرت بضاعته بأكملها ، وبينما هو يحمد الله على عطياته إذا بصرخةٍ قويةٍ تنطلق في الصحراء ، تبعتها عدةٌ صرخاتٌ مختلفة من أكثر من مكان ، أخذ يبحث بعينيه في المكان كي يحدد مصدرَ الصرخات ، ولكن نظره الضعيف لم يسعفه ، فاللتقط عويناته الطبية من جيبه ووضعها على عينيه ، ثم عقد حاجبيه وهو يحدق في المشهد

الذى أمامه ، التى لم تحتمل هذا المشهد المروع فارتقت
حتى لامست منابت شعره الأبيض الكثيف .

فعلى بعد خمسين متراً من الرجل شاهد الجعارين التى
ياعها تدب فيها الحياة ، ثم تشب من جيوب أصحابها إلى
الارض قبل أن تهاجمها بشراسة ، ومع تداخل الصرخات ما بين
خائف مذعور وبين من يلفظ أنفاسه الأخيرة بعد أن غررت
الخنافس مخالبها في عنق السياح وأسالت دماءهم أنهاهاً ،
انطلقت عدة رصاصات سريعة ، قتلت على بعضها على الفور ،
ولكن مع نهاية حياة كل واحدة منهم ، كانت أخرى على قيد
الحياة تنقسم إلى اثنين ، ليتضاعف العدد في متتالية حسابيةٍ
سريعةٍ ، ولكن صاحب الرصاصات لم ييأس ، لقد واصل إطلاق
الرصاص بلا هوادة وبإصرارٍ عجيب وكانَ مُسدسٌ مخصصٌ
لهذا الشأن فقط .

مع ارتفاع دوى الرصاصات وترددِها في المكان بصدى
صوتٍ قوى ، انطلقت شرطة السباحة للمكان ، للزود عن
السباح ، وإيقاف إطلاق النار ، ولكنَّ الخنافس اندفعت
بكثافة تهاجم عالم البشر ، فغررت مخالبها في إطار سيارات

الشرطة ثم انقضت على أعناقهم لتفصلها عن الأجساد ، قبل أن تحك أجسادها بقوه في خزانات البنزين لتشتعل السيارات، ثم تنفجر بصوت قوى يضم الآذان .

تدافع السياح مغادرة المكان والنجاة بأرواحهم من هذا المكان الملعون ، والذى كان سابقاً من عجائب الدنيا السبع ، أما الآن فأصبح لا يحمل إلا اللعنة والموت تحت كل حبة رمل من رماله الصفراء .

خلا المكان تقرباً من السياح والباعة المنتشرين في المكان ، ولكنه لم يغادر مثلهم ، فمنذ فتحت عينيه على الدنيا وهو لا ينسحب أبداً من أي معركة ، فعلى الرغم من أنه وجد نفسه فجأة في هذا المكان المأثور بالنسبة له ، والذى يعيش قرابة البلد التى يمثلها هذا المكان ، إلا أن صوتاً قوياً بداخله دفعه إلى هنا ومعه سلاحه ، لا يدرى لماذا ، ولكن عندما شاهد هذه المذبحة بأم عينيه ، علم أنه مكلف بمهمة ما ، ألا وهي التخلص من هذه الحشرات القاتلة ، وخاصة عندما اندفع عدد كبير منها لهاجمته ، واندفع أضعافه للأهرام الثالثة ومتثال أبي الهول .

غطَّ الخنافسُ الأهرامات الثلاثة تماماً والتمثال الذي ظلَّ
يتطلُّ إليها طوال سبعة آلاف سنة ، ثم بدأت في إفراز مادة
حارقة كطبيعتها عندما تدافعُ عن نفسها ^{٣٥} ، من عدو غادر ،
وبينما يقاومُ رجلُ المخابرات المصري أحمد نعمان جحافلَ
الجعارين التي تهاجمه بشراسة ، إذا بالأهرامات الثلاثة تبدأ
بالانصهار ومعها تمثال أبي الهول ، وفي خلال دقيقتين فقط
اختفت إحدى الشهادات الموثقة على حضارة مصر القديمة ،
ومعها هيبة الدولة بأكملها .

فغرَّ أحمد فاهُ أمام هذا المشهد الرهيب ، في نفس اللحظة
التي استغلَّت فيها إحدى الخنافس هذه الفرصة الذهبية ،
وقفزت ل تستقرَّ في حلقه لتتبعها العشرات والعشرات بسرعة
كبيرة ، حتى أنَّ رجلَ المخابرات المحنك ، لم يملك الفرصة للدفاع
عن نفسه ، ومع استقرار الخنافس بِأمعائه ونهشها لجدارها
بشراسة ، اتسعت عيناً أحمد من فرط الألم وهو يلفظ أنفاسه
الأخيرة وعيناه تستقران هناك ، عند الموضع الذي كان يحوي
الأهرامات الثلاثة ، سابقاً .

عنبر



الفصل
الرابع
والعشرون





الفصل الرابع والعشرون

- سيدى ، هل سنترك الأمور تسير على هذا المنوال دون أن
لتتدخل ؟

استمعَ رئيسُ الوزراء الإسرائيلي إلى سكرتيره الأول بهدوءٍ
يختلف تماماً عن طبيعته العصبية التي اشتهر بها بين أقرانه،
قبل أن يعتدل في مقعده ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه
ويقول :

- ما رأيك أنت يا عزيزى ؟

تنحنح السكرتير في مكانه وتلعثم قليلاً ، وهو يفكّر في
إجابة لسؤال رئيسه المباغت ، ثم قال فجأة وكأن الإجابة
سقطت عليه من السماء :

- نشجب ونستنكر ونهدد ، ثم نسحب سفيرنا من مصر،
وبعدها نفرغ طاقتنا وغضبنا في الشعب الفلسطيني كى نشفى
غليلنا .

زمَّ رئيسُ الوزراء شفتيه في عدم رضا ثم أطلق تنهيدة قوية
وهو يمبلُّ إلى الأمام ويقول :

- استمع إلىَّ جيداً يا عزيزى ، لعبة السياسة ، لعبة خطرة ،
خبثة ، يجب أن لا تخوض عينيك وأنت بداخلها وإنْ لَن
 تستطيع فتحهما مرة أخرى ، لقد تمَّ تدميرُ السفارة الإسرائِيلية
 في قلب لندن وراح ضحية هذا الحادث سفيرُنا والذى كان
 صديقاً شخصياً لي ، بالإضافة إلىَّ رجل مخابرات محنك ، كل
 هذا بسبب أحد العلماء المصريين الذي ادعى أننا من نتول
 رعايته ورعايته اختراعه العجيب ، ولقد تعجبَ العالمُ بأكمله
 من رد فعلنا تجاه هذا الحادث الأليم ، لقد تعمدنا الصمت ،
 ذلك الذي يخفف الجميع ، يجعلهم يفكرون ويضربون أخماساً
 في أسدادس ، يتوقعون الأسوأ دائمًا ، كل ما فعلناه هو مؤتمر
 كبير ، نعيينا فيه شهدائنا ، ولم نعلن عن أي رد فعل ، تجاه
 هذا الحادث ، في نفس الوقت الذي كانت فيه أمريكا تعقد
 جلسة طارئة من جلسات مجلس الأمن ، بحضور مصر لأول
 مرة ، ثم إلقاء التبعة بأكملها على أجهزتها الأمنية ، وتحميلها
 مسؤولية الحادث ، ولقد لعب القدر لعبته ، ووقف في صفا ،
 عندما تسبب عاملهم المصري في تدمير وإخفاء تمثال الحرية ،
 في توقيت ممتاز ، وبينما رئيسُهم يحاول تفسيرَ موقف مصر
 من انفجار السفارة الإسرائِيلية ، إذا بأتبعاه يمحون ذلك الأثر
 الأمريكي من الوجود ، تخيل أنت رد فعل الحكومة الأمريكية

من هذا الموقف .

ابتسم السكرتير ، وهم بالتعليق على حديث رئيسه ، عندما اقتحم السكرتير الثاني الحجرة على نحو مُنافٍ لأبسط قواعد الذوق ، وهو يلهث بشدةٍ ويقول :

- سيدى ، تابع القناة الأولى فوراً .

هم رئيس الوزراء بالتقاط جهاز التحكم عن بعد ، فسبقه إليه السكرتير وضغط زر التشغيل على الفور ، ليبدأ التلفاز في البؤح بما لديه من أسرار ، فعلى مرئي وسمع من الجميع كانت شاشة التلفاز تنقسم إلى أربعة أقسام لعرض أربعة أماكن مختلفة من العالم ، وما يحدث بها ، أمريكا وارتفاع قمثال الحرية ، فرنسا وارتفاع برج إيفل ، لندن ومحو ساعة بن ومجلس العموم البريطاني من على الخريطة ، وأخيراً مصر وارتفاع الأهرامات الثلاثة وتمثال أبي الهول .

تبادل الثلاثة نظاراتٍ حائرة ، وفي عقولهم دوّت عباره واحدة في نفس الوقت ، لتنتفق تماماً مع ما يشاهدونه على التلفاز .

إنها نهاية العالم .

وكم كانت عبارتهم صادقة وحاسمة .

ما قولك النهائي؟

رفع طارق رأسه إلى صيروف والدموع تملأ عينيه ، حسرة على ما حدث في هذه البلدان الآمنة ، ثم قال بصوٍ متحشرج

- لماذا؟ ما ذنب هذه الأرواح التي أزهقت؟

أجابه صيروف وهو يتراجع في مقعده ويقول :

- أنت السبب في كل هذا ، بإمكانك أن تعيد الأمور إلى نصابها مرة أخرى .

عقد طارق حاجبيه وهو يقول :

- كيف هذا؟

أجابه صيروف مرة أخرى قائلاً :

- لا تشغل بالك بهذا ، كل ما عليك هو أن تخبر علماءنا بكيفية وقف عمل تجربتك ، وإلا سترى العذاب ألواناً.

أشار طارق إلى الشاشة التي توقفت على مشهد وفاة زوجته وابنه والأخرى التي توقفت على مشهد شاكر والعناكب تنقض على رأسه ، وقال :

- وما الفائدة وعائلتى انتهت ، وانتهت معها حياتي؟!

- لا لم تنتهِ بعد ، أعلن هزيمتك أمام الجميع ، وستعود
إليك عائلتك .

هزْ طارق رأسه غير مُوافقٍ لحديث صировف وهو يقول :

- أنا لا أثُقُ بالقتلة .

انتفض صировف في مقعده ، وهو يتبادل النظرات الغاضبة
مع الجمع الغير المحيط بالقاعة الملكية ، ثم يلکز نمليس
وذوبو وهو يقول :

- نحن القتلة ! ألا تدرى ما فعلته بنا وبقبائنا حتى الآن ؟
لقد زادت نسبة النيتروجين في أجسادنا لعدم إخراجنا للفضلات
منذ منعت ظهورنا في عالمك ، مما أدى إلى نقص هذه النسبة
في النباتات التي تعتمد عليها في حياتها^{٣٦} ، وهذا بالتبعية أدى
إلى هلاك بعض النباتات على وجه الأرض ، وهذا هو السبب
في حالات الإغماء الغامضة التي انتشرت هذه الأيام بين البشر ،
لنقص نسبة الأوكسجين هناك ، وما هي إلا أيام قليلة وتنتهي
الحياة البشرية بأسرها .

لوح طارق بذراعه في ضجر وقال :

- الجزء الثاني من التجربة سيعالج كل هذه السلبيات .

انفجرت قبلة من الصمت ، داخل قاعة المحكمة ، مع

عبارة طارق القاصمة ، ولكن صيروف قمالك أعصابه بسريره
و قال :

- مازال العرض سارياً ، تتنازل عن التجربتين ، وستعود
الأمور إلى ما كانت عليه مرة أخرى .

تطلعت جموعُ الحشرات بأنواعها المختلفة ، إلى طارق
تنظر إجابته التي ستحدد مصيرهم وبقاءهم في هذه الدنيا
من عدمها.

أما طارق فقد عاد بذاكرته للوراء ، لأكثر من خمسة
وعشرين عاماً ، منذ كان في الثانية عشر من عمره ، عندما
شاهد وفاة والده ووالدته القاسية ، يومها أقسامَ أمام جسديهما
أنه لن تضيّع دماهُما هدراً ، وسيجعل الكون بأسره يدفع
الثمن ، ثمن حرمانه من حنان الأب والأم ، ليقضي بقيّة حياته
في كنف رجل آخر ، تذكر تعليمه في المرحلة الثانوية ، ثم
إصراره على دخول كلية العلوم على الرغم من مجموعة الكبير
الذى يؤهله لدخول كلية الطب بكل أريحية ، ثم دخوله
قسم الحشرات لتحقيق الحلم ، الذى عاش طوال حياته يزيد
اشتعال جذوته ، في نفسه ، حتى أصبح أتوناً مشتعلًا ، ليل
نهار ، ابتسם في قراره نفسه عندما تذكري زواجه وفرحته بأول
مولود ، والذى أصرّ على تسميته باسم إiad ، ليكون سعيدة

الذى يعتمدُ عليه في المستقبل ، ثم اتسعت ابتسامته عندما وضع الخطوط العريضة لاختراعه الذى بات يحلم به طوال حياته ، وعندما نجح الاختراع كاد يطير من الفرحة ، لقد اقترب من خط النهاية ، وعندما بدأ تنفيذه بالفعل ، ومنع الحشرات من الدخول لعامله ، هدأت نفسه واستقرت ، يتذكر يومها زيارته لقبر والده ووالدته ليخبرهم بأنه انتقم لهم من القتلة ، وأجبرهم على السجن مدى الحياة ، ولكن الحال تغير تماماً عندما تم أسره هنا ،وها هو يوضع في خيار صعب إما حياة من يحب أو حياة من يكره ، وهنا رفع رأسه إلى صيروف وذوبو وغليس ثم قال بانكسارٍ وبلهجةٍ مَنْ حَسَمَ أَمْرَهُ واتخذ قراراً لا رجعة فيه :

- أوفق ، لقد انتصرتم .

وانتصرت الحشرات في هذه الجولة ، مؤقتاً .

دخل طارق معمل مملكة الصراصير بخطوات واهنة متعرّة ، ترقب عيناه كل سنتيمتر في المكان ، ولقد كانت دهشته عظيمة عندما استقبله عالم كهل ، اقتلع الزمان ما بجسده من خلايا ، ولم يترك له إلا ما يعيش به أيامه الباقية في هذه الدنيا الفانية .

تحسّس العجوز وجه طارق بقرني استشعار جاز عليهما الزمان ، ثم ابتسם وقال بعريّر قوى :

- مرحباً بك في معملى المتواضع ، اسمى صور ، أحد أهم علماء المملكة .

badle طارق الابتسام وقال :

- طارق ، أول بشري يدخل إلى عالمكم .

لُوح صور بذراعه وقال وهو يولي طارق ظهره :

- ليست هذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها بشري إلى عالمنا ، لقد حدث هذا كثيراً قبل ذلك .

عقد طارق حاجبيه وقال متسائلاً :

- كيف هذا ؟

انتصب العجوز واقفاً وقال :

- عندما كان البشر يطاردوننا ، ويعملون على تشريد أهالينا وشعبنا ، سواء كان بأسلحتهم الخاصة أو الكيماوية ، ما أقصده أن ما يدخل إلينا هو شروركم ، أما الخير فلغيرنا .

أشار طارق بكفه إليه وقال برجاء :

- أرجوك ، دعنا من هذه الأحاديث التي لن تجدى في الوقت الحالى ، ودعنا ننتهى مما نحن هنا من أجله .

زفر صور زفراة قوية ثم قال بسرعة :

- حسناً ، هات ما لديك .

جلس طارق أمامه وقال :

- استمعْ إلىَ جيداً ، فما ستسمعه الآن لم يطرق أذنيك من قبل ، ولم يكن ليطرقها طوال ما مضى من عمرك وما هو آتٍ .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي صور وهو يستمع إلى حديث ذلك العالم المصرى الذى جاء من عالمه ليعلم علماء الحشرات ما اخترعته خلايا مخه البشري ، فهزَ رأسه متفهماً ولم ينبع ببنت شفة ، وطارق يقصُ عليه تفاصيل تجربته

الغريبة ، وكيفية إيقافها ، ومع استطراد طارق بدأ حال صور يتغير ، ففي بداية الأمر كان يستمع بلا اهتمام ، ولكن كلما توغل طارق في التفاصيل ، كلما بدا الاهتمام على وجه عام الصراصير ، ومع آخر كلمة ألقاها طارق على مسامعه ، لم يمل إلا أن يمدد ذراعه ويصافح طارق بقوٰة واحترام وهو يقول :

- أحسنت أيها المصري .

صافحة طارق وهو يبتسم بفرح لأول مرة منذ وطأت قدماه ذلك المكان ، أخيراً وجده من يقدر اختراعه من الأعداء ، ولقد صدق من قال :

- لا يفهم العلماء إلا العلماء .

قفز الصرصور العجوز من مكانه ثم التقط قلماً صغيراً ، وهو يتطلع إلى طارق ويقول بصوت مبحوح من فرط الانفعال :

- هل من الممكن أن تعيذ على مسامعي تجربتك مرة أخرى ؟ أريد أن يستفيد باقى زملائى من هذه التجربة .

صمت طارق قليلاً ثم قال على الفور :

- كما قلت لك ، الثوم والسكر وأوراق النعناع ، وصابون

سائل مع كمية وفيرة من الماء ، ثم يتم تسخين هذا الخليط معاً على فترات ثم يوضع في الرشاش ويتم ضغطه ثم إطلاقه في الهواء ، لتحدث عمليتان في منتهى الأهمية ، أولاً يتغير تركيب جزيئات السكر لتنطلق طاقة هائلة ، في نفس الوقت الذي تتكسر فيه الروابط بين جزيئات الماء وتنطلق طاقة هائلة تنشيء مجالاً كهربياً وآخر مغناطيسيّاً يمنع ظهور أي حشرة في عالمنا ، أما طريقة إيقاف التجربة فهي عدم رش هذا محلول لمدة ثلاثة أيام عن طريق غلق رشاشات خاصة في منزلي .

توقف عالم إمبراطورية الصراصير عن الكتابة ثم نظر إلى طارق بحوار قرنى استشعاره وقال :

- ولكنك لم تخبرني كيف استطعت إخفاء الحشرات من جميع بلدان العالم ؟

أجابه طارق على الفور :

- التأثير الكهرومغناطيسي أدخلت عليه بعض التعديلات ليكون موجهاً إلى الجهة التي أريدها ، فأطلقته في العالم أجمع ، بحيث لا يؤثر على البشر ولكنه يمنع الحشرات من

الدخول إلى عالمنا مرة أخرى.

- أفهم من حديثك أنك نقلتنا إلى بعد آخر ، غير الذي تعيشون فيه ؟

أجاب طارق سؤال العالم قائلاً :

- نعم ، ولكنني أصبحت أسير فيه معكم ، ثم إن الموضع أصبح في حكم المنتهي ، كل ما أريده هو العودة إلى عالمي كأغلق الرشاشات لأسمع لكم بالظهور مرة أخرى .

قال له صور وهو يقوم من مكانه ، ويتحرك ببطء على قدر ما تسمح به مفاصله التي نال منها العجز ما نال :

- هذا لا أستطيع أن أفيذك فيه ، الأمر الآن في يد إمبراطورنا العظيم صيروف ، كل ما سأفعله هو أنني سأنقل إليه حديث وهو الذي يقرر مصيرك .

نظر إليه طارق وعقله ينطلق إلى ثلاثة أماكن مختلفة وإلى أشخاص بعينها ، إلى زوجته وابنه في محبسهما وأموموت الذي يقف على رقباهما ، وإلى دكتور شاكر وحياته التي أصبحت على وشك النهاية ، وإلى بلده مصر ورئيسها الذي أصبح ماء وجهه عرضه للقاuchi والداني يعبث به كيما يشاء ، وفي النهاية تعود

الأمور مرة أخرى إلى صيروف الذي سيحدد مصيره ، ويبدو أن
اللحظات القادمة ستكون حاسمة وقاتلة .



عـبـدـيـلـ



الفصل
الخامس
والعشرون





الفصل
الخامس
والعشرون

تمَّ اقتيادُ طارق مرةً أخرى إلى قفص الاتهام ، ليقفَ أمام صيروف ونيليس وذوبو ، الذي كانَ أولَ من بدأ الحديث قائلاً:

- ماذا فعلت أيها المصري ؟

أجاَبَهُ طارق بانكسار :

- نفَدْتُ ما طلبتُم ، وأخبرتَ العالم صور بكيفية إيقاف التجربة .

تدخل صيروف في الحديث قائلاً :

- نعم وأخبرته أيضاً أنَّ إيقاف التجربة يعتمدُ على إيقافِ رشاشاتٍ خاصةٍ في منزلك ، ولا أحدَ يعلمُ مكانَها غيرُك .

هزَّ طارق رأسَهُ موافقاً ولم يتكلم ، فتابعَ صيروف حديثه :

- حسناً ، ستدَّهُبُ إلى منزلك لتوقيف التجربة ، ثم تعود إلى هنا مرةً أخرى .

عقد طارق حاجبيه وقال متسائلاً :

- لماذا أعود مرة أخرى ؟

ابتسم إمبراطور الصراصير بخبيث وقال ببطءٍ مخيف :

- حتى تسترد عائلتك ، المحتجزة عندنا ، وأئُ محاولة للخداع سنكمُل المشاهد التي تركناهم فيها .

ثم صفق بذراعيه ، فعادت الشاشات تتألق مرة أخرى لتنقل مشهد نجوى وإياد وهما يتأملان من البكتيريا القاتلة التي اخترقت جسديهما بالفعل ، ومشهد دكتور شاكر والعناكب تنقض عليه وتستعد لانتزاع روحه من جسده .

كان المشهد يلقى بالرعب في أشد قلوب الرجال يأساً ، ولكن على الرغم من ذلك فقد شد طارق قامته وقال بحزم صارم :

- والآثار التي اختفت من العالم ، وموقف مصر الذي أصبح حرجاً بين دول العالم أجمع ، ماذا ستصنعون في ذلك ؟

أجابه صيروف قائلاً بصراحته مماثلة :

- يقولون عندكم في أجهزة المخابرات ، المعرفة على قدر الحاجة ، كل هذه الأمور ستعود إلى ما كانت عليه بمُجرد

إيقاف تجربتك ، وإعدام كل الوثائق الخاصة بها .

أشار طارق إلى رأسه وقال :

- كل الوثائق والمعادلات والتجارب توجد هنا ، في رأسي ، لقد فقدت كل الوثائق والتقارير الخاصة بالتجربة ولا أدرى كيف حدث هذا ، ولكنني ما زلت أحتفظ بجميع خطوات التجربة بالتفصيل ، وكذلك معادلات التفاعل وكيفية إيقاف التجربة بالكامل ، في آمن مكان على وجه الأرض ، في رأسي .

صمت صيروف قليلاً قبل أن يقول :

- نحن من استولينا على تجاربك ومعادلاتك عن طريق آياتنا ولكننا مع الأسف لم نستطع ترجمة ما بها ، فكان لابدّ من معرفتها عن طريق صاحبها .

لم يستطع طارق أن ينطق بحرف واحد وهو يستمع إلى هذه المفاجأة الجديدة ، فالتجربة بالكامل هنا منذ البداية ولكن اللغة كانت هي العائق أمام الحشرات ، لكي يعودوا مرة أخرى إلى عالم البشر .

تابع صيروف حديثه قائلاً :

- كي لا نضيع مزيداً من الوقت ، ولأن الوقت المتبقى على فقدان الآليات لفعاليتها أصبح وشيكاً ، فستنتقل الآن

إلى عالمك لتتوقف التجربة نهائياً، وب مجرد ظهورنا مرة أخرى في عالمكم ، ستعود الحياة إلى طبيعتها مرة أخرى ، سترجع زوجتك وابنك ومعلمك إلى عالمهم معززين مكرمين ، وستعود الأمور إلى نصابها .

لم يملك طارق حق الاعتراض ، مع ظهور مجموعة من الآليات التي تشبه الحشرات تماماً داخل قفص الاتهام ، ومن فم كل منها يخرج محقق له سن مدبر غليظ ، تم وغز طارق به في كل جزء من أجزاء جسده ، وعلى الفور تحول جسده إلى هيكل رخو بلا خلايا ولا أجهزة كما حدث معه من قبل ، قبل أن يختفي فجأة من القاعة هو والآليات ، لينطلق عبر الزمان والمكان إلى عالم الإنس مرة أخرى ، وبالتحديد في المعمل الخاص الملحق بفيلا طارق ، الذي عاد جسده ليتكون مرة أخرى في قلب المعمل ، بعد أن لفظت الآليات جسده مرة أخرى ليتكون من جديد ، ويأخذ هيئته البشرية مرة أخرى .

انطلق على الفور إلى مكتبه وضغط زرًا صغيراً في قلب الدرج الثاني فانزاح جزء من الجدار المواجه للمكتب كاشفًا عن محبس صغير، ذهب إليه طارق على الفور وأداره جهة اليسار بقوة ، لتنطلق موجة ضاغط قوية ومباغطة في المكان كان من قوتها أن ألقت بجسد العالم المصري إلى الجدار

المقابل ليترطم به بقوة وعنف ثم يسقط أرضاً، لقد تم إيقاف التجربة واختفى المجال الكهرومغناطيسي من على جميع بلدان العالم، وعادت الحياة إلى طبيعتها مرة أخرى لتنطلق الحشرات بأسرها إلى العالم الذي عاشت فيه طوال حياتها ، عالم البشر .

أما طارق فقد فقد الوعي بمجرد ارتطامه بالحائط ، ولم يشاهد عودة الحياة للحشرات مرة أخرى ، وبدون أن تضيع الآليات أى لحظة ، انطلقت على الفور لجسد طارق وحللتة مرة أخرى قبل أن تعود به إلى عالمها مرة أخرى ، لقد أخلف صيروف وعده ولم يُعد نجوى وإياد وشاكر إلى عالمهم مرة أخرى ، بل أعاده هو إليهم ، لحاجة في نفس يعقوب ، ولكن مع عقلية خبيثة مثل عقلية إمبراطور الصراصير ، لن يمكنك أبداً أن تعرف كيف يفكر ، مهما حاولت .

لا أحد يستطيع أن يصف فرحة الحشرات بعودة الروح
إليها مرة أخرى ، فبمجرد أن توقفت التجربة وانتهت فاعليّة
المادة المؤثرة ، انطلقت الحشرات من مخابئها وبيوتها
والقرى التي تضمنها إلى عالم البشر لتختلط معهم مرة أخرى .
الفراشات عادت ترفرف بأجنحتها بقوة وذهبت إلى الأزهار
تحتضنها بلهفة وحب واشتياق ، النمل انتشر بسرعة كبيرة في
جميع أرجاء الأرض ، يبحث عن غذائه ويعمل على تجميده
والاحتفاظ به للموسم القادم ، الذباب عاد مرة أخرى ليعاكس
البشر ويقوم بوظيفته في حفظ توازن الكون ، أما الصراصير
والبراغيث والبعوض والجراد فقد انطلقا بلا هدف في كل
مكان ، لقد تنفسوا هواء الحرية أخيراً بعد ما طال سجنهم ،
ولكن ما كان يؤثر فيهم بالفعل هو سجنهم داخل أنفسهم ،
ولكنها هو الكون يعود مرة أخرى لوضعه الطبيعي الذي
خلقه عليه المولى عز وجل .

وفي قاعة المحكمة كانت الفرحة تغمر وجه الجميع ،
وانطلقت صيحات الفرح والانتصار تدوى في كل ركنٍ من
أركانها ، وتصافحت لجنة الحكم نمليس وذوبو وصيروف ،
بود وصفاء ، لقد اتحدوا معاً ضد العدو الغاشم ، وانتصروا ،

الوحيدة التي كانت تشعر بالحزن هي نحولة ، لقد أحبت طارق من كل قلبها ، لقد وجدت فيه الرجل الذي يؤمن بقضيته ويدافع عنها ب حياته ، لقد أنقذها من صيروف في الحلم ، الذي تمنّت من كل قلبها أن يكون حقيقة ، ولكن هكذا هي الدنيا تلقى نفسها بين يديك ، عندما تبتعد عنها ، ولا تعيرك أدنى اهتمام عندما تهرع إليها ، لقد كانت تتمناه زوجاً من بنى جنسها ، ولكنه عاد إلى دياره وهيئته البشرية ، كانت تعدد ليكون ذكر النحل المقاتل ، الذي ستنجيب منه جنساً جديداً يجمع بين صفات النحل وقوة البشر ولكنها هي تفقد أملها أمام عينيها .

تمطّي اليأس في نفسها قبل أن يستقر هادئاً ، فأقامت سراديق الأحزان بقلبها واحتفظت لنفسها بالذكريات ، و.... .

واتسعت عيناهما بدھشة ممزوجة بالفرح الشديد وهي ترى مجموعة من الآليات تظهر فجأة في قلب قفص الاتهام ثم تنتفض بقوة لتلفظ جسد طارق مرة أخرى ولكن في عالمها ، لقد عاد مرة أخرى يحمل زهور الفرح ، ليضعها على قلبها الرقيق ، فارتفع نبضاته لتسمعها روحها فتحيا مرة أخرى .

اندفعت نحوه تحرّكها مشاعرها المتلهفة ، وقبل أن تصل
إليه بستيمترات قليلة اعترض طريقها صirof وهو يقول
بغلطةٌ :

- إلى أين ؟

تراجعـت مذعورةً ولم تستطع أن تجيـه ، فتدخلـت نـيلـيس
قائلـة بصراـمة لا تـتنـاسـب مع حـجمـها الصـغـير :

- دعـها يا صـirof ، سـتطـمـئـنـ على البـشـرـى ثـمـ تـعودـ مـرـةـ
أـخـرىـ، دـعـها تـراـهـ لـآخـرـ مـرـةـ .

قال بصراـمةٍ مـمـاثـلةٍ :

- لماذا ؟

أجابـتهـ نـحـولـهـ هـذـهـ اـمـرـةـ بـصـوـتـ حـنـونـ يـفـيـضـ عـذـوبـةـ :

- إنـنىـ أـحـبـهـ .

رفع صـirof قـرنـىـ استـشـعـارـهـ في دـهـشـةـ ثـمـ أـطـلـقـ ضـحـكةـ
سـاخـرـةـ عـالـيـةـ ، حتـىـ أـنـ جـسـدـهـ أـخـذـ يـتـرـجـرـجـ بـعـنـفـ ، ثـمـ قالـ :
تحـبـيـنـهـ !! يـبـدوـ أـنـ الجـنـونـ قدـ أـصـابـ خـلـيـاـكـ أـيـتـهـ اـمـلـكـةـ ،

لَهُمَا بَشْرِيًّاً، وَلَيْسَ بِبَشْرٍ عَادِيًّا، إِنَّهُ قَاتِلٌ، لَيْسَ فِي قَلْبِهِ
مُتَفَاعِلٌ حَبَّةً مِنْ حَبَّ، أَرَادَ أَنْ يُبَيِّدَ عَالَمًا بِأَسْرِهِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ
يُلْتَقِمَ، هَلْ رَأَيْتِ سُخْفًا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا؟! وَفِي النَّهَايَةِ تُحْبِينَهُ!
أَعْقَلِي، نَحْنُ نُحْتَفِلُ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ، وَأَنْتِ هُنَا تُعِيشِينَ دُورَ
الْعَاشِقَةِ الْوَلْهَانَةِ.

جففت دموعها دون أن تردد على حديثه ، لقد كان قلبها
ينتحب على جبها الذي ذاقت حلاوته ومراسته في آن واحد ،
لقد وجدت من يعرف قيمتها ويشعر بأحساسها المرهفة
عندما سمح لها بأن تعيش في عالمه هي ونيليس ،وها هي
تخسره وتتجزئ مراراة فقده يوم فرح شعبها بالنصر المبين كما
قال صيروف ، الذي قطع أفكارها قائلاً :

- ولتكنى على الرغم من ذلك ، سأجعله يعيش في عالمنا إلى
الأبد ، فالبشر ليس لهم أمان ، سيعيش في عالم الحشرات ، يطيع
أوامرنا وينفذ قوانيننا شاء أم أبي ، وللانصاف سأجعله يعيش
في كل مملكة عاماً شمسيّاً كاملاً ، ففي عالم النحل سيكون ذكر
نحل قوي ، تتمناه الملائكة نحولة ، وفي عالم الصراصير سيكون
صورةً من صراصير العبيد المناهضين للحكم ، ولباقي الممالك

الحق في أن تجعله يعمل ما تراه مناسباً ومتماشياً مع سياستها
التي تدير بها شئون البلاد .

أشارت نحولة إلى جسد طارق المسجى أمامها الفاقد للوعي
وقالت ودموع الفرح تقطر من عيونها المركبة الدقيقة :

- وزوجته وأهله ، ماذا ستفعل بهم ؟

أجابها على الفور وبلهجة حاسمة :

- زوجته وأهله ليس لهم أى ذنب فيما اقترفته يداه
من آثام ، لذلك فسوف أعيذُهم مرة أخرى إلى عالمهم ، بل
سيعود الأسري جميعهم إلى منازلهم وأعمالهم ، ولكن بقوانين
الحشرات وليس قوانين البشر .

عادت نحولة تنظر إلى طارق الذي مازال غائباً عن الوعي
بلوعة ثم قالت :

- كل شيء يهون ما دام سيظل بجانبى .

نظرت إليها نهليس ، وهى تعد في عقلها خطة جديدة
للإيقاع بطارق ، وإجباره على الزواج منها كما حدث قبل ذلك ،
ولكنه في هذه المرة لن يستطيع الرفض لأنه سيكون حقيقياً

وليس خداعاً ، ستحصل عليه لعام كاملٍ ، وفي هذا العام ستتغير قوانين النمل تماماً ، وستتطور قدراته ، ليعتليَ عرش ممالك الحشرات بأكملها .

نظر لها باستهتار من قرنى استشعاره ، ثم أولى اهتمامه بذلك البشري الفاقد الوعي ، الذى قررَ أن يُحاربَ عالماً بأسره ، فكانت الهزيمة من نصيبه .



طريق



الفصل
السادس
والعشرون





الفصل
السادس
والعشرون

الموت قادم لا محالة

دوّت هذه العبارة في عقل دكتور شاكر ، والعناكب القاتلة تقترب منه في شراسة ، ليس وراءها إلا هدف واحد ، القضاء على هذا الكائن وإعداد وجبة شهية تكفيهم لشهور عديدة .

اعتلت مجموعة منهم صدر شاكر ، في حين صعدت مجموعة أخرى رأسه واستعدت لحرق عينيه بأهدابها ، وهي تشير إلى رفاقها بأن تستقر بحلق الدكتور ، الذي تجذبه الرمال المتحركة لأسفل بكل قوة ، وكأنها كلابة من الحديد ، تلا الشهادتين واستعد لقضاء ربه ، كان لا يهاب الموت طوال حياته ولكن ليس بهذه الطريقة البشعة وعن طريق هذه الكائنات المقرضة ، ابتلع ريقه لآخر مرة و ...

لماذا تأخر حتى الآن ؟ المؤتمر على وشك أن يبدأ .

ألقى الدكتور شاكر بهذه العبارة على نفسه وهو ينظر إلى

ساعة يده بين الحين والآخر ، ثم يعود ليتلفت حول نفسه مرة أخرى ، ثم حسم أمره ، وأمسك بهاتفه النقال وضغط أزراره بسرعة ، ثم استمع إلى العبارة الشهيرة التي تشير سخط الملايين من مستخدمي الهواتف المحمولة ، (الهاتف الذي طلبه ربما يكون مغلقاً) من فضلك حاول الاتصال في وقت لاحق ، أغلق شاكر الهاتف وهو يزفر في حنق ، فلم يُعْد متبقياً على بدء المؤتمر العلمي إلا دقائق معدودة وطارق لم يصل بعد ، لوح بذراعه بضرج ثم دخل إلى القاعة مرة أخرى ، في انتظار القادم، الذي لن يأتي ، أبداً .

أطلقت نجوى صرخة هائلة من فرط الألم وهي تحضرن
إيادى سقط أرضًا وهو يتلوى بدوره من الآلام الحادة التي
استقرت في أمعائه بعد أن دخل ميكروب السوبر بكتيريا إلى
جسده .

كان من الواضح أن الميكروبات قد اتفقت مع بعضها على
العبث بالجسدين ، فعلى الرغم من أن أي ميكروب له فترة
حضانة ، إلا أن هذه الكائنات ما إن عبرت قلاع المناعة عند
هذه المرأة وصغيرها حتى بدأت تنتشر في كل مكان بسرعة
البرق ، فلم ترك جزءاً صغيراً في جسديهما حتى ضغطت
عليه وأفرزت ما بها من سموم بداخله لتزيده ألمًا وشقاءً ،
وبينما تنازع نجوى من الألم ، ويلفظ إياد أنفاسه الأخيرة ،
إذا بالميكروبات تطلق ضحكاتٍ مرحة وهي تقفز في أماكنها ،
وتعلق رايات النصر داخل الجسدين ، وعندما

- طارق ، أين أنت يا عزيزي ؟ ستتأخر على المؤتمر .

نطقت نجوى بهذه العبارة القلقة وهي تدلف إلى حجرة
مكتب زوجها ، في الطابق الثاني من الفيلا ولكنها لم تتلق أي
إجابة ، وذلك لأن طارق لم يكن في المكتب ، ولا حتى في الفيلا
كلها ، نزلت من الطابق الثاني بسرعة كبيرة على درجات السلالم
وهي مازالت تنادي عليه ، ولكن لا حياة لمن تنادي ، خرجت

من الفيلا وهي تبحث عنه فلم تجد إلا ولدتها إياد الذي أسرع إليها وهو يشير إلى المعمل الملحق بالفيلا ويقول :

- أبي في المعمل يا أمي ، لقد ذهبَ إليه منذ قليل .

ربتت على رأسه ثم ذهبت إلى المعمل ، فوجدت بابه مُواربًا على غير عادة طارق الذي يفضل غلق الباب ورائه في كل مرة يدخل فيها إلى هذا المكان ، دفعت الباب برفق ثم دخلت وهي تدبر عينيها في المكان ، فلم تجده أثرٍ لزوجها ، ذلك الذي كان يُعرفُ قدِيمًا باسم طارق تيسير .

استسلم المذيع التلفزيوني الشهير حسن ياقوت للمسات
فنى المكياج الخاص به ، والذى يثق فيه ثقة عميماء ، فحسن
ياقوت يهتم بمظهره جيداً ، سواء كان فى ملابسه المهندمة أو
فى الميكاب الذى يضعه على وجهه كلما كان يستعد لإلقاء خبر
هام على شاشة التليفزيون المصرى .

- تمام يافندم .

ابتسم حسن لفنى المكياج الذى نطق بهذه العبارة القصيرة
وهو يتراجع ليلىقى نظرة أخيرة على المذيع اللامع ، الذى قال
وهو يرتدى سترته :

- أشكرك يا خميس .

رد خميس على عبارة الثناء بـممثلها وهو يغادر الحجرة تاركاً
حسن يكمل ارتداء ملابسه في نفس اللحظة التي دلف إلى
الحجرة مسئول الإعداد وهو يقول :

- خمس دقائق على بدء الموجز .

قال عبارته ثم ترك الحجرة ، ليتبعه حسن إلى الاستديو ، ثم
يجلس أمام الكاميرات وهو يراجع ما لديه من أخبار ، التى ما
هي إلا ثوان ويعرفها أكثر من 70 مليون شخص ممن يهوى

متابعة الأخبار الهامة .

انطلقت الموسيقى الشهيرة موجز الأنباء ، ولم تكُن تنتهي حتى ظهرَ حسن ياقوت وهو يقول بجدية :

- أيها السادة ، إليكم موجز لأهمَّ وأخر الأنباء .

تتعرَّضُ البلاد منذ صباح اليوم لهجوم مكثف من الجراد ، جابَ سماءً مصرَ من شرقها إلى غربها ، ولكنه على الرغم من العدد الرهيب الذي انطلق يجوبُ البلاد والذي يصلُ لحوالي مليوني جرادة ، لم تسقطْ واحدة منها على الأرض بل ولم تقف حتى على شجرة أو تتناول طعاماً كطبيعتها الشرسة حيث أنها تأكلُ كلَّ ما تمُّرُ عليه من أي مزروعات أو حتى أشجار ، وجديرٌ بالذكر أنَّ هذه الأعداد تضاعفت في جميع بلاد العالم ، وكأنَّها تنطلقُ لهدِيفٍ محدد لا يعلمه إلَّا الخالق عز وجل .

وجديرٌ بالذكر أيضاً أنَّ هذا الهجومَ تزامنَ مع عقد المؤتمر المصري العالمي للحشرات ، والذي سيُعقدُ بعد نصف ساعةٍ من الآن ، والذي سيلقى فيه العالمُ المصري طارق تيسير أول تصريحاته عن اختراعه المصري الذي قال أنه سيغير العديد من المفاهيم الخاصة بعالم الحشرات ، وأنه سيجعل العالم

بأسره ينظر لمصر نظرة احترام وإجلال وعرفان .

التقط نفساً عميقاً ثم أكمل حديثه قائلاً :

- ولكن زوجة العالم المصرى تقدمت ببلاغ إلى السلطات المصرية منذ قليل باختفاء زوجها في ظروف غامضة ، ولقد أولت الحكومة المصرية بالغ اهتماماً بها لهذا البلاغ ، حيث انطلقت وحدات خاصة للبحث عن العالم المختفي ، والذى سيتسبب عدم ظهوره في وضع مصر في موقف حرج ، أمام العالم أجمع ، حفظ الله مصر .

- نترككم في رعاية الله وأمنه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

انتهى موجز الأنباء وظلّم حسن أوراقه ، ثم ابتسم في وجه زملائه ، والمعدين والفنين وهو يغادر الاستديو ، ليذهب بعدها إلى غرفة الاستراحة في مبنى التليفزيون ، وقبل أن يذهب إليها طلب فنجاناً من القهوة المركزة ، التي أتاه بها عامل المقصف على الفور ، وبينما هو يرتشفها بتلذذ إذا به يجد ذبابة كبيرة الحجم تقف على طبق الفنجان الصغير ، وهي تعث بأرجلها وتتنفس نفسها ، قبل أن ترفع عينيها

إليه وقبسمَ ابتسامة كبيرة ساخرة ، اتسعت لها عيناً حسن في دهشة وعندما اقتربَ من الذبابة ليُمْعِنَ النظرَ فيما رأى قفزت الذبابة بعيداً عنه ، ثم رفرفت بجناحيها بقوة وهي تغادرُ المكان من النافذة الكبيرة التي تطل مباشرة على نيل القاهرة العريق .

تنهَّدَ حسن وهو يتبعُ الذبابة بعينيه ، ثم ابتسם وقال :
- سبحان الله ، ويخلق ما لا تعلمون .

ولو أنه استمعَ إلى ما قالته الذبابة عند مغادرتها للمكان ، لارتجفت أوصاله وسقط قلبه في قدميه ، فقد توقفت الذبابة على إفريز النافذة من الخارج ثم قالت :
- تم التعاملُ مع الهدف ، المبني آمن .

التقطت جميع الحشرات رسالتها ، ثم انطلقت بكل قوتها الراحف منها والطائر وحتى التي تستقرُ على وجوه البشر ، تعملُ بسرعةٍ على جلبِ رزقها اليومي الذي قسمَه الله لها ، والذي لن يمنعه عنها أحدٌ حتى ولو قامت الدنيا وقعدت ، فللله في خلقه شئون ، وكل ميسر لما خلق له ، ثم عادت بعد ذلك إلى عالمها الذي تعيش فيه طوال حياتها ، مقلب كبير

للقمامة ، يبعد عن فيلا طارق بحوالى كيلومترین فقط ، وبينما
قرص الشمس يبتعد عن الأرض رويداً رويداً ، إذا بالظلام
يستعد لبدء حياةٍ أخرى لکائنات أخرى ، تنطلق لتبدأ هي
الأخرى دورة جديدة من حياتها ، التي قدرها لها خالقها تبارك
وتعالى .

نهاية الجزء الأول

٢٠١٥/١١/٤ القاهرة في



هامش المعلومات :

١ هذه التجربة قام بها بالفعل المخترع المصري محمود السيد عبد الجواد حيث تمكّن من اختراع مستخلص نباتي آمن يستخدم كمبيد كهربائي طبيعي للآفات لا يحمل أية أخطار على الإنسان والبيئة، كما أن مكوناته متوفّرة، وأطلق المخترع على ابتكاره الجديد اسم "منف ٦"، وحصل الباحث بموجبه على شهادة الزراعة العضوية، وتم اختباره في المركز المصري للزراعة الحيوية، وتم تطبيقه حقلياً في مكافحة الحشرات الثاقبة الماكرة مثل المن والذبابة البيضاء والبق الدقيقي والحشرات القشرية، وأثبتت الاختراع نجاحاً باهراً.

- يقول المهندس محمود عبد الجواد: "الاختراع عبارة عن مستخلص نباتي آمن وغير سام، ويمكن استخدامه من دون أن يكون هناك محاذير، لعدم إضراره حتى ولو في حالة سوء الاستخدام، ويمكن استخدام المركب في إجراءات وقاية النبات بحيث يمكن استخدامه مرة كل أسبوعين من ظهور الآفات".

- أما عن طريقة تحضير المركب فيقول المهندس محمود إن المركب بسيط في طرق التحضير، ويمكن للعاملين في المجال الزراعي تجهيزه، فالمواد المطلوبة للتحضير هي ١٠ كجم ثوم

فصوص كامل بالقشر ومجروش، 13 كجم ورق نعناع أخضر، 10 كجم سكر مائدة، 3 لترات خل طعام بتركيز 5%， 20 لتر صابون سائل بوتاسيومي.

- ويجري خلط السكر مع الخل ويتم التقليب ويوضع على نار متوسطة، ويتم التقليب المتكرر لمدة 3 ساعات حتى يصبح اللون بنيةً متوسطاً، وتتم إضافة الثوم مع التقليب واستمرار التسخين لمدة 3 ساعات يليها إضافة النعناع والتقليب واستمرار التسخين لمدة ساعتين وإضافة الصابون السائل والتقليب والتسخين لمدة ساعتين ثم تصفية المركب للحصول على مستحلب رغوي سائل.. كما يشير صاحب الاختراع إلى أنه يمكن استخدام المخلفات بإضافتها للتربة الزراعية لمكافحة آفات التربة أو للأسمدة العضوية، ويمكن تحضير المركب على مستوى القرية أو العاملين في المجال الزراعي، وتكاليف اللتر لا تزيد على 10 جنيهات مصرية «أقل من دولارين» حيث إن المكونات رخيصة ومتوافرة.

- ويلفت المهندس محمود النظر إلى أنه يمكن للمركب إبادة الآفات الزراعية والحشرات التي ليست لها مبيدات وهي كثيرة في العالم خاصة في القارة الأفريقية، كما يمكن كذلك استعمال المركب في إبادة الحشرات المنزلية مثل البعوض والذباب والصراصير.

- كما يوضح أنه تمت الاستفادة من نظرية تبديل الطاقة من شكل إلى آخر في تبديل نسبة كبيرة من الطاقة الكيميائية المخزنة في الروابط الكيميائية للسكر لتحسين الخصائص الكهربائية للمستحضر، مثل الشحنات الكهربائية السالبة، وكذلك القطبية الثنائية، والاستقطاب الإلكتروني والآيوني.. كما استفاد المخترع من الخصائص الكهربائية للماء بتكسير الروابط الهيدروجينية وتأين جزيئات الماء أثناء عملية الرش إلى آيونات موجبة سالبة، وتكسير كتلة المستحلب تحت الضغط بواسطة فوهة الرشاشة، وتحويل الكتلة إلى قطرات رش فتزيد الشحنات الكهربائية لسطح قطرة آلاف المرات نسبة لشحنة الكتلة، وتنتمي قطرات الرش شحنتها من الآيونات الحرة بجذبها وتجمعها من الهواء الجوي، وبذلك يتم توليد شحنات كهربائية حرة من الهواء، وعند حركة قطرة ذات الشحنات الكهربائية في الهواء الجوي فإن التصادم مع الإلكترونات الحرة غير المشحونة كهربائياً يجعل الإلكترون يعاد شحنه لينطلق بسرعة الضوء ليتصادم بجزيئات الأوكسجين والنيتروجين، ولتنفصل الجزيئات إلى آيون موجب وآخر سالب، وتتكرر سلسلة التصادمات لتوليد آيونات حرة فتصبح منطقة الرش متأينة، بالإضافة إلى توليد مجال كهربائي ومجال مغناطيسي والذي يساعد في اختراق الآيونات والشحنات لجدار الخلية والانتشار داخل جسم الكائن الحي

واختراق غشاء الخلية لعمل فرق جهد عالٍ على غشاء الخلية وحرقه، وبذلك يكون قد تمت الاستفادة من ظاهرة استقطاب الضوء وتدويره للطبقة الخفيفة المتبقية على سطح الورق في زيادة التمثيل الضوئي للنبات، وكذلك صافي التمثيل الضوئي مما يزيد الإنتاجية.

- وتقوم الزيوت النباتية المتبقية بعد الرش على النبات بعملية طرد الحشرات ومنع تغذية الحشرات على النبات ووقف نمو الأمراض الفطرية والبكتيرية، وحيث إن للمرگ خاصية تدوير الضوء واستقطابه، لذلك فإن الطبقة المتبقية على الورق بعد الرش تقوم بعملية زيادة التمثيل الضوئي.

- تلك هي خصائص استخدام الشحنات الكهربائية السالبة في وقاية النباتات كما ذكرت المراكز العلمية التي تبحث في ذلك المجال وقد ثبتت بالتجريب الحقلـي.

- وساهمـ في أعمال الاختبارات وظهور المرگـ للنور اـلـمركز المصري للزراعة الحـيوـية وـالـمرـكـزـ القـومـيـ للـبـحـوثـ وـمـعـمـلـ التـحالـيلـ الدـقـيقـةـ بـجـامـعـةـ القـاهـرـةـ وـمـعـهـدـ بـحـوثـ وـقاـيةـ النـبـاتـ بـوزـرـةـ الزـرـاعـةـ .

٢ الخنفساء الدعسوقة :

هي حشرة تعتبر من إحدى عائلات الخنفساء المعروفة ومن ذوات التطور الكامل تنتشر في أغلب بقاع الأرض يوجد منها أكثر من 5000 نوع في أمريكا الشمالية وحدها عرف منها أكثر من 450 نوع. تتميز الخنفساء المنقطة بصغر حجمها مقارنة ببقية عائلات الخنافس إذ يبلغ طولها من 1 إلى 8 على ألف من المتر كما أن ألوانها متعددة كاللون الأحمر والأصفر والأبيض والقاطم وهي تعتبر من المفترسات المفيدة للفلاح سواء على صعيد افتراس الحشرات الضارة أو المساعدة في عملية التلقيح .

٣ الجرارة :

تعتبر الجرارة (العقرب الصفراء) من أكثر فصائل العقارب سمية ويمكن لهذه السمية قتل الأطفال وكبار السن مباشرة نظراً لضعف مناعة أجسامهم، وتتميز العقرب الصفراء بمقارض طويلة نسبياً ورقيقة مقارنة مع العقرب السوداء. وسميت هذه العقربة بالجرارة لجرها ذنبها، ولالمعروف عن العقرب الصفراء أنها قد تحفر لها جحراً، أو تستخدم جحراً غيرها كجحور اليرابيع، ويميل لونها إلى الأصفر الفاتح الشفاف ولاحظ العلماء في الآونة الأخيرة، أن هذا النوع من العقارب

يشعُّ لوناً أصفر بعد تسليط الأشعة فوق البنفسجية عليه. ويشبه إشعاعه لون علامات المرور ليلاً. ويستخدم العلماء عادة الإشعاع فوق البنفسجي الذي لا يرى بالعين لتتبع العقارب ودراستها خاصة أثناء الليل، ولاحظ بعض العلماء أن العقارب الصفراء يمكن رؤيتها على بعد 5 أمتار بعد تسليط هذه الأشعة عليها في حين لا ترى العقارب السوداء التي تشبع بلون أصفر مخضر داكن إلا من على بعد 3 أمتار.

ويعتقد العلماء أن من بين الـ 1500 نوع من العقارب الموجودة، عبر العالم، يوجد 50 نوعاً فقط مؤذياً للإنسان، والعقارب بشكل عام ضعيفة الرؤية حتى أنها تكاد لا ترى، كما أنها لا تسمع ولا تشم، بل تعتمد على الذبذبات الصوتية والاهتزازات لمعرفة اتجاه فريستها.

العرير : 4

هو صوت الصرصور .

البعوض : 5

هى أنشى لها مائة عين في رأسها ..

لها في فمها 48 سناً ..

لها ثلاثة قلوب في جوفها بكل أقسامها ..

لها ستة سكاكين في خرطومها ولكل واحدة وظيفتها ..

لها ثلاثة أجنحة في كل طرف ..

مزودة بجهاز حراري يعمل مثل نظام الأشعة تحت الحمراء وظيفته : يعكس لها لون الجلد البشري في الظلمة إلى لون بنفسجي حتى تراه.

مزودة بجهاز تخدير موضعي يساعدها على غرز إبرتها دون أن يحس الإنسان وما يحس به كالقرصنة هو نتيجة مص الدم ..

مزودة بجهاز تحليل دم فهي لا تستسيغ كل الدماء ..

مزودة بجهاز لتمييع الدم حتى يسري في خرطومها الدقيق جداً ..

مزودة بجهاز للشم تستطيع من خلاله شم رائحة عرق الإنسان من مسافة تصل إلى 60 كليومتراً .

6 أثبت العلم الحديث وجود حشرة صغيرة جداً توجد فوق البعوضة ، وتستقر لتكميل حياتها هناك على الدوام .

٧ البراغيث :

البراغيث عبارة عن 200 سلالة مختلفة موجودة حول العالم والبراغيث الكاملة النمو تتغذى على دماء الكائن المستضيف لها كالحيوانات الأليفة والإنسان والحيوانات البرية بالطبع ومن أكثر الأنواع المعروفة لنا هو براغيث القطط وهذا النوع قادر تماماً على لدغ الإنسان والكلاب أيضاً و تستطيع البراغيث نقل الميكروببات للجلد المستضيف لها كبوبيضات الديدان الشريطية مثلاً.

٨ النمل :

وهو من الحشرات الاجتماعية وينتمي إلى رتبة غشائيات الأجنحة وهو مجتمع متخصص يقسم العمل بين الأفراد ويتميز بقدراته على استعمار أكبر قدر من اليابسة فهو سريع الانتشار ..

٩ البولدووج :

يملك نمل البولدووج لدغة غاية في القوة يوجهها بواسطة فكه المخيف هذا و الذي يحقن به ضحيته مسبباً لها صدمة عصبية وألمًا شديداً في منطقة اللدغة وقد تسبب هذا النمل

في موت العديد من البشر جراء لدغته تلك ..
و لكن يأتي هنا السؤال هل لدغته مميتة لجميع البشر؟
الإجابة .. لا فلدغته تلك تكون مميتة للبشر ذوى
الحساسية العالية و أصحاب الملاعة الضعيفة .. أما الحال
بالنسبة للحشرات فلا تنجو من بطش ذلك الوحش الصغير
المفترس .

١٠ الجاك جمبر :

هو أحد أنواع نمل البولدوغ وهو نمل قاتل متوحش جداً
وهو أكثر خطورةً من العقارب والأفاعي ، يبني ويتوارد في
الأماكن التي تعيش بها البشر أعشاشاً في التربة الزراعية وهو على
أهبة الاستعداد للقتل.

والنحل والزنابير هم أكثرما يقع ضحية لهذا النمل الفتاك ..
وهذه النملة يثير غضبها أي حركة عشوائية بالقرب منها ..
فتهجم على الفور لتقتل دون رحمة ولسرعة الجاك جمبر
تسبب عطلاً في الوظائف الحيوية في الإنسان ويمكن الوقاية
من لسعتها قبل انقضاء خمس دقائق باستخدام حقنة
أدرينالين .. أما بعد هذه الخمس دقائق فسيكون الإنسان في
عداد الأموات .

١١ السيافو (النمل السائق الأعمى) :

النمل السائق .. وهو معروف محلياً باسم (سيافو) وهي تنظر للإنسان دوماً كوجبة شهية ..

وتستغرق هجرة النمل السائق أربعة أيام ويكون فيها 20 مليون نملة ..

وهذا النمل يتسبب في موت الفيله لأنّه يحفر في آذانها ويخترق خراطيمها .. وعلى عكس نمل الجيش نمل سيافو لا يلسع .. إنما يُعُضُّ ويحاول قطع الجلد والتغذى عليه .. وهو غالباً ما يبني أعشاشه في التربة اللينة عند أشجار الموز وهو نمل أعمى يتواصل باللمس والرائحة .

١٢ الماميسيا :

أقدم أنواع النمل على وجه الأرض ، حيث يصل عمر نملة الماميسيا إلى حوالي مليار عام ، ويطلق عليه اسم (أدم النمل).

١٣ بنت وردان :

الصرصور أو الصرصوريات ، أو بنت وردان ، حشرة من رتبة مستقيمة الأجنحة صغير له ستة أرجل ، أجنحته شفافة بنية اللون ، جسمه مفلطح بيضي يضرب لونه للسمرة ، و له قرنا

استشعار طولان والعينان كيبرتان وللصرصور رائحة كريهة من إفراز غدي وهو يأكل ما يصادفه و يتکاثر عن طريق البيض الذي تبيضه أنثى الصرصور حيث تفرز الأنثى مادةً عطرة تعلن فيها استعدادها للجماع يلتقطها الذكر بقرونه الاستشعرية فينجذب إليها الذكر ويمكن أن تبيض أنثى الصرصور مدى الحياة بمجرد التقائها بالذكر مرة واحدة. يوجد في العالم 3500 نوع من الصراصير وقد أثبتت أبحاث علمية أنَّ الصراصيرَ تُوجَد على سطح الأرض منذ خمسين مليون سنة أي سابقة لوجودنا على هذا الكوكب بست وأربعين مليون سنة عن وجود الإنسان على كوكب الأرض والذي يقدر بأربعة ملايين سنة وهذا يعني أنها من أوائل المخلوقات التي وجدت على سطح الأرض ويُصنَّف الصرصور ضمن الحشرات القارضة حيث يُسْتَعْمَل فكاه الأماميان اللذان يُسَمِّيَان الفكوك الطاحنة لتمزيق و لقطع ومضغ الطعام كما يوجد زوجٌ من الفكوك أقل قوَّة من الفكوك الأمامية يُسَمَّى الفكوك الخلفية وتُسْتَعْمَل في التعامل مع الطعام ودفعه إلى أسفل الحنجرة، وله شفتان؛ الشفة العلية، وهي غطاء يتدلَّ إلى أسفل فوق أجزاء الفم مغطياً الفم من الناحية الأمامية، أمّا الشفة السفلى فهي تغطي الفم من الخلف ، وهو الكائنُ الوحيد الذي لا يوجد فيه بكتيريا أو ميكروب .

يمتلك النمل داخل جسده الصغير نوعاً من السموم يسمى حمض النمليك، "حمض الفورميك"، وهذا الحمض يستخدمه النمل في مهاجمة فرائسه من الحشرات الأخرى والتهامها. ويعد الفورميك سائلاً عديم اللون، ذا رائحة نفاذة، وطعم لاذع، ويذوب بسرعة في الماء. ولا يوجد نوع من أنواع النمل، إلا ولديه القدرة على الدفاع عن نفسه وعشة من خلال استخدام هذا الحمض، فعندما تقرر النملة عض أو مهاجمة كائن آخر فإنها تقوم برش الحمض عليه أولاً مما يتسبب في إصابته بصدمة عصبية تؤدي إلى شلل مؤقت. وتقوم "نملة الغابة"، التي تتغذى على الحشرات، برش حمض النمليك على مسافة عشرة سنتيمترات حول الفريسة مما يشل من حركتها، فتنقض عليها وتحملها إلى مسكنها ، أما عندما يهاجم النمل الإنسان، فهو يقوم بإحداث جرح صغير في جسده عن طريق العض ثم يجعل الحمض يتدفق فيه مما يؤدي إلى تضاعف الألم وظهور البقع الحمراء في موضع الإصابة. والأمر لا يقتصر على هذا، فعند بعض الأشخاص المصابين بالحساسية تجاه حمض النمليك، فإن التعرض للدغ النمل يؤدي إلى إصابتهم بأعراض خطيرة تبدأ بتتسارع ضربات القلب، وشحوب الجلد، وانخفاض ضغط الدم، مع صعوبة في التنفس، وتشنج في عضلات البطن،

وإسهال، وغثيان، وتقيؤ، وقشعريرة، مع ارتفاع درجة الحرارة. وينتهي الأمر بالوقوع في حالة إغماء وخلال دقائق معدودة قد يفقد المريض حياته إذا لم يتلق العلاج اللازم.

١٥ يتوتر النمل عندما يتم وضع أي شيء على ظهره ، حتى ولو كان جزءاً من أجسام مثيلاتها من النمل ، حيث أنَّ لكل نملة شيفرة خاصة ، تختلف عن أختها ، وقد يلجم النمل إلى مهاجمة بعضه البعض عند حدوث حالة الهياج هذه .

١٦ الجراد :

للجراد قدرةً عجيبة على التجمع والطيران مسافاتٍ شاسعة سعياً وراء الأماكن الخصبة، وقد يقطع في سعيه هذا آلاف الكيلومترات، فيجتاز الصحاري والجبال الشاهقة وحتى المحيطات ليبلغ مأربه، وعندما يجده ينقض عليه انقضاضاً، فيبيده عن بكرة أبيه بوقت قياسي، ولما يفرغ منه ينتقل إلى غيره بالطريقة نفسها. وهكذا تتحول مروج خضراء مهما كانت شاسعة إلى صحاري قاحلة بلمح البصر .

١٧ الدبا :

يرقات الجراد .

البراغيث هي طفيليات تتغذى على الدم من أي جسم من ذوات الدم الحار، مثل الحيوانات الأليفة أو حتى البشر، إذا كان لديك مشكلة مع القوارض، فإن هناك فرصاً ليكون لديك مشكلة مع البراغيث كما هو الحال عندما يموت الفأر أو الجرذون ستبحث البراغيث التي تحملها عن ضيف جديد، ولكن مشاكل البراغيث عامة فهي تحدث في الغالب في المنازل التي تأوي الكلاب أو القطط ، تسبب لدغات البراغيث عموماً الألم، نتوءات حمراء متهيجية ، واملاهم أن البراغيث يمكن أن تنقل الأمراض ومن الصعب القضاء عليها.

هناك مائة ألف نوع من الذباب في العالم، فقط عشرة أنواع منها تعيش في المنازل ، وأكثرها انتشاراً وأشهرها الذبابة المنزلية الذبابة المصابة بطفيلي من جنس الفطريات، وهذا الطفيلي يلازم الذبابة على الدوام، وهو يقضي حياته في الطبقة الدهنية الموجودة داخل بطن الذبابة بشكل خلايا مستديرة فيها إنزيم خاص، ثم لا تثبت هذه الخلايا المستديرة أن تستطيل فتخرج من الفتحات أو من بين مفاصل حلقات بطن الذبابة، فتصبح خارج جسم الذبابة، ودور الخروج هذا يمثل

الدور التناسلي لهذا الفطر، وفي هذا الدور تتجمّع بذورُ الفطر داخل الخلية، فيزدادُ الضغطُ الداخليُّ للخلية من جراء ذلك، حتى إذا وصلَ الضغطُ إلى قوَّةٍ معينةٍ لا يحتملها جدارُ الخلية، انفجرت الخلية وأطلقت البذورَ إلى خارجها بقوَّةٍ دفعٍ شديدة إلى مسافة 2 سم خارج الخلية، على هيئة رشاش مصحوباً بالسائل الخلوي، ولهذا الإنزيم الذي يعيش في بطن الذبابة خاصية قوية في تحليل وإذابة الجراثيم. تمد فمها من أسفل رأسها إلى السطح المقابل له ، مكونة بذلك أنبوباً لامتصاص الطعام، وإذا نظرت بدقة إلى الأنابيب الماض لوجدت أن الطرف الملمس لسطح الطعام متسع وكأنه مكنسة كهربائية. بعد ذلك تبدأ الذبابة بفرز إنزيم ليتمكنها من تحليل الطعام وتحويله إلى مادة سائلة مساعدتها على امتصاصه خلال الأنابيب ، لذلك فالذبابة تبدأ بهضم الطعام قبل أن يدخل إلى جسمها ، فالطعام الذي دخل في جوف الذبابة لم يعد نفسه الطعام الذي سلبته .

20 الكولييفيا (الذبابة الزرقاء) :

هو نوعٌ من ذباب المقابر يقومُ بوضع بيضه على الجثث فتفقس يرقات تقوم بالالتغذية على الجيفة ، لتنخلص البيئة من تلك الأجسام ثم تتعدّر وتتحول إلى الحشرة الكاملة

لتعيد دورة الحياة على جثة أخرى وهناك مثل شائع " لن أدع الذباب الأزرق يعرف لك طريق جرة (مكانك) " ولم يكن من الواضح معنى ذلك المثل الشعبي وما هي العلاقة بين الذباب الأزرق واختفاء الأشخاص ، حتى ظهر مؤخراً سُرّ العلاقة بين هذا وذاك، فلقد كشف البحث العلمي حديثاً عن قدرة غريبة يتمتع بها هذا النوع من الذباب ، إذ له القدرة على كشف جرائم القتل بسرعةٍ متناهيةٍ عن طريق قرون الاستشعار المزود بها والتي تشبه هوائيات اللاسلكي يشمُّ بها رائحة الجثة عن بعد أكثر من ثلاثة كيلومترات فيطيرُ إليها ويضعُ عليها بيضه ومن خلال تحليل دم الذباب وأطوار وضع البيض وعمره يستطيعُ رجال الطب التشريحي الآن تقدير وتحديد عملية القتل .

21 الذبابة الصفراء :

موطنها الأصلي شرق آسيا قبلة سواحل المحيط الهادئ وغرب أستراليا .. و يتركز تواجدها في الغابات المطيرة و هي تتميز بكونها شديدة السمية و من أخطر أنواع الحشرات السامة وهي تتسبّب سنوياً في ما يقارب 950 حالة وفاة في إندونيسيا وحدها، وهي تتشابه مع الذباب العادي من ناحية الشكل إلا أنها تتميز بلونها الأصفر الناري .

ذبابة التسي تسي : 22

هي أخطرُ الحشرات في العالم والتي تحمل جرثومة تريبانسوما الهميَّة التي تتسبَّبُ في مرضٍ مميتٍ للمواشي وتتسبَّبُ أيضًا في نقل مرضٍ خطيرٍ للبشر يُدعى مرضُ النوم.

ويقال أنها تنقل مرضَ داء الكلب ، ولديها ضحايا كثيرون مروراً بالماشية والحيوانات البرية والبشر في إفريقيا وتقول منظمة الصحة العالمية أن 60 مليون شخصاً في خطر حقيقي بسبب ذبابة التسي تسي .

أثبتت دراسةٌ حديثةٌ أجرتها طالبةٌ في جامعة ولاية كارولينا الشمالية، وجودَ مخلوقات تملُّك ثمانينَ أرجلَ في وجوه ورؤوس 100% من البشر البالغين، لكنها أصغرُ من أن تُرى بالعين المجردة، وتحتاجُ لمجاهرَ مختصة حتى تُشاهد، وهي تتشبث بجذور الشعر وتسبح في بحر من الزيوت التي تفرزها البشرة.

حمى الضنك (أبو الركب) : 24

هي عدوٍ فيروسيٌّ ينقلها البعوض ..

تؤدي العدوى إلى مرضٍ شبيهٍ بالإإنفلونزا، ويتفاقم أحياناً

ليغدو مرضًا قاتلًا ..

محتملاً يُطلق عليه اسم حمى الضنك الوخيمة ، وهو يؤثر تأثيراً مباشراً على ركب الإنسان لذلك يعرف باسم أبو الركب .

25 عندما يغضب الإنسان أو ينفعل ، تحرق نسبة كبيرة جداً من الماغنيسيوم الموجود في خلاياه ، مما قد يعرضه للإصابة بالذبحة القلبية ، وقد تؤدي للوفاة .

الجعران :

هو في الأصل الخنفساء السوداء ، وكان يتخذ كتميمة عند القدماء المصريين ، لذلك كانوا يرسمونه على جدران المعابد في كل مكان .

27 عندما تتعرض الخنافس للخطر تطلق مادة حارقة ، على أعدائها لتقضي عليهم في الحال .

حمى الضنك (أبو الركب) :

- هي عدو فيروسية ينقلها البعوض .
- تؤدي العدو إلى مرض شبيه بالإنفلونزا، ويتفاقم أحياناً ليغدو مرضًا قاتلًا .

- محتملاً يُطلق عليه اسم حمى الضنك الوخيمة ، وهو يؤثر تأثيرا.
- مباشرا على ركب الإنسان لذلك يعرف بإسم أبو الركب .
- 29 . حقيقة علمية .
- 30 . حقيقة علمية .
- 31 . حقيقة علمية .
- 32 . عندما يغضب الإنسان أو ينفعل ، تحرق نسبة كبيرة جدا من الماغنيسيوم الموجود في خلاياه ، مما قد يعرضه للإصابة بالذبحة القلبية ، وقد تؤدي للوفاة .
- 33 . حقيقة علمية .
- 34 . الجuran : هو في الأصل الخنفساء السوداء ، وكان يتخذ كتميمة عند القدماء المصريين ، لذلك كانوا يرسمونه على جدران المعابد في كل مكان .
- 35 . عندما تتعرض الخنافس للخطر تطلق مادة حارقة ، على أعدائها لتقضى عليهم في الحال .
- 36 . حقيقة علمية .

المراجع

- 1 - البعوضة من الموسوعة العربية العالمية .
- 2 - أساسيات علم الحشرات ، د / شاكر محمد حماد .
- 3 - علم الحشرات العملي ، د / منيف وهيب غريب .
- 4 - المرشد إلى عالم الحشرات الطبية ، د / السيد زهير يونس .
- 5 - علم الحشرات ، مكتبة نون الإلكترونية .
- 6 - أساسيات علم الحشرات ، مكتبة الكتب .
- 7 - موقع ويكيبيديا الالكتروني .





أيها المسادة أخضروا أصواتكم ، فقد آن الأوان أن يرتفع صوت العرير

محمد عبد الرزاق محمد، روائي مصري ، من مواليد الجيزة، حاصل على بكالوريوس العلوم والتربية قسم الطبيعة والكيمياء، جامعة الأزهر.. حاصل على الشارة الخشبية من الاتحاد المصري للكشافة البحرية كمساعد قائد كشافة عام 2000م



صدر له العديد من المؤلفات منها: رواية المجهول، رواية قاهر المستحيل، رواية انتقام قلب، رواية كلاكيت، رواية الشيطان، رواية أغلال ، ورواية الزعفران



جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة

رقم الإيداع : 2016 / 2019 I.S.B.N : 978-977-426-184-8